الجمهورية العراقية
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية
أحياء التراث الاسلامي
٦٠

# جواهر العقدين في فضل الشرفين

## شرف العلم الجلي والنسب العلي

للشيخ علي بن عبد الله الحسني السمهودي
٨٤٤ - ٩١١ هـ

القسم الأول
في العلم

دراسة وتحقيق
الدكتور موسى بناي العليلي

١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

مطبعة العاني - بغداد



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمـــة

يسرني أن أقدمَ أثراً تراثياً جليلاً من آثار علمائنا الأعلام الذين خدموا أمتهم ، وأمدوها بعينٍ ثرةٍ من العلم والأدب والمعرفة ، هو ( كتـاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شـرف العـلم الجلي والنسب العـلي ) ، ومـن عنوانه تظهر أهميته العلمية والتربوية والفقهية ٠

فالعلم فيـه العنصر الأول ، والمحـور الرئيس الذي تدور حوله المناقشات المدعمة بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأمثال التي تبيِّن فضل حامل العلم ، وقيمته الاجتماعية ، ومكانته بين طلبته ، وطاعتهم لـه ، لأجـل مـا يحمله من العلم ، وكفى بالعـلم وحامله شرفاً وفضلاً ٠

والكتاب مع مـا فيـه من الاهتمام بالعلم والعلماء ، يعرض للتربيـة الاسـلامية ، ولواجب العـالم والمتعلم ، وكيفيـة التعليم ، ومكانه ، ووقتـه ، ومعرفـة قابليات الذكاء عنـد الطلبة ، وتنمية هـذه القابليات بالوسائل الناجعة ٠

كمـا يعرض للمكتبات العامـة والخاصة وتنظيمها ، ونظـام إعـارة الكتب ، وشـروط الاعـارة ، ولشـروط المطالعة ، وأوقاتها المفيدة ، واختيار الكتاب الذي يدرسه الطالب خاضع لارشـاد الأستاذ ، لأنـه أعرف بقابليـة الطالب ٠

من ذلك يظهر لنا أن المصنف قد كسب قابلياته التربوية من أساتذته ، وتجربته التعليمية مع طلبته ، ومن كتب العلماء التي حصل عليها ، مثل كتاب الجامع ، والفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح المهذب للنووي ·

ويبدو لنا أن المصنف قام بمبادرة طيبة ، عرض لنا خلالها الأدوار التعليمية التي سبقته ، وأفاض عليها من تجاربه التربوية التي مارسها ، فكانت تجربة ناجحة في وقتها ، حيث جعلت العلم والتعليم نوعاً من العبادة ، وأداة ناجحة في الاصلاح الثقافي والاجتماعي · والاطلاع على تلك التجربة الناجحة يضيف لبنة للتربية التعليمية في الوقت الحاضر ، ويشجع طلبتنا على البحث والتتبع ·

والمتصفح للقسم الثاني من هذا الكتاب يطلع على الجهد الذي بذله مصنفه في بيان مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته الكرام بين المسلمين داعماً كلامه بالآيات القرآنية الشريفة التي نزلت في حق الرسول عليه السلام وعترته الكرام ، وكلامه عليه السلام الذي أوصى أصحابه بأهل بيته ، وبذلك يكون هذا الكتاب جامعاً لفضل العلم والعلماء ، وتجربة العلماء في التربية الاسلامية ، وجامعاً للسيرة النبوية الشريفة التي تساعد على تقوية العلاقات الاجتماعية في مجتمعنا الحاضر ·

**الدكتور**
**موسى بناي العليلي**

## الدراســـة

السمهودي اسمه ونسبه

اســـاتيذه

مصنفـــاته

شـــعره

نشاطه الثقافي ومكانته الاجتماعية

قيمـة الكتـاب

وصف النسخ المخطوطة

عملنا في التحقيق



# السمهودي

## اسمه ونسبه

هو نورالدين أبو الحسن علي[1] بن القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي روح عيسى بن أبي عبدالله محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العليا بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي طاهر بن الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود، بن الحسن الأكبر بن علي بن أبي طالب[2] الهاشمي، الحسني نسبة الى الحسن الأكبر ، ويعرف بالشريف لشرفه نسبة الى الدوحة النبوية الشريفة ، ويعرف بالسمهودي ، نسبة الى سمهود •

وسُمهُود ، أو سَمْهُوط[3] : قرية كبيرة تقع على شاطىء غربي النيل في الصعيد ، وهذه القرية مشهورة بكثرة[4] المعاصر التي يُعصَرُ فيها قصب السكر ، لأنها مشهورة بزراعته • وبينما كانت القريةُ هادئةً ،

---

(1) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ــ ٢٤٨ ، النور السافر ص٥٨ ــ ٦٠ ، خلاصة الاثر للمحبي ١/٤٣ ، هدية العارفين ١/٧٤٠ ، كشف الظنون ١/٦١٤ ، الاعلام ٤/١٢٢ •

(2) ذكر نسبه عبدالقادر العيدروسي في النور السافر ض٥٨ •

(3) قال ياقوت الحموي : سمهوط بفتح اوله وسكون ثانيه ، ويقال بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطي غربي النيل في الصعيد دون مرشوط • معجم البلدان ٣/٢٥٥ •

(4) الطالع السعيد للادفوي ص١٨ •

إستيقظت في صباح أحد أيام شهر صفر في سنة (٨٤٤هـ) على ولادة مولود من أهلهـا خلد ذكرها ورفـع مكانتها ، وهذا المولود هو نورالدين علي السمهودي ٠

نسِبَ الى سمهود ولم يبق فيهـا سوى أربع عشرة سـنة ، قضاها في رعايـة والـده الذي علّمـه القراءة والكتابة ، ثم درّسه مجموعة من المقدمات التي كانت[1] شائعة في وقتهِ ٠

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

## أساتيذه

السمهودي عالم واسع الاطلاع ، ذاعت شهرته في العالم الاسلامي ، فهو عالم المدينة ومؤرخها ، وشيخ مكة وفقيهها ، وشريف القاهرة وعالمها ، وشخصية هذه مكانتها ، لا بدَّ أن يكون قد حصل على ثقافته العلمية من علماء مشهورين بمختلف العلوم ، لذا يجدر بنا أن نتعرف عليهم ، كي نطلعَ على منابع ثقافته الفقهية والأصولية والتاريخية .

١ ـ والده القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد الحسني وهو الذي رعاه منذ طفولته ، وعلمه القراءة والكتابة ، وحفظ عليه القرآن الكريم ، وحفظ المنهاج[١] الفرعي ، ولازمَ والدَهُ حتى قرأ عليه المنهاج بجامع شرحه للجلال المحلي ، وشرح البهجة نصفه سماعاً ، وجمع الجوامع ، وغالب ألفية ابن مالك في النحو ، وسمع عليه جلَّ صحيح البخاري ، ومختصر[٢] مسلم للمنذري .

وبعد أن بلغ السنة الرابعة عشرة من عمره ، سافر به أبوه الى القاهرة[٣] ليدرس على أساتذتها المشهورين .

---

(١) النور السافر ص٥٨ .

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ .

(٣) قال السخاوي : ( وقدم القاهرة مع والده وبمفرده غير مرة أولها سنة ثمانمائة وثمان وخمسين ) . الضوء اللامع ٥/٢٤٥ .

٢ ـ الشمس الجوجري محمد بن عبدالمنعم[١] الجوجري ، درس السهمودي عليه الفقه والأصول والعربية ، فقد قرأ عليه جمع التوضيح لابن هشام ، والخزرجية مع الحواشي الابشيطية ، وشرحه للشذور ، والربع الأول من شرح البهجة ، وشرح شيخه المحلي للمنهاج قراءةً لأكثره ، وسماعاً لسائره ، مع سماع غالب شرح شيخه لجمع الجوامع ، بل قرأ بعضها على مؤلفها مع سماع دروس من الروضة[٢] عليه بالمؤيدية ٠

٣ ـ شرف الدين أبو زكريا يحيى المناوي[٣] ، وقد أكثر السمهودي من ملازمته ، وأخذ عنه تقسيم المنهاج مرتين بفوت مجلس ، أو مجلسين ، والتنبيه ، والحاوي ، والبهجة ، وجانباً من شرح البهجة ، وشرح جمع الجوامع ، وحاشية المناوي على شرح البهجة ، ومما كتبه على مختصر المزني في درس الشافعي ، وقرأ عليه بحثاً قطعة من ألفية العراقي ، وقسماً من بستان العارفين للنووي ، ودرس عليه في جامع عمرو الرسالة القشيرية ، وسمع عليه المسلسل بشرطه ، وصحيح البخاري مراراً بأفوات ، وقسماً من صحيح مسلم ، ومن مختصر الأصول للبارزي من آخر تفسير البيضاوي ، وألبسه[٤] خرقة التصوف ٠

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٢٣/٨ ، البدر الطالع ٢٠٠/٢ ، الاعلام ١٣٠/٧ ٠

(٢) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

(٣) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/١٠ ، شذرات الذهب ٣١٢/٧ ، الاعلام ٢١٢/٩ ٠

(٤) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠

٤ ـ الشمس الشرواني[١] ، محمد بن مراهم الدين الشافعي ، قرأ عليه شرح عقائد النسفي للتفتازاني ، وسمعه عليه ثانية ، وقرأ عليه شرح الطوالع للأصفهاني وسمع عليه الآلهيات بحثاً بمكة ، وقرأ عليه قطعة من الكشاف ، وغالب مختصر سعد الدين على التلخيص ، وشيئاً من المطول ، والعضدي شرح ابن الحاجب ، وشرح المنهاج الأصلي[٢] للعزي ، وقرأ وسمع عليه غير ذلك من الكتب والرسائل والحواشي ٠

٥ ـ شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة الأبشيطي[٣] ، وقد لازمه بمكة المكرمة سنة[٤] (٨٧٢هـ) ، والمدينة المنورة سنة[٥] (٨٧٣هـ) ، وحضر دروسه في المنهاج ، وسمع عليه جانباً من تفسير البيضاوي ، وشرح البهجة ، وسمع عليه بحثاً توضيح ابن هشام ، وقرأ عليه من تصانيفه ـ أي الأبشيطي ـ شرحه لخطبة المنهاج ، وحاشيته على الخزرجية ، وأذن[٦] له في التدريس ٠

وقد ذكر السمهودي مكاشفات عديدة حدثت له مع أستاذه الأبشيطي في القسم الأول من كتابه هذا الذي

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٤٨ ٠
(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ ٠
(٣) ترجمته في الضوء اللامع ١/٢٣٥ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٦ ، الاعلام ١/٩٤ ٠
(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥ ظ ٠
(٥) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠
(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ٠

حققناه، عرض لها أثناء كلامه عن أساتذته[1] .

٦ ـ سعدالدين أبو السعادات محمد بن سعيد[2] الحنفي ، قاضي الحنفية في الديار المصرية ، قرأ عليه عمدة[3] الأحكام بحثاً ، وأذن له بالتدريس ، وقد وقعت له معه مكاشفات[4] ثبتت صحتها بعد وفاته .

٧ ـ محمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن محمد المعروف بالنجم بن قاضي[5] عجلون ، قرأ عليه بعض تصحيحه[6] للمنهاج .

٨ ـ محمد بن أحمد بن محمد بن الفقيه أحمد ، المعروف بالشمس[7] البامي ، قرأ عليه قطعة من شرح[8] البهجة مع حضور تقاسيمه في المنهاج .

٩ ـ صالح بن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ، المعروف بعلم الدين[9] البلقيني المتوفى سنة (٨٦٨هـ) ، حضر عنده في دروسه[10] في قطعة الأسنائي .

---

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين من الورقة ٣٥ظ الى الورقة ٣٨و.

(٢) ترجمته في شذرات الذهب ٣٠٦/٧ ، جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٥و .

(٣) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

(٤) جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ورقة ٣٥و .

(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٢٥٤/٦ .

(٦) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .

(٧) ترجمته في الضوء اللامع ٤٨/٧ .

(٨) الضوء اللامع ٢٤٥/٥ ، النور السافر ص٥٨ .

(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٣١٢/٣ .

(١٠) الضوء اللامع ٢٤٦/٥ .

١٠ ـ عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد المعروف بالنجم عمر[١] بن فهد ، وقد سمع عليه بمكة[٢] المكرمة .

١١ ـ الكمال أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي بكر المرجاني[٣] ، وأخته كمالية إبنة محمد ، سمع على كمالية إبنة محمد[٤] وأخيهما بمكة المكرمة .

١٢ ـ محمد بن محمد الزين أبو بكر بن ناصر الدين أبو الفرج[٥] المراغي ، أكثر[٦] من السماع عليه بالمدينة المنورة .

١٣ ـ محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن علي بن يوسف بن منصور الشمس بن الكمال القاهري ، إمام[٧] الكاملية وابن أئمتها ، حضر عنده درساً[٨] ، وألبسه الخرقة ولقنه الذكر .

١٤ ـ زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الزين الأنصاري[٩] الشافعي ، قرأ عليه شرح المنهاج الأصلي

---

(١) ترجمته في الضوء اللامع ٦/١٢٦ .
(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٣) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٩/٦٧ .
(٤) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٥) ترجمته في الضوء اللامع ٩/٥٦ .
(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .
(٧) توفي سنة (٨٧٦هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٩/٢٢٤ ، الاعلام ٧/٢٧٨ .
(٨) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ .
(٩) ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٣٤ ، الاعلام ٣/٨٠ .

للأسنائي ، وغالب شرحه على منظومة ابن الهائم[1] في الفرائض .

١٥ ـ سعد بن محمد بن عبدالله بن سعد بن أبي بكر بن مصلح بن أبي بكر بن سعد ، سعدالدين ويعرف بابن الديري[2] ، قرأ عليه عمدة الأحكام بحثاً[3] ، وأذن له بالتدريس .

١٦ ـ عثمان بن صدقة بن علي بن محمد بن مخلص الدين عبدالله بن محمد ، أبو محمد الدمياطي الشارمساحي[4] ، أذن له في التدريس والافتاء ، بعد إمتحانه في مسائل[5] ومذكراته معه .

١٧ ـ العفيف عبدالله بن القاضي ناصر الدين بن صالح ، قرأ عليه أشياء بالأجايز ، وألبسه[6] خرقة التصوف بلباسه من عمر الأعرابي .

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ .

(٢) توفي سنة (٨٦٧هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٤٩ ، الاعلام ٣/١٣٨ .

(٣) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ، النور السافر ص٥٨ .

(٤) توفي سنة (٨٨٩هـ) ، ترجمته في الضوء اللامع ٥/١٢٩ .

(٥) الضوء اللامع ٥/٢٤٥ ، النور السافر ص٥٨ .

(٦) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .

## مصنفـــاته

خلف لنا السمهودي مجموعة مهمة من الكتب الفقهية والأصولية ، وكتب الحديث والسيرة والتاريخ ، أصبحت من بعده مناراً للفقهاء والعلماء ، وقد توصلنا الى معرفـة أكثرهـا حيث كان بعضهـا مطبوعاً ، وأكثرها مخطوطة لا تزال تنتظر من يخرجها من المكتبات ووضعها بين أيدي المتشوقين اليها ، منها :

١ ـ اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى[١] ، أو الوفـا بأخبـار دار المصطفى[٢] ، احترق مـع كتبـه في المدينـة المنورة .

٢ ـ وفاء الوفا بأخبـار دار المصطفى ، مطبـوع[٣] ، وقد لخصه المصنف من كتابه الكبير ( الوفا بأخبـار دار المصطفى ) ، وكانت مسودته معه في مكـة المكرمة عندما احترقت مكتبته في المدينة المنورة ، واحترق معه كتابه[٤] الكبير .

٣ ـ خلاصة الوفا بأخبـار دار المصطفى مخطوطة[٥] ، لخصـه المصنف مـن كتابـه ( وفـاء الوفـا بأخبـار دار المصطفى )[٦] .

---

(١) وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/٢ .
(٢) خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى مخطوطة ورقة ١ ظ .
(٣) طُبِعَ في مطبعة الآداب والمويد بمصر سنة ١٣٢٦هـ .
(٤) ينظر خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى ورقة ١/ظ .
(٥) مخطوطة بمكتبة الاوقاف المركزية في بغداد تحت رقم (٢٨١٣) .
(٦) ينظر خلاصة الوفاء باخبار دار المصطفى ورقة ١ ظ .

٤ ـ ( مسألة فرش البسط[١] المنقوشة ) ، رداً على من نازعة ، مفقود .

٥ ـ حاشية[٢] على إيضاح النووي في المناسك ، مفقود .

٦ ـ الفتاوي مجموعة فتاويه[٣] ، مفقود .

٧ ـ درُّ السموط[٤] رسالة في شروط الوضوء ، مفقود .

٨ ـ إكمال المواهب[٥] ذيل على رسالة له ، مفقود .

٩ ـ مواهب الكريم الفتاح في المسبوق المشتغل بالاستفتاح[٦] .

١٠ ـ الأنوار السنية في أجوبة أسئلة اليمنية[٧] .

١١ ـ أمنية المعتنين بروضة الطالبين[٨] ، حاشية .

---

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الضوء اللامع ٥/٢٤٦ .

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ .

(٤) هدية العارفين ١/٧٤٠ ، الاعلام ٤/١٢٢ .

(٥) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ظ ، هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٦) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٢ ظ ، هدية العارفين ١/٧٤ .

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٨) هدية العارفين ١/٧٤٠ .

١٢ ـ الغماز على اللماز[١] ، في الحديث الشريف ٠

١٣ ـ الأقوال المسفرة عن دلائل الآخرة[٢] ، في الفقه ٠

١٤ ـ اللؤلؤ المنثور في نصيحة[٣] ولاة الأمور ٠

١٥ـ جواهر العقدين في فضل الشرفين ، وهو الكتاب الذي نحققه ٠

١٦ ـ إيضاح البيان لما أراده الحجة[٤] من ليس في الامكان أبدع مما كان ٠

١٧ ـ شفاء الأسواق لحكم ما يكثر بيعه[٥] في الأسواق ٠

---

(١) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية تحت رقم (٦٦٨٧) ، جرد فيها المصنف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم من الاحاديث الضعيفة والموضوعة ، والتي لا اصل لها عند الأئمة الحفاظ ، ورتبها على حروف المعجم ، وبذلك قام بخدمة عظيمة في اخراجه الاحاديث التي لا اصل لها عند المحدثين ، وهو في هدية العارفين ١/ ٧٤٠ ، الاعلام ٤/ ١٢٢ ٠

(٢) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (١/ ٧٠٧٢) مجاميع ، وهو يعنى في اصول وقواعد المغفرة ٠

(٣) وهو مخطوطة في مكتبة الاوقاف المركزية رقم (١٤/ ١٠٠) وهو مجموعة من النصائح جمعها المصنف من كتب متعددة ، وجعلها في اربعة ابواب معتمداً فيها على آيات من القرآن الكريم والحديث الشريف ، والاقوال والامثال ٠ وهو في هدية العارفين ١/ ٧٤٠ ٠

(٤) هدية العارفين ١/ ٧٤٠ ٠

(٥) هدية العارفين ١/ ٧٤٠ ٠

١٨ ـ طيب الكلام[١] بفوائد الاسلام ٠

١٩ ـ عقد الفريد[٢] في أحكام التقليد ٠

٢٠ ـ المحرر في تعيين الطلاق[٣] ٠

---

(١) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٢) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

(٣) هدية العارفين ١/٧٤٠ ٠

## شـــعره

إنَّ صاحبنا لم يكن شاعراً موهوباً ، بل كان ينظم شعرهُ في المناسبات التي تحصل له ، سواء كانت هذه المناسبات مفرحة أو محزنة ، فالمناسبة دافعه كما يبدو لنا من الشعر الذي عثرنا عليه ·

ومن هذه المناسبات القصيدة التي قالها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان سببها انه كان يقيم بخلوةٍ في مؤخرة المسجد النبوي الشريف ، بجانب المنارة الشماليَة الغربية ، فسعى جماعة باخراجه[1] منها ، فقال :

يُضَامُ بحبكم يا عربُ رامَه
نزيلٌ أَنتم صرتم مُرامَه

ويعدو من أَعاديه عليه
غداة صارَ قَصدهمُ اهتضامَه

وأَنتم عزُ من ينمي اليكم
ومن أَبوابكم حازَ احترامه

وفي حرمٍ بساحتكم مقيمٌ
فلا يبغي العراقَ ولا شآمَه

(١) ذكر المصنف هذه الحادثة بالتفصيل مع اربعة أبيات من القصيدة في كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين في الورقة ٣٣و ــ ٣٤و القسم الاول ·

وحبكمـو تحـكم فـي حشـاه
وحبكمو لـذا أضحى غرامـه

وليس لـه مـلاذ أو نصـير
يجرد دون نصرتـه حسامـه

سـواكم آل غالـب الموالـي
حمـاة الجـار إن لحقته ضامه

ليوث الحرب إن مدت حراب
غيـوث المحل إن يخلب غمامه

بحقكمـو وذاك أجـل حـق
له انتصروا فأنتم من تهامـه

كـرام مكرمون بخير رسـل
عظيـم الجـار موفيه ذمامـه

قال : وهي طويلة تزيد على ستين بيتاً ومنها :

لـه حـرم بـه كـرم مفاض
لساكنه فقـد حـاز الكرامه

بـه قـد صار عندكمو نزيلا
ويرجـو نصركم فيما أضامه

جواركمو عدت فيـه الأعـادي
عليـه إذا رأوا منـه الاقامـه

بحضرتكم فلا يبغــي انتقــالاً
ولكن قــد أَطالَ لهــا التزامَه

وكادوه بمــا لــم يخفَ عنــكم
ليقصوا عن عراصكمو خيامَــه

فانجز لــي رسولَ اللهِ نصري
لتهنــأَ لــي بذا الحرم الاقامه

ويكبت مـــن عداتي شامتوهم
وتعظم فــي قلوبهم الندامَــه

فقــد آملتُ جاهك يــا ملاذي
لــذا ولكل هولٍ فــي القيامه

وحاشــا أن تخيَّبَ لــي رجاءً
وأَنتَ الغوث من عرب برامَه

كريــمٌ ان أضيم لــه نزيــلٌ
فنصــرُ اللهِ يقدمــه أَمامَــه

ومــن عاداتــه نصري وجبري
وعــادة مثــله أَبــداً مدامَــه

قال : فرأيتُ عقب ذلك مناماً يؤذن بالنصر العظيم ، ثم رأيتهُ في اليقظة وللهِ الحمد والمنة(١) ·

---

(١) ذكر المصنف هذه الأبيات في كتابه وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ٤٣٠/٢ ·

ومنها[1] :

ولـم يرعوا جوارك يـا ملاذي
ولا نسـبي اليـك ولا ذمامَـه

يبدو لنـا أنـه ذكـر البيت الأخير ليبين بأنّ نسبه ينتهي الى نسب الرسول الكريم صلى الله عليـه وسلم ، بعد ما ذكر حرمة جواره ، وأن حرمـة جواره لرسول الله عليه السلام ونسبه ، لم يمنع المسيء من إسائته ٠

وقـال في ختـام كتـابه جواهر العقدين في فضـل الشرفين[2] :

لا غروَ في بثّي محاسن معشري
بالواضح التبيـان والبُرهانِ

نصحاً لهم ولأُمـةٍ فُرِضَتْ
مودتها لهـم في منزل القرآنِ

فالنّصحُ أَوجبه علينا ربّنـا
للكلّ فـي سرٍّ وفـي إعلانِ

هذا وما استقصيتُ منقبةً لهم
بالمنطق الاقصى مـن التبيانِ

---

(1) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤و ٠

(2) يبدو ان المصنف قال هذه الأبيات بمناسبة تكميله كتابه جواهر العقدين ، وكان القسم الثاني يخص النسب الشـريف ٠ جواهـر العقدين في فضل الشرفين ، الورقة الاخيرة من القسم الثاني ٠

إلاّ وعندي أنّ ما قـد فاتني
أَضعافُ ما قد قلتُ في أَزمانِ

فمحاسنُ الآل الكـرام كثـيرة
لم يحصِها أَحدٌ سوى المنانِ

من أَجل انّ تباعها من أَحمد
خيرِ الخليقةِ سيد الأَكوانِ

صلى عليـه إلهنـا وعليهم
والصحب ما اخضرَّت رُبا أَفنانِ

ومن شعره الصوفي قوله(1) :

تحكم الحب مني كيفَ أكتمُه ؟
أم كيفَ أخفي الهوى والدمعُ يظهرهُ ؟

أَهوى لقاوهُ ويهوى سيدي تلفي
ما كلُّ ما يتمنَّى المرءُ يدركهُ

ومن شعره في الغزل(2) :

الا أنّ ديوان الصبابة قد سبا
بما صبّ من حسن الصناعة ان سبا

نفوساً سكارى من رحيق شرابه
وألحاظ صبٍّ من صبابَته صبا

(1) النور السافر ص٦٠ .

(2) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ .



السمهودي من العلماء الذين نبغوا في القرن التاسع الهجري ، ولمع نجمه بالفقـه والأصول والسيرة والحديث والتاريخ ، فقد كان عالماً فقيهاً أصوليـاً حافظـاً ومحدثاً ومؤرخاً ، انتشرت مصنفاته في الحجاز ومصر وفلسطين ، وكان يلقي محاضراته العلمية في مكة والمدينة والقاهرة ·

وكان مركز اقامتـه في المدينة المنورة ، وهو شيخها الذي لا يجاريه أحد في مكانتـه العلمية ، وقل أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه[1] ·

واختير للاشراف على مدرسـة أبي البقـاء البدري ، والنظر على المجمع فيها ، وما فيه من الكتب التي أوقفها فيه· وصار المتكلم في مصاريف المدرسة المزهرية المختلفة· مع الصرف له من الصدقات التي تأتي من الملوك والأمراء ، كما يصرف للقضاة ، وما أضيف اليـه من التدريس مما أوقفه الواقفون ·

وقد انقاد له الأمير داود بـن عمر في صدقاته لأهـل الحرمين حين حج بيت الله الحرام ، فقـد اشترى من أجله كتبـاً وأوقفها ، وانقاد لـه ابن جبير[2] وغيره في أشياء ، عندما تحققوا من علم السمهودي ودينه وتقواه في الحرم النبوي الشريف ·

---

(١) الضوء اللامع ٢٤٧/٥ ·

(٢) المصدر نفسه ٢٤٧/٥ ·

وعندما سافر من المدينـــة المنورة الى القاهرة لزيارة أهله ، كان العلماء والقضاة يرحبون به ويجلونه ، فقـد قرره الشيخ يحيى المناوي قاضي الديار المصرية معيـداً للحديث في جامع الولوي ، وفي الفقه بالصالحية ، وأسكنه قاعة القضاة فيها ، وعرض عليه النيابة[1] فأبى .

وعند رجوعه الى بلده مرة أخرى فوض له مع القضاء النظــر في أمر نواب الصعيد ، وصرف غير المتأهل منهم ، فما عمل بجميعه[2] .

وقد قرّبه ورحب به سلطان مصر قايتباي ، وأكرمه مبلغاً من المال استفاد منه بعد رجوعه الى المدينة المنورة ، حيث إشترى داراً قديمة[3] ، وأعاد بناءَها .

وسافر من المدينة المنورة الى مكــة المكرمة مــع ابن العماد ، فوقع الحريق بعد سفره في المدينة ، وقد احترقت بهذا الحريق كتبه ، وهي كثيرة ، وسافر من هنـــاك الى القاهــرة ، ولقي السلطان قايتباي[4] ، فأحسن اليـــه بمرتب على الذخيرة وغيره ، بل وأوقف هــو وغيره كتبــاً من أجله ، ورســم بسعايته بســد السرداب الموجــه الى الحجرة الشريفة ، والمتوصل منه لدور العشرة ، لما يحصل

---

(1) الضوء اللامع ٥/٢٤١ ، النور السافر ص٥٩ .

(2) الضوء اللامع ٥/٢٤٦ ، النور السافر ص٥٩ .

(3) جواهر العقدين في فضل الشرفين ورقة ٣٤و .

(٤) يظهر انه هذه المرة الثانية التي يلتقي بها بالسلطان قايتباي ، فالمرة الاولى اكرمه بمبلغ من المال ، وهذه المرّة خصص له راتباً .

فيه من الفساد مع المعاكسة[1] ، كل ذلك لم يحدث لولا الجهود التي قام بها السمهودي ٠

قال السخاوي : ولقيته في كلا الحرمين غير مرة ، وغبطته على إستيطانه المدينة ، وصار شيخها[2] ، ثم قال : ومع ذلك فهو يتكسب بالبيع والشراء بنفسه وبمندوبه ، وربما عامل الشريف أمير المدينة بالجملة ، فهو انسان فاضل متفنن متميز في الفقه والأصول ، مديم للعمل والجمع والتأليف ، متوجه للعبادة وللمباحثة والمناظرة ، قوي الجلاد على ذلك ، طلق العبارة فيه ، مغرم به مع قوة نفسٍ وتكلف خصوصاً في مناقشاته[3] لشيخنا في الحديث ونحوه من العلوم ٠

وبعد حياة قضاها السمهودي في خدمة العلم دراسةً وافية ، وتدريساً نافعاً لطلابه ، ومناظرات بينه وبين العلماء وتأليفاً ، لبى نداء ربه في سنة (٩١١هـ)[4] مخلفاً لنا ثروة كبيرة في الفقه والأصول والحديث والعلم والتربية والتعليم ٠

* * *

---

(١) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ ٠

(٢) الضوء اللامع ٥/٢٤٧ ٠

(٣) نفس المصدر ٥/٢٤٧ ٠

(٤) ذكر المحبي ان وفاة السمهودي كانت في آخر سنة احدى عشرة بعد الألف ، وهو وهم منه لا يدعمه دليل ، يضاف الى ذلك ان المحبي كانت وفاته سنة (١١١١هـ) ، وهو بعيد عن عصر السمهودي ، والصحيح ما ذكره المعاصرون له ٠ ينظر خلاصة الاثر ١/٤٣ ٠



## قيمة الكتاب

الكتابُ كما يبدو من عنوانه يعنى بشرف العلم وشرف نسب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهذان الشرفان لا يرقى اليهما شرف في المنزلة بعد شرف الخالق عزَّ وجلَّ ٠

وملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم للعلم واتصافه به ، وحثه الصحابة على العلم ، وتشجيعهم على طلبه ، ما كان ذلك إلاَّ لأنه أفضل العبادات التي يأتي بها المسلم ، مثال ذلك قوله عليه السلام لأبي ذر : ( جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب الى الله تعالى من قيام ألف ليلةٍ ، يصلي في كل ليلة ألف ركعة ، وأحب اليه من ألف غزوة )[1] ، وقوله : ( اللهم إرحم خلفائي ، قيل : يا رسول الله ! من خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي )[2] ٠

فقد بدأ السمهودي كتابه بفضل العلم والعلماء ، وأوردَ الأدلة من القرآن الكريم والحديث الشريف على على فضل العلم ٠

فمن أدلته من القرآن الكريم ، قوله تعالى : ( هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون )[3] ٠

---

(١) جامع السعادات ١/١٠٣ ٠

(٢) جامع السعادات ١/١٠٣ ٠

(٣) سورة الزمر الآية : ٩ ٠

( إنما يخشى الله من عباده العلماء )[1] ، وقوله : ( ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كبيراً )[2] ، وقوله تعالى : ( شهد اللهُ أنَّهُ لا إلهَ إلاَّ هو والملائكة وأولو العلم )[3] .

ومن أدلته من الحديث الشريف قوله عليه السلام : ( العلماءُ ورثة الأنبياء )[4] ، وقوله : ( فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم )[5] ، وقوله : ( يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، والعلماء ، والشهداء )[6] ، وقوله : ( من خرج في طلب العلم ، فهو في سبيل الله حتى يرجع )[7] .

هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تظهر فضل العلم ومكانته الشريفة ، وبذلك يكون العلم أفضل الفضائل الكمالية ، وأشرف النعوت النورانية ، لأنه الطريق الموصل الى جوار رب العالمين ، والى أفق الملائكة المقرَّبين ، فما سجد الملائكة أجمعون إلاَّ لأن آدم عليه السلام يعلم ما لا يعلمون ، هذه الأسباب مجتمعة جعلت المصنف يبتدىء بالعلم ويتبعه بالتربية الاسلامية ، وما

---

(١) سورة فاطر الآية : ٣٨ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

(٤) رواه الامام ابن حنبل في مسنده ١٩٦/٥ ، وابو داود في سننه ٢٨٥/٢ ، والدارمي في سننه ٨٣/١ .

(٥) صحيح الترمذي ١٥٧/١٠ .

(٦) سنن ابن ماجة ١٤٤٣/٢ .

(٧) صحيح الترمذي ١١٦/١٠ .

توصلت اليه في العهود السابقة لعصر المصنف ، وقد أضاف الى ذلك التجربة التي مارسها أثناء تعليمه وتصدره للتدريس ·

ويجدر بنا أن نقولَ ان هذا الكتاب يحتوي على ثروة علمية تدفع العلماء الى تنمية قابلياتهم العلمية ، لما في العلم من الرفعة والمكانة عند الله ، ولما فيه من المنزلة العظيمة في المجتمع الذي يعيش فيه العالم ، كما يحتوي على ثروة تربوية تجعل التربويين على علم بما طبقه أجدادهم العظماء في مجال التربية والتعليم ، كي يضيفوا خبرات أجدادهم الى خبراتهم في تعليم أبنائنا ·

أما القسم الثاني من كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين فقد تناول شرف النسب النبوي الشريف وأهل بيته الكرام ، وناقشه بخمسة عشر ذكراً مدللاً على ذلك بآيات من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ( إنَّما يريد اللهُ ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطيراً )[1]، وقوله تعالى : ( قل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءَكم الآية )[2] ، وقولهُ تعالى : ( وأذكرن ما يُتلى في بيوتكن )[3] ، وقوله تعالى : ( قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى )[4] ، وغير ذلك ·

---

(١) سورة الاحزاب الآية : ٣٣ ·

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦١ ·

(٣) سورة الاحزاب الآية : ٣٤ ·

(٤) سورة الشورى الآية : ٢٣ ·

والحديث الشريف كقولـه صلى الله عليـه وسـلم : ( يـا ربِّ هـذا عمي وصنو أبـي ، وهـؤلاء أهـل بيتي فاسترهم من النـار كستري إيّاهم بملاتي هـذه )[1] ، وقوله : ( يا بني هاشم اني قد سألت الله عزَّ وجلَّ أنْ يجعلكم نجباء رحماء ، وسألته أن يهـدي ضالتكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم )[2] ، وقوله : ( إستوصوا بأهل بيتي خيراً فاني أخاصمكم عنهم غـداً ، ومن أكن خصمـه أخصمه ، ومن أخصمه دخل النـار )[3] ، وغير ذلـك من الأحاديث الشريفة ٠

وعندما نتفحص هـذا القسم جيـداً يظهر لنـا مدى الجهـد الذي بذلـه السمهودي في بيـان مكانة الرسول الـكريم بين المسـلمين ، وبيـان المعجزات والآيات التي وقعت لـه بينهم ، والكرامات التي حدثت لأهـل بيتـه ، ومنزلته ومنزلة أهل بيته في قلوب المسلمين ٠

(١) جواهر العقدين في فضل الشرفين ٢/٧و ٠

(٢) المصدر نفسه ٢/٢و ٠

(٣) المصدر نفسه ٢/٢و ٠

## وصف النسخ

حُقِقَ كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين للسمهودي على ثلاث نسخ ، وُجدت في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد ، وبعد اطلاعي على فهارس المخطوطات المختلفة لم أجد غير النسخ المذكورة ، وقد جعلت أحدها أصلاً لمزايا سوف أذكرها في المستقبل ، وجعلت النسختين الأخيرتين مساعدتين ·

١ ـ نسخة بخط محمد بن يحيى ( الأصل ) :

وهي نسخة واضحة وكاملة وقديمة ، موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم ( ٣٩١ ) أدب ، وكُتِبت سنة ( ١٠٨٧ هـ ) ، فهي أقدم النسخ الموجودة من حيث النسخ ·

عدد أوراقها ( ٢٨١ ) ورقة ، في كل صفحة تسعة عشر سطراً ، ومتوسط عدد كلمات كل سطر ، سبع كلمات ، وقياسها ( ٢٠×١٤سم ) ·

في وجه الورقة الأولى كُتِبَ : ( كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الشيخ الامام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة ، فريد دهره ووحيد عصره ، سلالة الشرف وعنوانه السيد الشريف نورالدين والدنيا علي بن الامام العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة تغمده الله

بالرحمة والرضوان ، وأسكنه فسيح الجنان بحرمة جده ) ، وهذا العنوان الطويل لا يكتبه المصنف ، بل كُتِبَ من قبل الناسخ ، بدليل قوله : ( تأليف سيدنا وشيخنا ) ، وقوله : ( تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان بحرمة جده ) ، والمؤلف لا يقول ذلك ، لأجل ذلك لا نثبت في الكتاب هذا العنوان الطويل .

وفي ظهر الورقة الأولى كُتِبَ : ( بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أعزَّ أولياءَه ... الخ ) ، وفي نهاية القسم الأول كُتِبَ : تم القسم الأول ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله تعالى ) .

وفي نهاية الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ : ( قال مؤلفه نفع الله به وعامله بخفي لطفه : فرغتُ من تأليفه في اليوم المبارك الثامن من شهر ربيع الثاني عام سبع وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده لا شريك له ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، كان الفراغ من رقم هذه النسخة المباركة نهار الخميس المبارك سلخ شهر الحجة الحرام ، شهدت سنة ثمان وسبعين وألف من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم ) .

وبعد مسافة من الفراغ ، كُتِبَ : ( بعناية سيدنا الفتح الفاضل العلم الماجد الكامل شمس الدار حمد بن جابر المؤذن ، ختم الله لنا وله بالصالحات ، ورفع في الدارين الدرجات بحق سيدنا محمد عليه وعلى آله من الله أفضل الصلوات ، بخط أفقر عباد الله اليه المعترف

بالخطأ والتقصير الراجي عفو الملك القدير محمد بن يحيى بن نور عفى الله عنه آمين ) ٠

٢ ـ نسخة وقف الحاج أمين أفندي ( م )

وهي نسخة قديمة رديئة الخط ، وقع خرم في آخرها ذهب بورقتين من الأخير ، وقد ختمها الناسخ في أول الخرم ، رمزنا لها بالحرف ( م ) ، لأنه أحد حروف اسم المالك ٠

وهي موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية ببغداد ، تحت رقم ( ٣٩٢ ) أدب ، عدد أوراقها ( ٢٢٧ ) ورقة ، مقياسها ( ٢٠×١٤سم ) ، يبلغ متوسط عدد أسطر الصفحة الواحدة ( ٢١ ) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات ، وقد كُتِبَ في وجه الورقة الأولى : ( كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف لعلم االجلي والنسب العلي ، تأليف سيدنا وشيخنا الامام العالم العلامة ذو التصانيف المفيدة النافعة فريد دهره ، ووحيد عصره ، سلالة الشرف وعنوانه ، السيد الشريف نور الدنيا والدين علي بن الامام العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة ) ٠

وحول العنوان كتابات تصعب معرفتها ، وفيها ختم مدور مكتوب داخله : ( هذا الكتاب وقف الحاج أمين أفندي الساكن في بغداد ، وأوقف على كتبخانة جامعه الواقع في محلة دكان شناوة ، « ١٣٢١هـ » ) ٠

وكُتِبَ في ظهر الورقة الأولى : ( بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ، الحمد لله الذي أعزَّ أولياءَهُ ... الخ ) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كُتِبَ : ( تم القسم الأول من جواهر العقدين في فضل الشرفين ، ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله تعالى بحمد الله وعونه وحسن توفيقهِ ) .

وكُتِبَ في الورقة الأخيرة من الكتاب في الحاشية : ( خاتمةَ الكتاب ) بكتابة كبيرة ، وأسفله الختم الذي ذكرناه في وجه الورقة الأولى .

ولما كانت هذه النسخة مخرومة من الأخير ، ختمها الناسخ عند الخرم بكتابة مغايرة عما في النسختين الأخيرتين بقوله : ( وطاعة رسولك فأرددها عليه ، فردها الله تعالى ، فصلى عليٌّ رضي الله تعالى عنه ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ) ، وهذه الكتابة من الناسخ ، لأن الكتابة في النسختين الأخيرتين تختلف عنها ، وهي : ( فأردد عليه الشمس الحديث ، وقد صححه الطحاوي ... الخ ) .

٣ ـ نسخة وقف إبراهيم فصيح الحيدري ( ب )

وهي نسخة جيدة حديثة الخط بالنسبة للنسختين السابقتين ، وفيها تصحيحات كثيرة في الحواشي وبين الأسطر ، مما يدل على أنها قورنت بنسخة أخرى ، وقد

أسند أحمد بن محمد فاطن روايتها عن المؤلف ، بسند ذكره في وجه الورقة الأولى ، وذكر تاريخ نسخها في سنة ( ١١٧٢هـ ) ، وذكر إسمه وأسماء الذين روى عنهم ( كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين ) ، الى أن أوصله الى المؤلف ٠

والنسخة المخطوطة موجودة في مكتبة الأوقاف المركزية في بغداد تحت رقم ( ٢/٢٩٨٤ ) أدب ، عدد أوراقها ( ١٦٧ ) ورقة ، قياسها ( ٣٠×٢٠سم ) ، عدد الأسطر في الصفحة الواحدة (٣٠) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر (١٩) كلمة ، وقد رمزنا لها بالحرف (ب) ، لأنه أحد حروف إسم صاحبها ٠

كُتِبَ في وجه الورقة الأولى : ( كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي والنسب النبوي ، تأليف الشيخ الامام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة السيد الشريف نور الدنيا والدين علي بن سيدنا الشريف العلامة جمال الدين عبدالله الحسني السمهودي الشافعي نزيل طيبة المشرفة رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وتقبل منه آمين ) ٠

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : ( وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم ) ، وبين الكتابتين كُتِبَ : سند رواية الكتاب وهو : ( الحمد لله وحده ، يقولَ العبد الفقير الى مولاه أحمد بن محمد فاطن عفا الله عنهما وغفر زلتهما : أروي جواهر العقدين وجميع مؤلفات مؤلفه رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مصيره

ومأواه عن سيدي السيد الجليل العالم النبيل يحيى بن عمر بن مفصول الأبدل رحمه الله تعالى بالاجازة مكانه عن شيخه العلامة أبي الأسرار الحسن بن علي العجمي المكي رحمه الله عن شيخه العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي شارح الشفار رحمه الله عن شيخه القاضي علي بن جارالله القرشي المكي عن الرجل السند محمد جارالله بن الحافظ عبدالعزيز بن فهد عن المؤلف العلامة السيد الشريف نورالدين علي بن عبدالله السمهودي الحسني رحمهم الله تعالى ، وقد أجزت أولادي ومن أخذ عني ومن أدرك حياتي ، وكفى بما فيه توصيةً لهم ، وهو حسبي وكفى به ، الفقير أحمد بن محمد فاطن عفا الله عنهما تعالى شهر صفر سنة اثنتين وسبعين بعد المائة والألف والحمد لله أولاً وآخراً وهو حسبي وكفى ) ، هذا السند كُتِبَ بخط مغاير لخط المخطوطة ، وكُتِبَ أسفله بخطِ المخطوطة : ( وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم ) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة ختم كُتِبَ فيه : ( وقف المرحوم إبراهيم فصيح الحيدري على تكية الخالدية ) ، وكُتِبَ أسفل الختم في الحاشية : ( سمهوط بالطاء وضم السين والمشهور فتحها بلدة كبيرة بمصر نُسِبَ اليها الامام أحمد بن علي الحسني وولده جمال الدين عبدالله بن أحمد المتوفى سنة ( ٨٦٦هـ ) ، وولده علي بن عبدالله نزيل المدينة ومؤرخها ، ولادته سنة

( ٨٤٤هـ ) ، ذكره السيد المرتضى في شرحه للقاموس[1] فراجعه ) .

وفي نهاية القسم الأول من الكتاب كُتِبَ : ( تم الجزء الأول من جواهر العقدين بحمد الله ومنّه وفضله ، ويتلوه القسم الثاني إن شاء الله ، إن شاء الله الاعانة آمين ) .

وفي الورقة الأخيرة من القسم الثاني كُتِبَ : ( تم كتاب جواهر العقدين للسيد الشريف أبي عبدالله السمهودي رحمه الله تعالى وجزاه خيراً وأحسن اليه ورزقنا الله حب أهل بيت نبيه ، ونفعنا بمحبتهم في الدارين آمين ) .

وفي أسفل الورقة كُتِبَ : ( كان تمام تحريره ليلة الأحد عشرين من شهر الحجة الحرام سنة ست وأربعين ومائة وألف برسم سيدنا وبركتنا وقدوتنا القاضي إبراهيم بن أحمد العيابي رزقه الله فهم معانيه وبلّغه من الخيرات في الدارين فوق أمانيه آمين آمين ) .

وفي الجانب الأيسر من الورقة كُتِبَ : ( طالعته بجهد الله ، والظاهر عليه الصحة ، لعله نُقِلَ وقُوبِلَ على نسخة صحيحة ، وفيه كفاية لمن أراد الطريقة المحمودة التي سلكها المنصفون ، جزاهم الله عن الاسلام خيراً آمين ) ، وهذه الفقرة تدل على أن النسخة قُوبِلت على نسخة أخرى صحيحة ، لكنها حديثة النسخ .

(١) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة ( سمهوط ) .



## عملنا في التحقيق

ان التحقيق هو إظهار الكتاب الذي نحققه كما وضعه مصنفه أو قريباً منه ، ولمـا كنا لم نتمكن من العثور على النسخة التي كتبهـا المصنف ، فقـد إعتمدنا على ثلاث نسخ : أحدها قديمة في تاريخ نسخها ، واضحة في كتابتها كاملة بمادتها ، والثانية رديئة الكتابة غير معروف تاريخ نسخها ، لكنها قديمة كما يظهر من كتابتها ، وقد سقط من أخيرها مقدار صفحتين ، فجعلنا الأولى أصلاً لكمالهـا ووضوحها وقِدمها ، والثانية مساعدة لنقصانها ٠

والنسخة الثالثة كان خطها حديثـاً وواضحاً ، فيهـا إستدراكات كثيرة ، جعلناها مساعدة أيضاً ٠

ويمكن تلخيص مـا قمت بـه من عمـل في التحقيق بالنقاط التالية :

١ ـ اعتمدتُ في التحقيق علـى النسـخة الأصـل ، وأثبت مـا فيهـا ، ورجعت الى النسختين الأخيرتين فـي المطابقة ، وأشرت الى الزيادة والنقصان بين النسخ فـي الحاشية ٠

٢ ـ أثبت ما حدث بين النسخ من تفاوت واختلاف في الحاشية وهو قليل ، وترجمت للأشخاص غير المشهورين ، تجنباً من إثقال النص بالحواشي ٠

٣ ــ ملاحظة الآيات القرآنية التي وردت في الكتاب ، وعرضتها على المصحف الشريف ، ثم ذكرت إسم السورة ورقم الآية في الحاشية ٠

٤ ــ إرجاع الأبيات الشعرية الى دواوين الشعراء أو الى الكتب المعتمدة ٠

٥ ــ إرجاع الأحاديث الشريفة الى كتب الصحاح وكتب الحديث الأخرى ، وكتب الحديث التي أشار اليها المصنف ، وبينت الاختلاف بين ما ذكره المصنف وبين ما ورد في الكتب المذكورة في الحاشية ٠

٦ ــ كتابة النص بالخط الحديث ، دون الاشارة الى الاختلاف بين الخط القديم والخط الحديث ٠

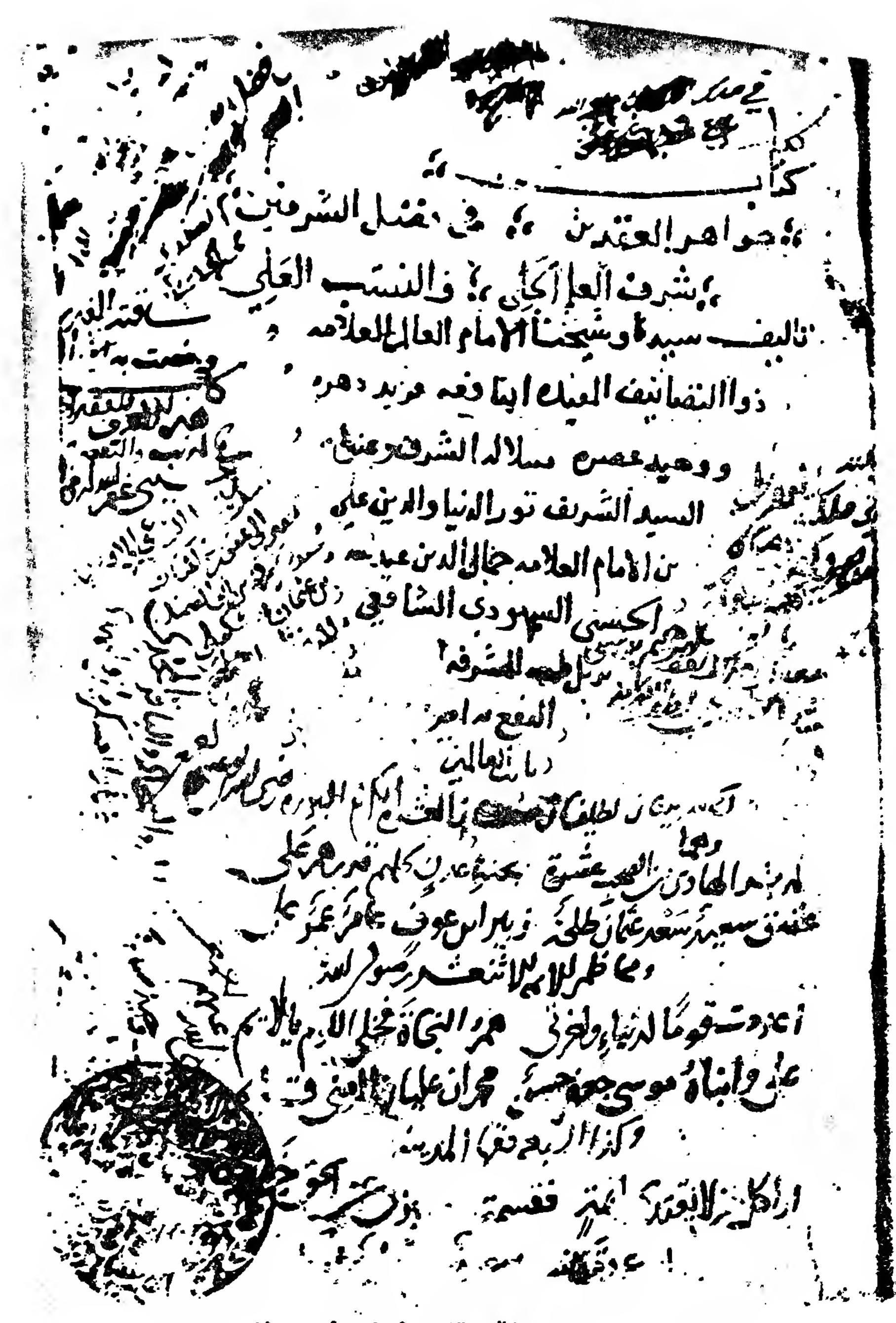
٧ ــ ملاحظة النصوص التي إقتبسها المصنف من كتب الذين سبقوه ، مثل كتاب تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ، ومقدمة كتاب شرح المهذب للنووي ، وكتاب الجامع للخطيب البغدادي ، وكان الاقتباس من الكتاب الأول كثيراً ، وقد أشرت الى النصوص المقتبسة في الحاشية ٠

٨ ــ وضعت الكلمة أو الكلمات التي أخذتها من النسختين ، والتي كانت ساقطة من الأصل بين قوسين معقوفين ، وأشرت الى ذلك في الحاشية ٠

٩ ــ أشرت الى السقطات التي وردت في النسختين في الحاشية ٠

١٠ ـ عملت فهارس فنية للكتاب ، للآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة ، وأبيات الشعر ، والأقوال والأمثال ، والأعلام ، وفهارس الموضوعات ، وسوف أضعها في أخير القسم الثاني من الكتاب ٠

وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب بصورته الصحيحة ، والله الموفق الى الخير والهدى ٠



كتاب

جواهر العقدين في فضل الشرفين

شرف العلم الجلي والنسب العلي

تأليف سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة

ذو التصانيف المفيدة أبقا نفعه مزيد دهره

ووحيد عصره سلالة الشرف ومنبعه

السيد الشريف نور الدنيا والدين علي

بن الإمام العلامة جمال الدين عبد الله

الحسني السمهودي الشافعي

ورقة العنوان من نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

الحمد لله الذي اعز اولياءه اعلام الدين، وقصم بوده وحبهم. وخذل اعداءه الذين هم للاعلام معادين، وامر ببغضهم ونهى عن قولهم. وجعل العاقبة للمتقين، ودائرة السوء على الظالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد امام الهادين، ومرشد العلماء والمتعلمين. وصحابته الذابين عن الملة المحمدية، المبينين معالمها للمسترشدين. واهل بيته الطيبين الطاهرين. ما سعد شخص بحبهم وودهم، وشقي آخر ببغضهم وصدهم.

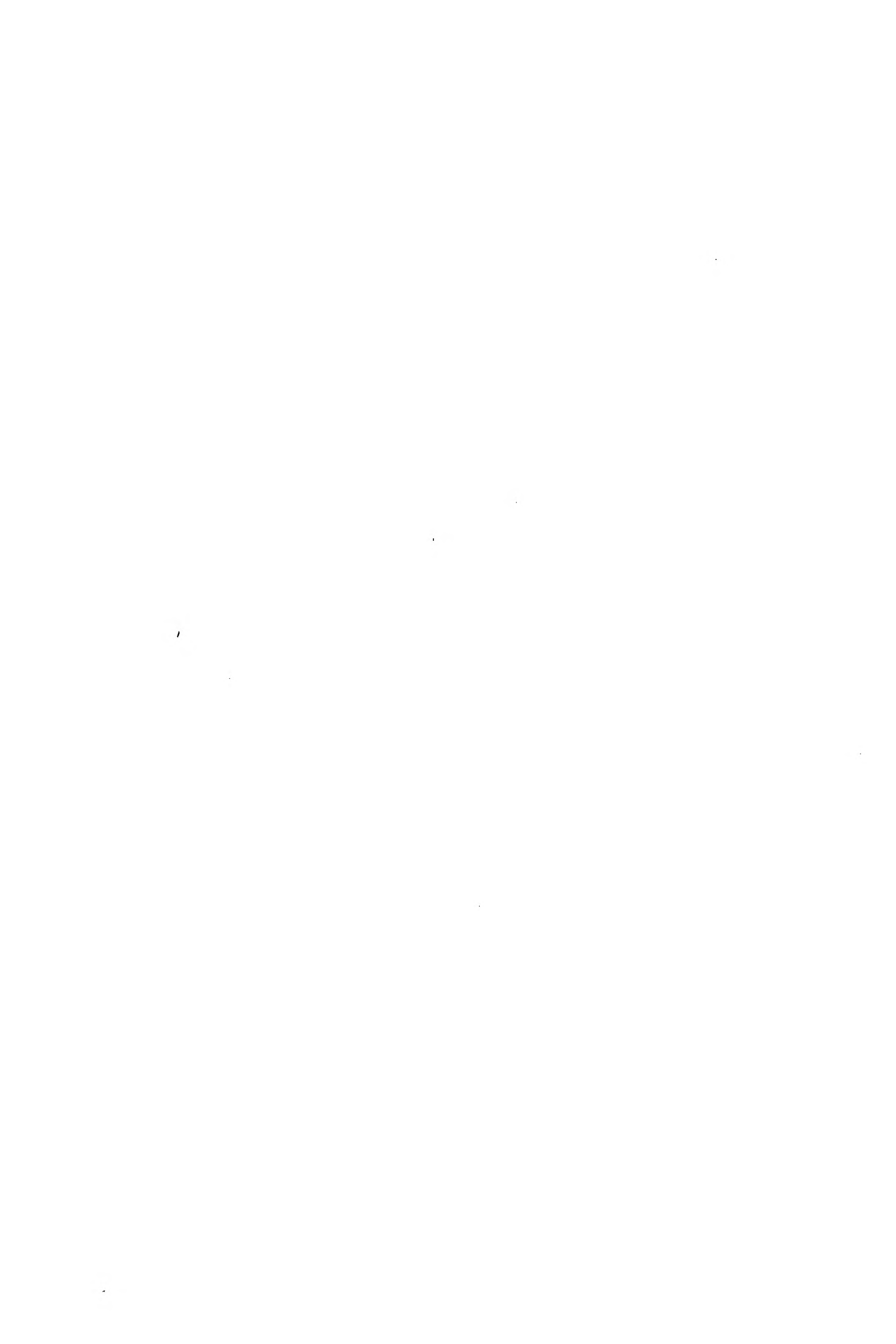
فان الله تعالى قد اختص عبادة اهل العلم السنية واهل البيت النبوة تخصيصا بالشرف العلي، وحباهم رفيع الدرجات، وجعل محبتهم ومودتهم من اجل القربات، واعلى المثوبات، والانتصاب لعداوتهم والتصدي من اعظم الموبقات، ودليل الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء زمننا وسكانه ... في الجهالة وما جبلوا عليه من السفالة والبغي ولما اقتضته حكمة الباري من حبهم للآثام وبغضهم للكرام فبذلوا غاية جهدهم في اخمال ذكرهم واسقاط كلمتهم ... ابوا ساعون ليطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون. ولله در شيخ مشايخنا شيخ الاسلام العلامة الامام ابي زرعة الولي بن العراقي حيث يقول من ابيات ... شيخه شيخ الاسلام ... العصر الشرف المناوي لعمهما الله برحمته:

هذا زمان فيه ترفع الحكم ... وذاك من اعظم خطب قد الم

مرادهم ان يطفئوا نور الهدى ... لا بلغوا ولا اسعوا ما اليه ...

فاستخرت الله تعالى في تاليف رسالة كافلة بعظم حق هؤلاء الشرفاء

الورقة الاولى من نسخة وقف الحاج امين افندي (م)



وإذا انتظام الطرفين انتظم جواهرها في عقدين وانضمامها إلى قسمين
القسم الأول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك وفيه ثلاثة
أبواب الباب الأول في إيراد الأدلة الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب
توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم الباب الثاني
في بيان منشأ بغضهم وأنه إثم ومقتاً وأنه يجرهم لأهل البيت الكرام ومحبة
الإثم للآثم والتحذير من موالاة من عادى العلماء ومن شر وعنه تجنب
وتعداد عمله والأخذ بمعالي الهمم والإعراض عن سفسافها الباب
الثالث في آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم القسم الثاني
في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكراً الأول
ذكر تفضيلهم بما أنزل الله عز وجل من تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم وتحريم
الصدقة عليهم وعظم شرف أصلهم واصطفائهم وأنهم خير الخلق الثاني
ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليهم في امتثال ما شرعه الله من
الصلاة عليه ووجه الدلالة على إيجاب ذلك في الصلوات الثالث ذكر
السلام عليهم من رب البريات الرابع ذكر حثه صلى الله عليه وسلم الأمة
على التمسك بعده بكتاب ربهم وأهل بيت نبيهم وأن لا يتخلفوا عنهما بحيزه
وسؤاله صلى الله عليه وسلم من يرد عليه الحوض عنهما وسؤال ربه عز
وجل الأمة كيف خلفوا نبيه صلى الله عليه وسلم فيهما ووصيته صلى
الله عليه وسلم بأهل بيته وأن الله تعالى أوصاه بهم وقوله استوصوا
بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصيمه أخصمه ومن أخصمه
دخل النار [illegible] من حثه صلى الله عليه وسلم على حفظهم والتحذير من
بغضهم الخامس ذكر أنهم أمان للأمة وأنهم كسفينة نوح عليه الصلاة والسلام

الورقة الثانية من نسخة وقف الحاج أمين افندي (م)

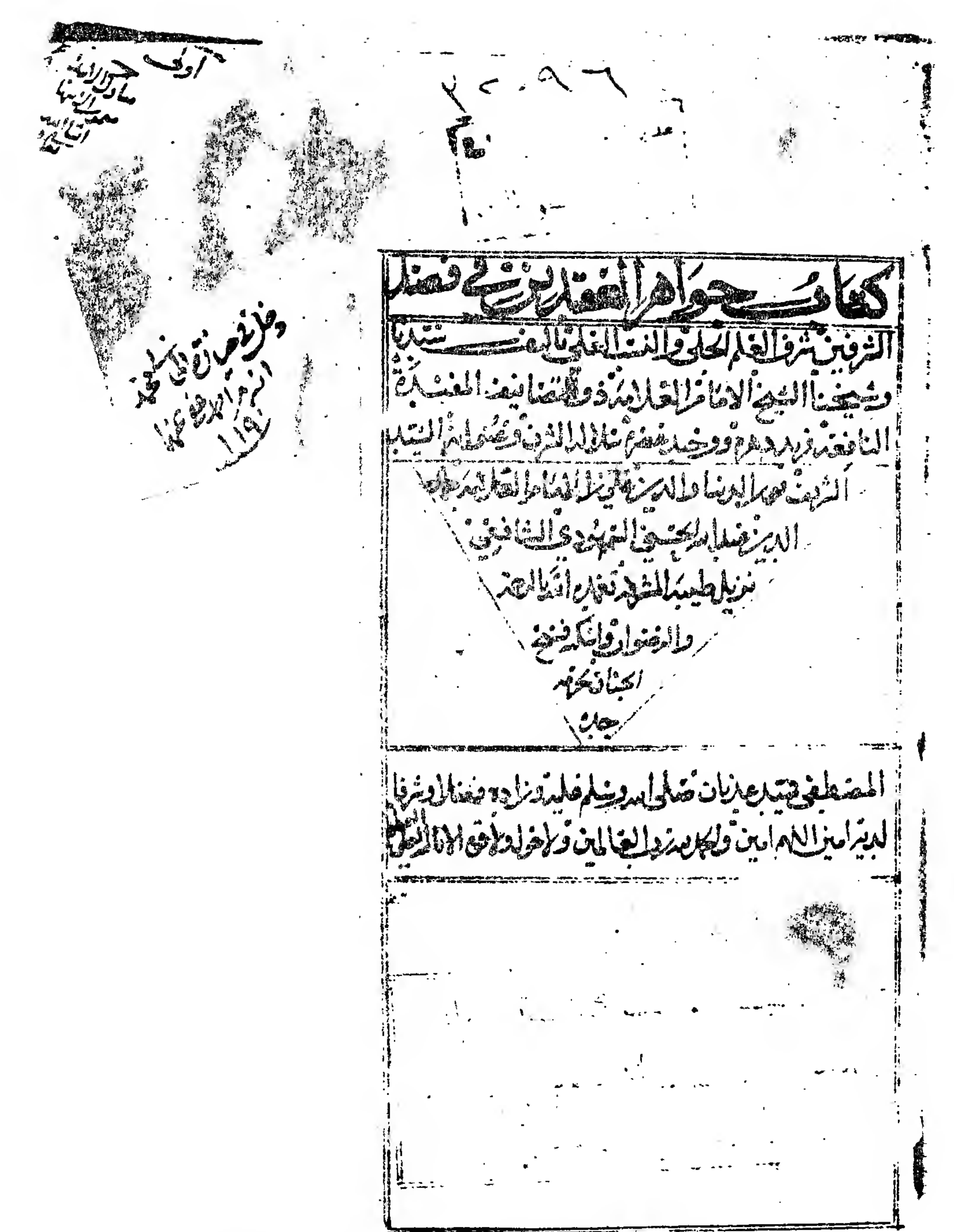


في قبضتك فتقدم بالتوكيل علي فان مضت ثلاثة ايام ولم تحدث على عبد الله
ابن مصعب حادثة فدمي لامير المؤمنين حلال فقال الرشيد خذ بيد موسى
فليكن عندك حتى انظر في امره قال الفضل فوالله ما صليت العصر في ذلك
اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبد الله بن مصعب فاخبرت انه قد
اصابه الجذام وتورم فصرت اليه فوالله ما كدت اعرفه لانه صار كالزق
العظيم فصرت الى الرشيد فعرفته خبره فما انقضى كلامي حتى اتاني خبر
وفاته فبدرت بالخروج وامرت بتعجيل امره فلما دلوه في حفرته انخسف
بهم حتى انخسفه قبره وخرجت منه رائحة مفرطة النتن فطرحت فيه
احمال شوك مرت علينا فانخسفت ثانيا فطرحت عليه الواح ساج ثم
طرح التراب عليه فاعلمت الرشيد بذلك فاكثر التعجب وامر بتخلية موسى
ابن عيسى رحمه الله واعطاه الف دينار وساله عن العدول عن اليمين
المغلظة فقال لانا روينا عن جدنا علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال ما من احد حلف بيمين مجد الله فيها الا استحى الله من
عقوبته وما من احد يحلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته الا عجل
الله العقوبة قبل ثلاث قال المسعودي وقيل ان صاحب هذه القصة
يحيى بن عبد الله لا موسى بن عبد الله وكرامات اهل هذا البيت
لا تحصى ولولا ما اشتهر منها لما اشتهر كتابنا هذا باتفاقه
ذكر ما بسطه ابن ... في رياض الافهام عقب حديث رد الشمس من
حديث علي رضي الله عنه انه كان راس النبي صلى الله عليه وسلم في حجره والوحي
ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم وان علي رضي الله عنه لم يصل العصر فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد
عليه فردها الله تعالى فصلى علي رضي الله تعالى
عنه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

خاتمة الكتاب

الورقة الاخيرة من نسخة وقف الحاج امين افندي (م)




كتاب جواهر العقدين في فضل
الشرفين شرف العلم الجلي والنسب العلي تأليف سيدنا
وشيخنا الشيخ الامام العلامة ذو التصانيف المفيدة
النافعة [illegible] نور الدين [illegible]
الشريف [illegible]
الدين [illegible] السمهودي الشافعي
نزيل طيبة المشرفة تغمده الله بالرحمة
والرضوان وأسكنه فسيح
الجنان [illegible]
[illegible]
المصطفى حبيب [illegible] صلى الله عليه وسلم فليه [illegible] فضلا وشرفا
[illegible] امين الله امين والحمد لله رب العالمين [illegible]

ورقة العنوان من نسخة محمد بن يحيى ( الاصل )



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز اولياءه لاعلام الدين • وقضى بودهم
ومحبتهم وخذل اعداءه الذين هم للاعلام معادين • وامر
ببغضهم • ونهى عن قربهم وجعل العاقبة للمتقين • ودايرة
السوء على الظالمين • والصلوة والسلام على سيدنا محمد
امام الهادين • ومرشد المخلصين والمتعلمين • وصحابته
الذابين عن الملة المحمدية • المتبعين معالمها المسترشدين •
واهل بيته الطيبين الطاهرين • ما تعبد بحبهم وودهم
وشقي اخر ببغضهم وصدهم • اما بعد فان الله قد
اختص من عباده اهل العلم النبوي • واهل البيت النبوي بتشريفهما
الشرف العلي • وخصهم برفع الدرجات • وجعل محبتهم
ومودتهم من اعظم القربات • واعلى المثوبات • والانتصاب
لعداوتهم والتصدي لاذيتهم من اعظم الموبقات • وقد كثر
الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء زماننا • ويكادوا بارزا
لا لما لهم في الجهالة • وما جبلوا عليه من السفاهة والنذالة •
ولما اتضحت حكمة السنا بسبب محبتهم للامر وبغضهم للكرام •
فيبذلون غاية جهدهم في اخمال ذكرهم واسقاط كلمتهم ونهبهم
وازرهم وهم لله كذا ابدا ساعون ليطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون وبتدبير ...

الورقة الاولى من نسخة محمد بن يحيى ( الاصل )



شيخ الإسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمدهما الله تعالى [illegible]
الإمام الذي رفعه الولي من العلا في حيث يقول من أبيات فيما
أنبأني به شيخنا شيخ الإسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمدهما
الله برحمته آمين

| | |
|---|---|
| هذا زمان فيه رفع الحكم ٥ | وذاك من أعظم خطب قد ألم ٥ |
| أراد مراده أن يطفئوا نور الهدى ٥ | ألا بلغوا واستقووا أما الدم ٥ |

فاستخرت الله تعالى في تأليف رسالة كافلة بتعظيم حق هذين
الشرفين وأدائهما من الطرفين ناظم جواهرها في عقدين وقسمتها
إلى قسمين القسم الأول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات
ذلك وفيه ثلاثة أبواب الباب الأول في إيراد الأدلة
الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم
والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم الباب الثاني
في بيان منشأ معاداتهم ومعادات غيرهم من أهل البيت الكرام
ومحبتهما للنيام [illegible] والتحذير من معادات من عادى العلماء
ومشروعية هجرهم وتحقيرهم والأخذ بيدها إلى الحلم والإعراض
عن شغبنا الباب الثالث في إيجاب العلماء وتعظيم
منهم والآخذين عنهم القسم الثاني في فضل أهل البيت النبوي
وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكرا الأول ذكر تفضيلهم بما أنزل
الله عز وجل من تطهيرهم وإذهاب الرجس عنهم وتحريم الصدقة عليهم

٥ موالات

الورقة الثانية من نسخة محمد بن يحيى ( لاصل )



وهذا ما يسر الله عز وجل جمعه وتأليفه في هذا الزمن جعله
الله خالصاً لوجهه الكريم نافعاً للمسلمين شافياً لصدور قوم مؤمنين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً
دائماً إلى يوم الدين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله قال مؤلفه نفع الله به وعامله بخفي لطفه
فرغت من تأليفه في اليوم المبارك الثامن من شهر ربيع الثاني عام سبع
وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده لا شريك له ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلي العظيم كان الفراغ من رقم هذه النسخة المباركة
نهار الخميس المبارك سلخ شهر الحجة الحرام [illegible]
سنة ثمان وسبعين والف
محمد صلى الله عليه وعلى
آله وسلم

بلغنا به سيدنا الشيخ الفاضل العلامة الماجد الكامل شمس الدين أحمد بن جابر المؤذن
ختم الله لنا وله بالصالحات ورفع في الدارين الدرجات بحق سيدنا محمد عليه وعلى
آله أفضل الصلوات بخط أفقر عباد الله إليه المعترف بالخطأ والتقصير
الراجي عفو الملك القدير محمد بن يحيى بن [illegible] عفى الله عنه آمين اللهم [illegible]

الورقة الاخيرة من نسخة محمد بن يحيى ( الاصل )



جماعة من مشايخنا بالعراق قالوا شاهدنا ابا منصور المظفر ابن اردشير
العبادي الواعظ وقد جلس بالناحية مدرسة بباب ابن زعفرانة
ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه
وطرزه بعبارته ونمقه بالفاظه وذكر فضايل اهل البيت فنشأت
سحابة غطت الشمس حتى ظن الناس انها قد غابت فقام ابو منصور
على المنبر قائما واوما الى الشمس وانشد شعرا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان اردت ثناءهم ... انسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت وقد كان مقصود هذا
التاليف بذل النصيحة للخليفة اتبعته بقولي

لا غرو في بني محاسن معشري ... بالواضح التبيان والبرهان
نصحا لهم ولامة رضيت ... مودتها لهم في محكم القران
فالنصح اوجبه علينا ربنا ... للكل في سر وفي اعلان
هذا وما استقصيت منهم لم ... بالمنطق الافصى من التبيان
الا وعندي ان ما قد فاتني ... اضعاف ما قد قلت في ازمان
فمحاسن الآل الكرام كثيرة ... لم يحصها احد سوى المنان
من اجل ذلك تابعهم احمد ... خير الخليقة سيد الاكوان
صلى عليه الهنا وعليهم ... والصحب ما الخضر زيا افنان

الورقة ما قبل الاخيرة من نسخة محمد بن يحيى ( الاصل )





كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين
شرف العلم الجلي والنسب النبوي تأليف الشيخ
الإمام العلامة ذي التصانيف المفيدة النافعة
السيد الشريف نور الدين أبو الحسن
علي بن سيدنا الشريف الإمام
العلامة جمال الدين عبد الله
الحسني السمهودي
الشافعي
نزيل
طيبة
المشرفة رحمه الله تعالى وجزاه خيرا وتقبل منه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الراشدين وسلم

ورقة العنوان من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز اولياءه اعلام الدين وقضى بودهم وحبهم وخذل اعداءه الذين هم للاعلام معادين ومظهر
بغضهم ونهى عن قهرهم وجعل العاقبة للمتقين ودائرة السوء على الظالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
امام الهادين ومرشد العالمين والمتعلمين وصحابته الدارسين على الملة الحنيفية المبينين معالمها المسترشدين
واهل بيته الطيبين الطاهرين ما سعد شخص بودهم وحبهم وشقي اخر ببغضهم وصدهم اما بعد
فان الله تعالى قد اختص عباده اهل العلم السني واهل البيت النبوي بتخصيص الشرف العلي وحباهم رفيع الدرجات
وجعل محبتهم ومودتهم من اهم القربات واعلى المثوبات والانتصاب لعداوتهم والتصدي لاذيتهم من اعظم الموبقات
ونو كثر الاذى والمعاداة لهم من بعض اشقياء زماننا وسكان ديارنا الا صالتهم في الجهالة وما جبلوا عليه من السفالة والنذالة
وما اقتضته حكم التناسب من حبهم للئام وبغضهم للكرام فيبذلون غاية جهدهم في اخمال ذكرهم واسقاط كلمتهم [illegible]
وهم سالكون منهاج من يطفئون نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ولله در شيخ مشايخ الاسلام
العلامة ابو زرعة الولي ابن العراقي حيث يقول من ابيات فيما انبانيه شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي [illegible]
رحمه شعره هذا زمان فيه ترفع الحكم وذاك من عظم خطب قد الم مرادهم ان يطفئوا نور الهدى لا بلغوا ولا شفوا ما [illegible]
فاستخرت الله تعالى [illegible] فله بتعظيم هذين الصنفين الشريفين واداء ما من الطرفين انظم جواهرها في عقدين واسميها [illegible]
القسم الاول في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلك وفيه ثلاثة ابواب الباب الاول في ايراد الادلة الدالة
على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم والتعذير ببغضهم والاذى لهم الباب الثاني في بيان مفاسد معاداتهم
ومعاداة غيرهم من اهل البيت الكرام ومحبة اللئام للئام والتحذير من موالاة من عادى العلماء ومشروعية هجرهم [illegible] والاخذ [illegible]
والصمم والاعراض عن سفيهها الباب الثالث في اداب العلماء والمتعلمين منهم والاخذين عنهم القسم الثاني في فضل
اهل البيت عليهم سلام النبوة وشرفهم العلي وفيه خمسة عشر ذكرا الاول ذكر [illegible] بما اراده الله عز وجل من تطهيرهم واذهاب
الرجس عنهم وتحريم الصدقة عليهم وعظيم شرفهم وشرف اصلهم واصطفائهم وانهم خير الخلق الثاني ذكر امره صلى الله عليه وسلم
بالصلاة عليهم وامتثال ما شرعه الله تعالى من الصلاة عليه وعليهم والدلالة على ايجاب ذلك في الصلوات الثالث ذكر التسليم عليهم من رب
البريات الرابع ذكر حثه صلى الله عليه وسلم الامة على التمسك بعده بكتاب ربهم واهل بيت نبيهم صلى الله عليه وسلم [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible] الحوض [illegible] كيف خلفتموه فيهما ووصيته صلى الله عليه وسلم باهل بيته
وان الله تعالى اوصاه بهم وقوله استوصوا باهل بيتي خيرا فاني اخاصمكم عنهم غدا ومن اكن خصمه اخصمه ومن اخصمه دخل النار وما جاء في
حثه صلى الله عليه وسلم على حفظهم والتجاوز عن مسيئهم الخامس ذكر انهم امان [illegible] للامة وانهم كسفينة نوح عليه الصلاة والسلام من ركبها
نجا ومن تخلف عنها غرق وانهم كباب حطة في بني اسرائيل السادس ذكر ان نسبه صلى الله عليه وسلم موصولة في الدنيا والاخرة وان نسبه وسببه
لا ينقطعان واختصاص ولد ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنسبتهم اليه صلى الله عليه وسلم [illegible] السابع ذكر ان الله عز وجل وعده
صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب اهل بيته وان لا يدخلهم النار وكلفه صلى الله عليه وسلم [illegible] ادخالهم الجنان وبشارتهم بها وقوله يا بني هاشم اني قد
سالت الله عز وجل ان يجعلكم نجباء رحماء وسالته ان يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم وما خصوا به من الكرامة [illegible]
في [illegible] الثامن ذكر دعائه صلى الله عليه وسلم بالبركة في نسل البتول والمرتضى رضي الله عنهما وان يخرج منها كثيرا طيبا وقوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ودعائه لعلي رضي الله عنهما بمثل ذلك وان المهدي الموعود به لاقامة الدين اخر الزمان من اهل

بيته

بالشام

الكرام

خصمته

وكفله

الورقة الاولى من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)



الورقة الاخيرة من نسخة وقف ابراهيم فصيح الحيدري (ب)

## بِسمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم[1]

اَلْحَمْدُ للهِ الّذي أَعزّ أَوْليَاءَهُ أَعْلامَ الدِّينِ ، وقَضَى بِوُدِّهِم وحُبِّهِمْ ، وخَذَلَ أَعداءَهُ الّذينَ هُمْ للأعْلامِ مُعَادِينَ ، وأمر بِبُغْضِهِمْ ، ونَهَى عَنْ قُرْبِهِمْ ، وجَعَلَ العَاقبةَ لِلْمُتّقِينَ ، ودَائِرَةَ السُّوءِ عَلَى الظّالمينَ ، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِنَا محمدٍ إمامِ المُتّقينَ ، ومُرْشِدِ المُعلّمينَ والمُتعلّمينَ ، وصَحابَتِهِ الذّابينَ عَنْ الملّةِ المحمديّة ، المُبَيِّنينَ مَعالمَها لِلْمُسْتَرشِدينَ ، وأَهلِ بيتهِ الطّيبينَ الطّاهرين ، مَا سعدَ شخصٌ بِحُبِّهم وودِّهِمْ ، وشُقِيَ آخرُ بِبُغْضِهِمْ وصدِّهِمْ .

وأَمّا بَعْدُ فإنّ الله [ تعالى ][2] قد إختصّ عِبادَه أَهلَ العِلْمِ السّنّي وأَهلَ البيتِ النّبَوي بخصيصِ[3] الشّرفِ العلي ، وحَبَاهُم رفيعَ الدّرَجاتِ ، وجَعَلَ محبّتهُمْ ومودّتَهُمْ من أَهَمِ القرباتِ ، وأَعلى المَثُوباتِ ، والانْتصَابُ لعداوتِهم ، والتّصَدِي لأذيّتِهم مِنْ أَعظَمِ الموبقاتِ ،

---

(١) في ( م ) : وصلى الله على سيدنا محمد .

(٢) ( تعالى ) : ساقطة من الاصل ، وهي في م ، ب .

(٣) كذا في : ( ب ) وهو الارجح ، وفي الاصل ، م : ( تخصصياً ) ، ولا يتفق مع سياق الكلام .

وقد كثر الأذى والمعاداة لهم من بعض أشقياء زماننا ، وسكّان ديارنا ، لا صالتهم في الجهالة ، وما جُبلوا عليه من السفالة والنذالة ، ولما إقتضته حكمة التناسب من حبهم اللئام وبغضهم للكرام ، فيبذلون غاية جهدهم في إخمال ذكرهم ، وإسقاط كلمتهم ، ونهيهم ، وأمرهم ، وهم بذلك أبداً ساعون ( أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ )(١) • ولله درّ شيخ مشايخنا [١ظ] شيخ الاسلام العلامة الامام أبي زرعة(٢) الولي بن العراقي حيث يقول : من أبيات فيما أنبأني به شيخنا شيخ الاسلام فقيه العصر الشرف المناوي تغمده الله برحمته آمين :

هذا زَمَانٌ فيه تُرفَعُ الحكَمْ
وذاكَ مِنَ أعظم خَطْبٍ قَدْ أَلَمْ

---

(١) سورة التوبة الآية : ٣٢ •

(٢) هو أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن أبي بكر بن ابراهيم الولي ابو زرعة ، الكردي الاصل المهراني القاهري ، قاضي الديار المصرية ، ولد في القاهرة سنة (٧٦٢هـ) ، وتربى فيها ، ودرس في الشام ، وعاد الى القاهرة ، وعلت مكانته فيها ، وولي القضاء ، وله كثير من المؤلفات في الفقه والاصول والتفسير وغيرها ، توفي في القاهرة سنة (٨٢٦هـ) ، الضوء اللامع ٣٣٦/١ ، البدر الطالع ٢/١ ، الاعلام ١٤٤/١ •

مرادهم[1] أن يُطفئوا نور الهدى
لا بلّغوا ولا سُقوا ماءَ الديمْ

فاستخرتُ اللهَ تعالى في تأليف رسالة كافلةٍ بعظيم حقِّ هذين الشّرفينِ، وآدابهما من الطّرفين، أنظمُ جواهرها في عقدين، وأقسمهما إلى قسمين :

القسم الأوّل في فضلِ العلمِ والعلماء، ومتعلقات ذلكَ وفيه ثلاثة أبواب : الباب الأول : في إيراد الأدلة الدالة على فضلِ العلمِ والعلماء، ووجوبِ توقيرهم وإحترامهم، والتحذيرِ من بُغضهم، والأذى لبعضِهمْ • الباب الثاني في بيان منشأ معاداتهم، ومعاداتِ غيرهم من أهل البيتِ الكرامِ، ومحبة اللئام[2] للئام، والتّحذير من موالات من عادى العلماء، ومشروعية هجره، وتحقير أميره، والأخذ بمعالي الهمم، والإعراض عنْ سفْسافها[3] • الباب الثالث : في آداب العلماء والمتعلمين منهم والآخذين عنهم •

القسم الثاني في فضل أهلِ البيتِ النّبوي وشرفهم العلي، وفيه خمسة عشرَ ذكراً •

---

(١) كذا في : م، ب، وفي الاصل : ( يراد مرادهم )، وهو زيادة من الناسخ •

(٢) في (م) : (اللام، للام)، وفي الاصل، (ب) : (الليام) بقلب الهمزة ياءً، وقد وافقتُ في الكتابة الخط الحديث، وكذا تحقيق الهمزة في المواضع القادمة •

(٣) كذا في الاصل، م، وفي ب : ( سفسيفها ) •

الأول : ذكرُ تفضيلهم بِمَا أَنزل الله عزَّ وجلَّ من تطهيرِهم واذهابِ الرجسَ عنهم ، وتحريمِ الصدقةِ عليهم [٢و] وعظيمِ شرفِ أَصلهم واصطفائِهم ، وانَّهُمْ خيرُ الخلقِ .

الثاني : ذكرُ أمرهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ بالصَّلاةِ عليهم في إمْتثالِ ما شرَّعَهُ اللهُ من الصَّلاةِ عليه ، ووجهُ الدلالةِ على إيجاب ذلكَ في الصَّلَواتِ .

الثالث : ذكرُ التَّسليمِ عليهم من ربِّ البريَّاتِ .

الرَّابع : ذكرُ حثِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ الأُمةَ على التَّمسكِ بعدَهُ بِكتاب ربِّهم ، وأَهلِ بيتِ نبيِّهم ، وأَن يُخلفوهُ فيهما بخيرٍ ، وسؤاله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم من يرد عليه الحوضَ عنهما ، وسؤال ربِّهِ عزَّ وجلَّ الأمةَ ، كيفَ خلفوا نبيَّهُ صلَّى الله عليه وآلهِ وسلَّم فيهما ؟ ووصيتهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم بأهل بيتهِ ، وأن اللهَ تعالى أوْصَاهُ بهم ، فقولهُ : ( استوصوا بأهل بيتي خيراً فانِّي اخاصمكم عنهم غداً ، ومن أكُن خصيمَهُ أَخصمهُ ، وَمَنْ أَخصمهُ دخلَ النَّارَ )[١] ، وما جاءَ من حثِّهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم على حفظهم والتجاوز عَنْ مُسيئهم .

---

(١) سوف يُخرَّج هذا الحديث والاحاديث التي ترد بعده في مقدمة المؤلف عند ورودها في الجزء الثاني ، اي في فضل أهل البيت النبوي وشرفهم العلي .

الخامسُ : ذكـرُ أنّهُم أمـانٌ للأمـة ، وأنّهم كسفينة نوحٍ عليه الصّلاةُ والسّلامُ من ركبهـا نجـا ومن تخلّفَ عنهـا غرِقَ ، وأنهم كبـابِ حطّة في بني اسرائيل .

السّادسُ : ذِكرُ أنّ رحمَهُ صلّى الله عليه وآله وسلّم موصولة في الدُّنيَـا والآخرةِ ، وأنّ نسبَهُ وسـببَهُ لا ينقطعان ، واختصاص ولـد ابنته فاطمـة الزهراء رضيَ اللهُ عنها وعنهم بأنّهُ صلّى اللهُ عليـه وآله وسلّم أبوهم وعصبتهم .

السّابِعُ : ذِكرُ أنّ اللهَ تعالى عزّ وجلّ ، وعدَهُ صلّى اللهُ عليه وآلـه وسلّم أن لا يعذبَ أهلَ بيتهِ ، وأنْ لا يدخلهم [٢ظ] النيران ، وكلفه صلّى الله عليـه وآله وسلّم بادخالهم الجنان ، وبشارتهم بهـا ، وقوله : ( يـا بني هاشـم إنّي قـد سألتُ اللهَ عزّ وجـلّ أنْ يجعلكم نُجبَاءَ رُحماءَ ، وسألتهُ أنْ يهديَ ضالّكم ، ويؤمنَ خائفكم ، ويشبعَ جائعكم ) ، وما خُصّوا بهِ من الكرامةِ بالشّفاعةِ في القيامةِ .

الثّامنُ : ذِكرُ دعائه صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم بالبركةِ في نسلِ البتولِ والمرتَضى رضيَ اللهُ عنهما ، وأن يخرجَ اللهُ منهما كثيراً طيّباً ، وقوله صلّى اللهُ عليه وآله وسلم : ( اللهم إنّي أُعيذها بكَ وذريّتَها من الشيطان الرجيم ) ، ودعـائه لعليٍّ رضيَ اللهُ عنـهُ بمثلِ ذلكَ ، وانّ المهدي الموعود به لاقامةِ الدّين آخر الزّمان من أهل بيتهِ ، ثم من نسلهما .

التَّاسعُ : ذِكرُ الدلالة على ما شرَّع من حُبِّهم ، ووجوب ودِّهم من الكتابِ العظيم .

العاشرُ : ذِكرُ الأحاديثِ الواردة في الحثِّ علَى حُبِّهم ، وأنَّهُ لا يدخلُ قلبَ رجلٍ الايمانُ حتَّى يُحبَّهم للهِ ولقرابتهم من رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ، والتحذير من آذاهم ، وأنَّ من آذاهم ، فقد آذاهُ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، ومن آذاهُ ، فقد آذا اللهَ عزَّ وجلَّ .

الحادي عشر : ذِكرُ التحذيرِ من بغضهم وعداوتهم ، وأنَّهُ لا يبغضهم أحدٌ إلاّ أدخلَهُ اللهُ النَّارَ ، وأنَّهُ لا يبغضهم إلاّ المنافق ، ولعن من ظلمهم وتحريم الجنَّةِ عليه .

الثَّاني عشر : ذِكرُ الحثِّ علَى صلتهم ، وإدخالِ السُّرور عليهم ، وأنَّ عيادةَ بني هاشم فريضةٌ ، وزيارتَهم نافلةٌ ، وأنَّ من اصطنعَ إلى أحدٍ من أهلِ بيتهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم يداً كافأهُ عليها يوم القيامة ، وأنَّ للهِ تعالَى ملائكةً سيّاحينَ في الأرضِ وُكِّلُوا [٣و] بمعونةِ آلِ محمدٍ صلَّى اللهُ وسلَّم عليه وعليهم ، وأنَّ الفضلَ والشَّرفَ والمنزلةَ والولايةَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم وذرِّيتهِ .

الثالث عشر : ذِكرُ ما درجَ عليه السَّلفُ من توقيرهم وتعظيمهم ، واعترافهم بعظيم حقوقِهم .

الرابع عشر : ذِكرُ شيءٍ مِمَّا أخبرَ بهِ المصطَفى صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم مِمـا حصلَ بعدَهُ عليهم ، وفيما أُصِيبَ بهِ منَ الانتقام من أساءَ اليهم ٠

الخَامِسُ عشر : ذِكـرُ مـا يطلبُ لهُـم من الآداب الزَّكيَّةِ والأَخلاقِ السَنيَّةِ ، والهممِ العليَّةِ ٠ وفقنا اللهُ وإيَّاكم لسلوكِ سبيلِهاَ والتَّحلي بجميلهاَ ٠

وسميتُهـَا ( جَوَاهِرِ العِقدينِ في فضلِ الشَرفين شرفِ العِـلْمِ الجـلي والنسبِ العَـلي ) ، وقدَّمتُ الأوَّلَ ، لأَنَّ العَـلمَ هـو الامـامُ ، وختمْتُ بالثَاني لحيازهِ شرف الختام والمرجو من اللهِ تعالَـى أَنْ ينفعَ[1] بذلكَ ، وينقذَ[2] بـه مـن المهالك ، وباللهِ لا سِـوَاهُ أَعتصـمُ ، وأَسألهُ العَصمةَ مِمَّا يعصمُ ، فهو حسبي ونعم الوَكيل ٠

---

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي ب : ( ينفعنا ) ٠

(٢) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : ( ينقذنا ) ٠

## القسم الأول
## في فضل العلم والعلماء ومتعلقات ذلكَ
## وفيه ثلاثة أبواب

### الباب الأول
### في إيراد الأَدلة الدالة على فضل العلم والعلماء ووجوب توقيرهم واحترامهم والتحذير من بغضهم والأذى لبعضهم

قد تظاهرتِ الآيات، وصحيح الأخبار، والآثار، وتواترت الدلائلُ العقليةُ والنقليةُ، وتوافقتْ علَى هذا الغرض الذي أشرنا اليهِ، وعوّلنا[1] في هذا الباب عليه، وإنَّما نوردُ أَشياءَ من ذلك تنبيهاً على ما هُنالَكَ، ليُشرق قلبُ المؤمنِ [٣ظ] باليقين، ويَشْرَقَ صدرُ العدو اللّعين، ويُقَدِّرُ العُقلاءُ علماءَ الشريعةِ حقَّ قدَرِهم، وتمتلي بأَنوارِ ذلكَ صدُورُهم، فنقولُ: قالَ تعالى: ( هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ )[2]، وقال تعالى: ( يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ )[3]، وهو من عطف الخاص على العام، لأنَ العلماءَ أَخصُّ من المؤمنين، ويكونُ المعنَى أَنَّهُ

---

(١) في (ب) : وعولنا عليه في هذا الباب ، وما ذكرناه أولى .
(٢) سورة الزمر الآيـة : ٩ .
(٣) سورة المجادلة الآيـة : ١١ .

يرفعُ المؤمنينَ على غير المؤمنينَ ، ويرفعُ العلماءَ من المؤمنين علَى بقيَّة المؤمنين ، ولـذا جاءَ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قال : يرفعُ اللهُ الَّذينَ أُوتوا العلم علَى الَّذينَ آمنوا درجات[1] ، رواهُ الدارمي ، وفي روايةٍ لغيرهِ عن ابنِ عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : ( للعلماءِ درجاتٌ فوقَ درجاتِ[2] المؤمنين بسبعمائةٍ ، ما بين الدَرجتين خمسمائة سنة ) .

وفي روايةٍ عنهُ : ( ما بين الدرجتين مائة عامٍ )[3] ، في مسند الدارمي عن الزهري قال : ( فضلُ العالمِ على المجتهد ـ يعني في العبادة ـ مائةُ درجةٍ ، ما بين الدرجتين خمسمائةُ سنةٍ حُضْر الفرسً المضمر السريع )[4] ، وقولهُ : حُضرُ الفرس بضم الحاء المهملةِ يعني عدوَهُ .

وبهذا يتبينُ ما أُشيرَ اليه في قوله في الآية الأُولى : ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُون وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ )[5] . وقال تعالى : ( إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ )[6] ، أي لأنَّ خشيةَ اللهِ إنَّما تنشأُ عن العلمِ به ، وبصفات ذاتهِ ،

---

(١) ينظر كلام ابن عباس في سنن الدارمي ١/٨٤ .

(٢) ( درجات ) : ساقطة من م ، ب .

(٣) هذا جزء من حديث أورده ابن جماعة ، وهو بتمامه : ( العلماء فوق المؤمنين مائة درجة ما بين الدرجتين مائة عام ) ، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ص٥ .

(٤) الحديث ذكره الدارمي عن الزهري السنن ١/٨٤ .

(٥) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٦) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

وصفاتِ فعله ، ومن خامرَ قلبَهُ علمُ ذلك أورثَه الخشيةَ لله ، ولا تتمُ الخشيةُ بدون هذا العلم ، فإذا ضممتَ إلى هذه الآية قولَه تعالى : ( أُولئكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ )(١) . الى قوله : ( ذَلكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ )(٢) ، [٤و] حصلَ من مجموعِ ذلكَ ( أنَّ العُلَماءَ هُمُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللهَ تعالى ، وأنَّ الَّذينَ يخشونَ اللهَ تعالى هم خيرُ البريَّةِ ، فينتجُ العُلَماءُ هُمْ خَيرُ البَرِيَّةِ )(٣) ، وكَيْفَ وهُمْ ورثةُ الأنبياء كما يُعلَمُ ممَّا سيأتي ؟ ( فكما إنَّهُ لا رُتبةَ فوق رتبةِ النبوةِ ، فلا شرفَ فوقَ شرفِ وارثِ تلك الرتبة )(٤) . وقالَ تعالى : ( فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ )(٥) . فأوجبَ علَى مَنْ لا يعلم سؤالهم ، والرجوعَ إليهم ، وقالَ تعالى : ( شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ والملائِكَةُ وَأُلُوا العِلْمِ الآية )(٦) .

فبدأَ سبحانهُ بنفسهِ وثنَّى بملائكته وثلَّثَ بأهلِ العلمِ ، فناهيكَ بهذا شرفاً وجلالةً ونبلاً ، إذْ لو كانَ ثم من هو أشرفُ من العلماءِ لقرنَهُ اللهُ تعالى باسمهِ واسم ملائكتهِ ، كما قرنَ اسمَ العلماءِ .

---

(١) سورة البينة الآية : ٧ .
(٢) سورة البينة الآية : ٨ .
(٣) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .
(٤) النص للبدر بن جماعة ، تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .
(٥) سورة النحل الآية : ٤٣ .
(٦) سورة آل عمران الآية : ١٨ .

قلتُ : والسرُّ فيه أنَّ الشهادةَ مشتقةٌ من الشُّهُودِ المقتضي لتحققِ المشهودِ بهِ عندَ من شهدَ ، وأُولوا العلمِ أكملُ النَّاسِ علماً بوحدانيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وسائرِ صفاته ، قد خامرَ هذا العلمُ قلوبهم بحيثُ لا يغيبُ عنها ، وذلكَ منشأ جميع النعم ، فكانَ لهم هذهِ المنزلةُ ، وقالَ تعالى : ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً )[1] ، فانظر الى تخصيصه تعالى للعلمِ بالأمرِ لحبيبهِ وأشرف خلقه بطلبِ المزيدِ منهُ مع عظيمِ ما أنعمَ به عليه ممَّا لا يحيطُ بهِ إلاَّ اللهُ تعالى ، لأنَّهُ أصلُ النعمِ كلها ، فلو كانَ شيءٌ أشرفَ من العلمِ لأمرَ اللهُ حبيبَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم أَنْ يسألَهُ المزيدَ منهُ كما أمرهُ أَنْ يستزيدَ من العلمِ ، فأعظم بهذهِ الرتبةِ !

وقالَ تعالى : ( وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلماً وَقَالاَ الْحَمدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنا على [٤ظ] كثيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنينَ )[2] ، فتأمَّل هذهِ الآيات ، وما شتملت عليه من أنواع الدّلالاتِ علَى تفضيلِ العلمِ وأهله سيما الأخيرةُ ، فانَّ اللهَ تعالى آتى داودَ وسليمانَ عليهما الصلاةُ والسلامُ من نعمِ الدارين ما لا تنحصر[3] ، ولم يذكر من ذلكَ في صدرِ هذه الآيةِ في مساقِ الامتنان عليهما ، وشكرهما الجزيلُ ما أنعم

(١) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٢) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٣) كذا في : (م) وهو الارجح ، وفي الاصل ، (ب) : ( ينحصر ) .

بهِ إلاّ العلمُ ، ليبيّنَ أنّهُ الأصلُ في النِّعمِ كلها ، ( فَلَقَدْ كَانَ داودُ مِنْ أعبدِ البشر )[1] ، كما في صحيح مسلم[2] ، وذلكَ من آثارِ علمهِ ، وجمعَ اللّهُ لهُ ولابنهِ سُليمانَ عليهما السَّلام ما لَمْ يجمعْهُ لأحدٍ ، وجعل العلمَ أصلاً لذلكَ كلِّه ، وأشارَ داودُ وسليمانُ إلى هذا المعنَى بقولهما : ( الْحَمْدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ )[3] ، لأنَّ اللّهَ تعالى حكاهُ عنهما عقبَ قولهِ : ( وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً ) ، فأُفهِمَ أنَّهُمَا شكرا بهذا الحمد ما آتاهما إيّاهُ من أصلِ كلِّ النعمِ الَّذي هو ما نالاهُ من العلمِ ، وأنّهُ السببُ في التَّفضيلِ .

قالَ التّقي[4] السَّبكي ـ عقبَ ذكرِ هذا المعنى ـ : وإنّما قالَ ( وقالا ) بالواوِ دونَ الفاءِ ، لأنّهُ لو أُتيَ بالفاء كانَ بمنزلةِ قولكَ : فشكراً ، ويكونُ الشكرُ هو قولهما ذلكَ لا غيرَ ، فعدلَ الى الواوِ لما يُتوهَّم من الاقتصار في الشّكرِ على ذلك ، وليشير الى الجمع

---

(١) المستدرك للحاكم (٢/٤٣٣) .

(٢) لفظه في صحيح مسلم ( رقم ١١٥٩ ) « فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم فانه كان أعبد الناس » .

(٣) سورة النمل الآية : ١٥ .

(٤) هو علي بن عبدالكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السُّبكي تقي الدين أبو الحسن الشافعي ، ولد بسبك من اعمال المنوفية سنة (٦٨٣هـ) ، ودرس في القاهرة ، والشام ، وأصبح فقيهاً وحافظاً ومفسراً وولي القضاء في الشام سنة (٧٣٩هـ) ، واعتل واعادَ الى القاهرة وتوفي فيها سنة (٧٥٦هـ) . ينظر الدرر الكامنة ٣/١٣٤ ـ ١٤٢ ، الاعلام ٥/١١٦ .

في الإيتاء لهما بين العلم وقولهما ذلك المحقق لمقصود العلم من القيام بوظائف العبادة، وكل خصلة حميدة، فلذلك يوخذ منه مسائل، ذكر العلماء منها: (أن فضل العلم أفضل من فضل العبادة)[1]، ومنها: (أن العلماء أفضل من المجاهدين)[2]، ولهذا كان مداد العلماء أفضل [٥و] من دم الشهداء، وأعظم ما عند المجاهد دمه، وأهون ما عند العالم مداده، فما ظنك بأشرف ما عند العالم من المعارف والتفكر في آلاء الله تعالى، وفي تحقيق الحق، وبيان الأحكام، وهداية الخلق، ولذلك جعلوا ورثة الأنبياء، وهذا معنى قوله تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ)[3] انتهى.

قلت: وفي قوله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وآله وسلم: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)[4]، يوخذ منه التفضيل المذكور في المسألتين، وكذا مما قبله بضميمة ما تقدمت الإشارة اليه، وسنورد من الآثار[5] والأخبار ما يصرح بذلك.

---

(١) في مختصر جامع بيان العلم وفضله: (فضل العلم أعجب الي من فضل العبادة) ص١٨.

(٢) الحديث ذكره ابن عبدالبر عن أبي هريرة، وهو: (للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩.

(٣) سورة النمل الآية: ١٦.

(٤) سورة طه الآية: ١١٤.

(٤) كذا في الاصل، (ب)، وفي (م): (الاخبار والآثار).

فعن أَبي أُمامة الباهلي رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: ( ذُكِرَ لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم رَجُلانِ: أَحَدُهُما عَابِدٌ، والآخَرُ عَالِمٌ، فقالَ: فَضْلُ العَالِمِ علَى لعَابِدِ كَفَضْلِي علَى أَدْنَاكُمْ )[1]. ومن ثم قالَ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم: ( إنَّ اللهَ وملائكتَهُ وأَهلَ السَّمَاواتِ والأَرضِ حتَّى النملةَ في جُحْرِهَا، وحتَّى الْحُوتَ لَيُصَلّونَ علَى معلمِي النَّاسِ الخيرَ )[2]. رواهُ الترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، ورواهُ البزّارُ مختصراً من حديث عائشة، بلفظ ( معلم النَّاسِ الخيرَ يستغفر لهُ كلُّ شيء حتَّى الحيتانُ في البحر )[3].

وجاءَ مطولاً عن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم يقول: ( مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ طَرِيقاً إلى الجنَّةِ، وإنَّ المَلائِكَةَ لتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضَاً بما يصنعُ، وإنَّ العَالِمَ يستغفِرُ لهُ من في السماواتِ ومن في الأرضِ حتَّى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالِمِ على العابدِ [٥ظ] كفضلِ القمرِ عَلَى الكَواكِبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياء،

---

(١) الحديث رواهُ الترمذي بنفس السند، صحيح الترمذي ١٠/١٥٧.

(٢) الحديث رواهُ الترمذي وفيه ( الارضين ) مكان ( الارض )، و ( معلم ) مكان ( معلمي )، ١٠/١٥٧، وانظر ابن ماجة ١/٨٧.

(٣) ورواهُ ابن ماجة عن أبي الدرداء بلفظ مغاير لهذا الحديث. سنن ابن ماجة ١/٨٧.

إنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً إنَّما ورَّثوا العلمَ ، فمن أَخذه أخذَ بحظٍّ وافرٍ )[1] رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبَّان وصحَّحه ، وأحمد بنحوه باختصار ، وكذا الحاكم وصحَّحه ، والبيهقي ، ولفظه : ( من غدا يريدُ العلمَ يتعلَّمه فتح اللهُ له باباً إلى الجنَّة ، وفَرشت له الملائكةُ أَكنافها ، وصلَّى عليه ملائكةُ السَّماء وحيتانُ البحرِ ، وللعالم من الفضلِ على العابدِ كالقمرِ ليلة البدرِ على أصغر كوكبٍ في السماءِ الحديث ، وزادَ في آخره ، موتُ العالمِ مصيبةٌ لا تُجبَرُ ، وثلمةٌ لا تنسدُّ ، وهو نجمٌ طُمِسَ ، وموتُ قبيلةٍ أَيسرُ من موتِ عالمٍ )[2] .

وأَخرجَ الدَّيلمي والحافظ عبدالغني منه عن البرّاء بن عازب رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً : ( العُلَماءُ ورثةُ الأَنبياءِ يُحِبُّهم أَهلُ السماء ، ويستغفرُ لهم الحيتان في البحرِ إذا ماتُوا الى يَوْمِ القِيامةِ )[2] .

وللدرامي في مسنده عن مكحول رفعه : ( انَّ اللهَ وملائكته وأهلَ سماواتهِ وأرضه ، والنونَ في البحرِ يُصلّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيرَ )[3] .

---

(١) الحديث رواه ابن حنبل ١٩٦/٥ ، ابو داود ٢٨٥/٢ ، الدارمي ٨٣/١ ، ابن ماجة ٨١/١ .

(٢) ذكر آخر الحديث من قوله : موت العالم ... الخ محمد بن علي الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٩٥ .

(٣) ذكره الدارمي جزءاً من حديث عن ابن مكحول ، وهو بتمامه : ( فضل العالم على العابد كفضلي عن أدناكم ، ثم تلا هذه الآية : ( انما يخشى الله من عباده العلماء ) ان الله وملائكته ... الخ ) . سنن الدارمي ٧٥/١ .

قلتُ : والصلاةه من الله تعالى بمعنَى الرحمة ، ومِنَ الملائكةِ بمعنى الأستغفارِ المُعبَّرِ بهِ في الرِّوايةِ الأُخرى ، ولا رتبةَ فوقَ رتبةِ مَن تشتغلُ الملائكةُ وغيرهم من المخلوقات بالأستغفارِ والدُّعاءِ لهُ حتَّى تقومَ القيامةُ علَى ما أشارت اليه روايةِ الديلمي ، لأنَّ العلمَ يُنتفعُ بهِ بعدَ موتِ العالمِ إلى يومِ القيامةِ ، ولهذا كانَ ثوابُهُ غيرَ منقطعٍ بموته كما سيأتي ، وانَّهُ ليُتنافسُ في دعوةٍ من رجلٍ صالحٍ ، فكيفَ بدعاءِ الملائكةِ ؟ خصُوصاً ملائكةِ السَّماءِ ، وقدْ أُختُلفَ في معنَى وَضْعِ أجنحتِها فقيلَ التواضعُ لهُ ، وقيلَ النُّزُولُ عندَه والحضورُ معهُ ، وقيلَ التَّوقير والتَّعظيم لهُ ، وقيلَ معناهُ : تحمله عليها فتعينه علَى بلوغِ مقصده .

قلتُ : والأقربُ كونهُ بمعنَى ما يُنظِّمُ هذهِ المعاني كلَّها ، كما يرشدُ اليهِ الجمعُ بينَ ألفاظِ الرِّوَايات ، فسيأتي في روايةٍ عن معاذ رضيَ اللهُ عنهُ ما لفظَهُ : ( ترغبُ الملائكةُ في خلتهِم وبأجنحتها تمسحُهم )[1] .

وعن صفوان بن عسّال المُرادي[2] قالَ : ( أتيتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم ، وهو[3] في المسجدِ

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٧ .

(٢) في (ب) : ( رضي اللهُ عنه ) .

(٣) في (ب) : ( وهو جالس في المسجد ) ، وهذا مخالف لما جاء في رواية الحديث التي ذكرها الطبراني في الكبير ٨/٦٤ ، والشعراني في كتابه كشف الغمة ١/١٧ .

مُتَّكِيءٌ على بردٍ له أَحمر ، فقلتُ لـهُ : يا رسولَ اللهِ إنّي جئتُ أطلبُ العلمَ • فقالَ : مرحباً بطالبِ العلمِ انَّ طالبَ العلمِ لتحفّهُ الملائكةُ بأجنحتها ثم[1] يركبُ بعضهُم بعضاً حتّى يبلغوا السَّماءَ الدُّنيا من محبتهم لما يطلبُ )[2] ، رواهُ الطّبراني في الكبير برجالِ الصَّحيح •

وأَمّا الهام الحيوانات الاستغفار لهم ، فقد قيلَ لأنّها خُلقت لمصالح العباد ومنافعهم ، والعلماءُ هم الّذينَ يُبيِّنونَ ما يحلُّ منها وما يحرمُ ، ويوصون بالاحسانِ إليها ، ونفي الضَّررَ عنها ، حتّى انَّ ما يحلُّ قتلهُ منها يُبيِّنُونَ الأَمرَ فيهِ باحسانِ القتلة ، والنَّهي عن المُثلة ، فكان اشتغالهم بذلكَ هو اللائقُ بشكرِ هذه النعمةِ •

قلتُ : وينشأ عن فهمِ هذا أَنَّ بني آدم أَوْلَى بذلكَ في حقِّ علمائِهم ، لأَنَّهم أَحْوَجُ إلى العلمِ ، ويعودُ عليهم من فوائده ما لا يعودُ على غيرهِم من الحيوانات ، فيُستَفادُ[3] من ذلك الاشارة الى حثهم [٦و] على الاشتغالِ بمثلِ ذلكَ ، وأَعْلَى منهُ في القيامِ بحقِّ العلماء شكراً لنعمةِ العلم ، فأَقلُّ رتبتِهم أَنْ يتشبَّهُوا بالحيواناتِ العجماواتِ في هديهم ، وإلاّ

---

(١) في (ب) : (و) بدلاً من (ثم) ، وهو خطأ ، لأنه مخالف لرواية الحديث •

(٢) الحديث ذكره الطبراني في المعجم الكبير ٨/٦٤ ، والشعراني في كشف الغمة ١/١٧ •

(٣) في (ب) : ( ويُستفادُ ) •

فليسوا كالأنعام ( بَلْ هُم أَضلُّ سبيلاً )[1] ·

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم : ( فضل العلم خير من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع )[2] رواه الطَّبراني في الأوسط والبزّار · وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : ( أفضل العبادة الفقه ، وأفضل الدِّين الورع )[3] ، رواه الطبراني في معاجمه الثلاثة ، وفي اسناده محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى إمام ثقة لكنَّه سيء الحفظ ·

وعن الحسن مرسلاً قال : ( سُئِلَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن رجلين كانا في بني اسرايل ، أحدهما كان عالماً يصلِّي المكتوبة ، ثم يجلس فيعلم النَّاس الخير ، والآخر يصوم النَّهار ويقوم اللَّيل أيُّهما أفضل ؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : فضل هذا العالم الذي يُصلِّي المكتوبة ثم يجلس فيعلم النَّاس الخير على العابد الَّذي يصوم

(١) سورة الفرقان الآيـة : ٤٤ ·

(٢) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢٠ ، وفي كشف الغمة ١/١٦ ، وابن عبد البر في مختصر جامع بيان العلم ص١٧ ·

(٣) المعجم الصغير للطبراني ٢/١٢٤ ، رواه عن محمد بن عبدالرحمن ابن أبي ليلى عن الشعبي عن ابن عمر · ورواه الشعراني في كشف الغمـة ١/١٦ ·

النهارَ ، ويقومُ الليلَ كفضلي على أدناكمُ )[1] ، رواهُ الدرامي ٠

وعن أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( لأنْ تغدُو فتتعلَّمَ آيةً منْ كتابِ اللهِ خيرٌ لكَ منْ أنْ تُصلِّيَ مائةَ ركعةٍ ، ولأنْ تغدُو فتتعلَّمَ باباً منَ العلمِ عُمِلَ بهِ أوْ لمْ يُعملْ بهِ خيرٌ لكَ منْ أنْ تُصلِّيَ ألفَ [٦ظ] ركعةٍ )[2] ، رواه ابن ماجة باسنادٍ حسنٍ ٠

وعن البراء بن عازب رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( من تعلَّمَ حديثينِ اثنينِ ينفعُ بهما نفسَهُ أو يعلِّمهُما غيرَه ، فينتفع بهما كانَ خيراً من عبادةِ ستينَ سنةً ) ، أخرجه الالكاني في السُّنةِ لـه ٠ وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( فقيهٌ واحدٌ أشدُّ علَى الشيطانِ منَ ألفِ عابدٍ )[3] رواهُ الترمذي وابن ماجة والبيهقي ٠ وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ مثله ، وزادَ ( ولكلِّ

---

(١) الحديث ذكره الدارمي في سننه ١/٨٢ ، مسند ابن حنبل ٥/١٩٦٠

(٢) الحديث ذكره ابن ماجة في سننه ١/٧٩ ، وهو موجود في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، كشف الغمة ١/١٧ ٠

(٣) صحيح الترمذي ١٠/١٥٤ ، سنن بن ماجة ١/٨١ ، الفقيه والمتفقه ١/٢٤ ٠

شيءٍ عماد ، وعماد هذا الدين الفقهُ )[1] ، ( وما عُبِدَ اللهُ بأفضل من فقهٍ في دينٍ )[2] ، رواهُ الطبراني وغيره ، وأخرجهُ الخطيب في الجامعِ عن عطا عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : ( ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضل من فقهٍ في الدِّين )[3] ، وقالَ أبو هريرة : ([4] لأنَّ أفقهَ ساعةً أحبُّ إليَّ مِنْ [ أَنْ ][5] أُحيي لَيْلَةً أُصَلِّيَها حتَّى أُصبحَ ) ، و ( الفقيهُ أشَدُّ علَى الشَّيطانِ مِن ألفِ عابدٍ )[6] ، و ( لِكُلِّ شَيءٍ دعامَةٌ ، ودعامَةُ الدِّين الفقهُ )[7] • وعَنْ أبي هريرة أيضاً قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( فضلُ المؤمنِ العالمِ علَى المؤمنِ العَابدِ سَبعُونَ درجة )[8] ، رواهُ ابنُ عدي ، ولأبي يعلى نحوه من حديث عبدِ الرَّحمن بن عوف •

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/٢٥ •

(٢) الفقيه والمتفقه ١/٢١ •

(٣) الفقيه والمتفقه ١/٢١ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٤) الفقيه والمتفقه ١/٢٦ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٥) ( أن ) : ساقطة من الاصل •

(٦) صحيح الترمذي ١٠/١٥٤، الفقيه والمتفقه ١/٢٤، الجامع ٢/١٧٠•

(٧) الفقيه والمتفقه ١/٢٥ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، الجامع ٢/١٧٠ •

(٨) الجامع ٢/١٧٠ •

وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : ( فضلُ العالمِ على العابدِ سبعونَ درجةً ما بينَ كلِّ درجتينِ حُضْر الفرسِ سبعونَ عاماً )(١) ، وذلكَ إنَّ الشيطانَ يبدعُ البدعةَ [٧و] للنَّاسِ فيبصرُها العالِمُ فينهى عنها ، والعابدُ مُقْبِلٌ على عبادَتِه لا يَتَوجَّهُ لها ولا يعرفها ، رواهُ الاصبهاني في ترغيبه • قالَ الحافظُ عبدُالعظيمِ المنذري : وعجز الحديث يشبهُ المُدرَج •

وعَنْ جابرِ بنِ عبدالله رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : ( يُبعَثُ العالِمُ والعابدُ ، فيُقالُ للعابِدِ ادخلِ الجنَّةَ ، ويُقالُ للعالِمِ اثبتْ حتَّى تشفعَ للنَّاسِ بِما أَحسنْتَ إليهم )(٢) ، وفي نسخةٍ بِما أحسنْتَ أَدَبهم ، رواهُ البيهقي وغيرُهُ •

قلتُ : فلمَّا كانَ العالِمُ يحسنُ إلى النَّاسِ بعلمه الَّذي أَفنَى فيه نفائسَ أَوقاتِه أَكرمهُ اللهُ عزَّ وجل بأنْ ينيلَهُ مقامَ الاحسانِ [ إليهم ](٣) في الآخرةِ بشفاعتهِ فيهم جزاءً وفاقاً ، وفي هذا من إنافةِ المنزلةِ وعظيمِ الكرامةِ ما لا يخفَى •

---

(١) الدارمي ١/٨٤ •

(٢) الحديث رواهُ الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ١/٢٠ وفيه : « اذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابد ادخل الجنة فانما كانت منفعتك لنفسك ، ويقال للعالم اشفع تشفع فانما كانت منفعتك للناس ) ، وهو في كشف الغمة ١/١٨ •

(٣) ( اليهم ) : ساقطة من الاصل ، وهي زيادة من النسختين •

وعن عثمان بن عفَّــان رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( يَشفعُ يــومَ القيامــةِ ثلاثــةٌ : الأنبيــاءُ ، العُلمَــاءُ ، الشُّهدَاءُ )(١) ، رواهُ ابن ماجــةَ ، قالَ القرطبي فــي تفسيرهِ عقيب ايرادهِ : فاعظم بمنزلةٍ هي واسطةٌ بين النبوةِ والشهادةِ بشهادةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ٠

وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليــهِ وآلــهِ وسلَّم : ( إذا كانَ يــومَ القيامــةِ ، يقــولُ اللهُ تعــالَى للعابدينَ والمجاهديــن : ادخلوا الجنَّةَ ، فيقولُ العلماء : بفضلِ علمنا تعبَّدُوا وجَاهدُوا ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجــل : أنتم عندي كبعضِ ملائكتي اشفعُوا فيشفعون [٧ظ] ثم يدخلونَ الجنَّةِ )(٢) رواهُ أبو العباس الذهبي في العلمِ ٠

قلتُ : ويشــهدُ لذلــكَ في الجملةِ حديثُ مسلم وأبي داود والترمذي ، وصحَّحهُ عن أبي مسعود البدري مرفوعاً : ( مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْــرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْــرِ فَاعِلِهِ )(٣)، وحديث ابن ماجة عن معاذ بن أنس : ( مَنْ عَلَّمَ عِلْماً فَلَهُ مثلُ أَجرِ من عَمِلَ بــهِ لا ينقصُ مِنْ أَجْرِ العاملِ شيئاً )(٤) ٠ وفي سندِ سهلِ بن معاذ

---

(١) سنن ابن ماجة ١٤٤٣/٢ ، وتذكرة السامع والمتكلم ص٩ ٠
(٢) لـم اتمكن من العثور عليه ٠
(٣) صحيح الترمذي ١٤١/١٠ ، سنن أبي داود ٦٢٧/٢ ، مسند ابن حنبل ١٢٠/٤ ٠
(٤) سنن ابن ماجة ٨٨/١ ٠

حسَّنَ لهُ الترمذي ، واحتجَ بهِ ابنُ خزيمة والحاكم وغيرها ، وحديث مسلم والترمذي ، وقالَ : حسنٌ صحيح .

عن أبي هريرة مرفوعاً : ( مَنْ دَعَا إلى هُدىً كان لهُ من الأجرِ مثلُ أجرِ من تبعهُ لا ينقصُ ذلكَ من أجورهم شيئاً ، ومَنْ دَعَا إلى ضَلالَةٍ كانَ عليهِ من الأَثمِ مثلُ آثامِ من تبعهُ لا ينقصُ ذلكَ من آثامهم شيئاً )[1] ، ووجهُ الاستشهاد أنَّ أعمالَ المجاهدين ، بل وأعمال جميعِ العاملينَ إنَّما يتلقونها من العلماء ، فيكونُ لهم من الأجرِ مثلُ أُجُورِ المجاهدينَ وسائر العاملين على حسب الانتفاعِ بعلمهم .

وعن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّ اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( مَنْ جاءَهُ أجلُهُ ، وهو يطلبُ العلمَ ، لقيَ اللهَ ولم يكن بينه وبين النَّبيينَ إلاّ درجةُ النبوَّةِ )[2] ، رواهُ الطبراني في الأوسط ، ورواهُ[3] الدّارمي وابن السُني في رياض المتعلمين من حديث الحسن قال الزين العراقي : فقيل هو

---

(1) سنن الدارمي ١/١٠٧ ، صحيح الترمذي ١٠/١٤٢ .

(2) الحديث رواهُ ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ص٢٠ ، والشعراني في كشف الغمة ١/١٧ .

(3) كذا في (ب) ، وفي (م) الاصل : (روى) ، وما ذكرنا احسن بدليل ما قبله .

ابن علي رضيَ اللهُ عنهما ، وقيلَ ابن يسار[1] البصري، فيكون مرسلاً ، قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : [٨و] ( من جاءَهُ ملكُ الموتِ ، وهو يطلبُ العلمَ ، ليحيي بهِ الاسلامَ فبينهُ وبينَ الأنبياءِ في الجنَّةِ درجةٌ واحدةٌ )[2] .

قلتُ : ويشهدُ لذلكَ حديث : ( العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ )[3] ، وقد قدَّمْناهُ . وممن رواهُ أحمد ، وأبو داود ، والتِّرمذي ، وآخرونَ ، وصحَّحهُ ابنُ حِبَّان والحاكمُ وغيرهما ، وحسَّنهُ حمزةُ الكناني ، ولهُ شواهد يتقوَّى بِها .

فعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ إنَّهُ مرَّ بسوقِ المدينةَ فوقفَ عليها فقالَ : ( يا أهلَ السُّوقِ ! ما أعجزكم ؟ قالوا : وما ذاكَ يا أبا هريرة ؟! قالَ : ذاكَ ميراثُ رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم يُقسَمُ وأنتم ها هنا لا تذهبونَ فتأخذونَ نصيبكم منهُ ! قالوا : وأينَ هو ؟ قالَ : في المسجدِ ، فخرجوا سراعاً ، ووقف أبو هريرة لهم حتَّى رجعوا ، فقال لهم : ما لكم ؟ فقالوا يا أبا هريرة ! قد أتينا المسجدَ فدخلنا فيهِ فلم نرَ فيه شيئاً ، فقال لهم أبو هريرة : وما رأيتم

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ، ابو سعيد التابعي ، كان امام اهل البصرة في زمنه ، ولد في المدينة سنة (٢١هـ)، وتوفي سنة (١١٠)هـ. ترجمته في ميزان الاعتدال ١/٢٥٤ ، حلية الاولياء ٢/١٣١ .

(٢) سنن الدارمي ١/٨٥ ، وفيه ( من جاءه الموت ) بحذف ( ملك ) .

(٣) رواه ابن حنبل ٥/١٩٦ ، ابو داود ٢/٢٨٥ ، الدارمي ١/٨٣ .

في المسجدِ أحـداً ؟ قالوا : بلى رأينـا في المسجد قومـاً يُصـلّون َ ، وقوماً يقرأونَ القرآنَ ، وقوماً يتذاكرونَ الحلالَ والحرامَ ، فقـال لهم أبو هريرة : ويحـكم فذاك ميراثُ محمدٍ صلّى اللهُ عليه وآلـه وسلم ! )(1) ، رواه الطبراني في الأوسط باسنادٍ حسن ٠

وعن ابن عمر رضي اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسـولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلم : ( يُوزَنُ حبرُ العلماءِ ودمُ الشهداءِ ، فيرجحُ ثوابُ حبرِ العلمـاء على ثوابِ دمِ الشهداءِ )(2) ، رواهُ الديلمي في مسنده من طريق عبدالعزيز بن أبي داود ، وهو صدوقٌ عابدٌ ربّما وهم ، ورواهُ الحـافظ [٨ظ] الخطيب البغدادي فـي تاريخـه ولفظهُ : ( وُزِنَ حبرُ العلماءِ بدمِ الشُّهداء فرُجّحَ عليهم )(3) ٠ وللمنجنيقي في روايةِ الكبارِ عن الصغارِ ، لـهُ عن الحسن البصري قولهُ : ( مِدادُ العلماءِ أفضلُ من دمِ الشُّهَداءِ )(4) ٠

وعن أبي الدرداء رضـيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآلهِ وسلّم : ( يُوزَنُ يومَ القيامةِ

---

(1) زوائـد المعجمين ٢١/١ ٠

(2) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للشوكاني ص٩٥ ، وفيـه عن ابن عمر : ( وُزِنَ حبرُ العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم ) ، ورواية اخرى : ( يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء ) ٠

(3) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة ص٩٥ ٠

(4) الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة عن أنس ص٩٥ ٠

مدادُ العلماءِ ودمُ الشُّهداء )[1] ، رواهُ ابنُ عبدالبرّ[2] في فضلِ العلمِ .

وعن معاذ بن جبل رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم : ( تعلّموا العلمَ فانَّ تعلّمهُ لله خشيةٌ ، وطلبهُ عبادةٌ ، ومذاكرتهُ تسبيحٌ ، والبحثُ عنهُ جهادٌ ، وتعليمهُ لمن لا يعلمهُ صدقةٌ ، وبذلهُ لأهله قربةٌ ، لأنّهُ معالمُ الحلالِ ، ومنارُ سبلِ أهلِ الجنّة ، وهو الأنيس[3] في الوحشةِ ، والصّاحبُ في الغربةِ ، والمحدّثُ في الخلوةِ ، والدّليلُ على السّراء والضّراء ، والسّلاح على الأعداء، والزّينُ[4] عندَ الاخلاء، يرفعُ اللهُ به قوماً فيجعلهم في الخيرِ قادةً وأئمةً تقتصُ آثارهُم ، ويقتدى بأفعالهم ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغبُ الملائكةُ في خلتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، يستغفرُ لهم كلُّ رطبٍ ويابسٍ ، وحيتانَ البحر وهوامه ، وسباعُ البرِّ وأنعامهِ ، لأنَّ

---

(١) لم يذكرهُ ابن عبدالبر في فضل العلم ، وذكرهُ البدر بن جماعة في تذكرة السامع والمتعلم ص٨ .

(٢) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري ، ولد في قرطبة سنة ٣٦٨هـ ، رحل رحلات كثيرة في طلب العلم ، واصبح من كبار المحدثين والمؤرخين ، وولي قضاء لشبونة وشنترين وتوفي بشاطبه سنة (٤٦٣هـ) ترجمته في بغية المتلمس ٤٧٤، وفيات الاعيان ٣٤٨/٢، الاعلام ٣١٦/٩ .

(٣) كذا في النسخ الخطية ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله : ( الآنس ) ، ص٢٧ .

(٤) كذا في الاصل وهو الصحيح لموافقته للنص ، وفي (ب) ، (م) ( الدين ) .

العلمَ حياةُ القلوبِ مـن الجهلِ ،ومصابيحُ الأبصارِ مـن الظلمِ ، يبلغُ العبدُ بالعلمِ منازلَ الأخيارِ ، والدّرجاتَ العُلى في الدُّنيا والآخرةِ ، التّفكّرُ به يعدلُ الصِّيامَ ، ومدارستهُ تعدلُ القيامَ ، به توصلَ الأرحامِ ، وبهِ يُعرَفُ [٩و] الحلالُ مِنَ الحرامِ ، هو إمام العملِ والعملُ تابعهُ ، يلهمهُ السعداء ويحرمه الأشقياء )[١] ، رواهُ أبو الشيخ ابن حبّان في كتابِ الثواب ، وابن عبدالبرّ النّمري في كتاب العلم ، وقالَ : هو حديث حسن ، ولكن ليس اسناده قوياً وقد رويناهُ من طرقٍ شتّى موقوفاً انتهى .

وفي الصّحيحينِ وغيرهما عَنْ معاوية قالَ[٢] : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم : ( مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقّهْهُ في الدِّينِ )[٣] ، رواهُ البزّار والطبراني في الكبيرِ ، ورجاله موثّقونَ عن عبدِ الله ، يعني[٤] ابن مسعود مرفوعاً ، ولفظهُ : ( إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً فقّههُ في الدِّينِ وألهمهُ رشدَهُ )[٥] ، رواهُ

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٧ .

(٢) في (ب) : مكان ( قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ) : ( مرفوعاً ) وهو خطأ .

(٣) الحديث ذكر في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، وسنن الدارمي ١/٦٥ ، وسنن ابن ماجة ١٠/٨٠ عن ابي هريرة ، مسند ابن حنبل ١/٣٠٦ ، ٢/٣٣٤ ، ٤/٩٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ، المعجم الكبير للطبراني ٩/١٦٤ ، ١٠/٢٤٢ .

(٤) ( يعني ) : ساقطة من (ب) .

(٥) الحديث ذكره الترمذي ١٠/١١٣ ، ١١٤ .

التَّرمذي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما مرفوعاً ، وقالَ الحسنُ : صحيحٌ ولفظـهُ : ( مـن يُردِ اللهُ بـهِ خيراً يفقِّههُ في الدين ، انَّ من لم يفقِّهْهُ في الدين لم يُرد اللهُ به خيراً ) ، وقد أخرجهُ أبو نعيم ، وزادَ في آخرهِ : ( ومن لم يتفقَّهْ في الدِّينِ لم يبالِ اللهُ بهِ )[1] وكذا أخرجهُ أبو يعلي الا أنَّهُ قالَ : ( ومن لم يتفقه لـم يبلِ بـهِ )[1] ، ويشهدُ لـهُ ما في حديثِ أبي أُمامة عندَ ابن ماجَة من قوله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : ( الْعَالِمُ والْمُتَعَلِّمُ شَرِيْكَانِ فـي الْخَيرِ ، ولا خـيرَ فـي سَائِرِ النَّاس )[2] ، وهو قريبُ المعنَى من قوله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( الدُّنْيَا مَلعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيها إلاَّ ذكرَ اللهِ ومَا والاهُ ، وعالماً ومتعلِّماً )[3] ، رواهُ التَّرمذي وغيرُهُ ، وقـالَ : حديثٌ حسنٌ ، ويُؤخَذُ من حديث الصحيحين [٩ظ] المتقدم أنَّ العنايةَ الآلهيةَ ، وإنْ كانَتْ غَيْباً عَنَّا فَلَها شَهادَةٌ تدلُّ عَليها ، ودلالةٌ تهدي[4] إليها ، فمَن ألهمَهُ اللهُ التَّفقه في الدِّين فقد ظهرت عنايةُ اللهِ بهِ ، وأنَّهُ أرادَ بـهِ خيراً عظيماً ، كما يؤذنُ به التنكيرِ في هذا المقام .

---

(١ ، ١) ذكر البغدادي : ( من يرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين ، ومن لم يبال به لم يفقهه ) الفقيه والمتفقه ص٨ .

(٢) سنن ابن ماجة ١/٨٣ .

(٣) صحيح الترمذي ٩/٩٨ ، سنن الدارمي ١/٨٠ ، سنن ابن ماجة ٢/١٣٧٧ .

(٤) كذا في الأصل ، (م) ، وفي (ب) : ( يهتدي بها اليها ) ، وما ذكرناه اصح .

وعن واثلة بن الأسقع رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( من طلبَ علماً فأدركهُ كتبَ اللهُ لهُ كفلينِ من الأجرِ ، ومن طلَبَ علماً فلمْ يدركهُ كتبَ اللهُ لهُ كفلاً من الأجر )[1] رواهُ الطبراني في الكبير ، ورواتهُ ثقاة وفيهم كلام ٠

وعن أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( مَنْ خَرَجَ في طَلَبِ الْعِلْمِ ، فهو في سبيلِ اللهِ حتَّى يَرْجِع )[2] ، رواهُ التِّرمذي وقالَ : حديثٌ حسنٌ ٠

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( إذا ماتَ ابنُ آدم إنْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ من ثَلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أوْ ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ )[3] ، رواهُ مسلمُ وغيرُهُ ، قالَ البدرُ بن جماعة : ( وأنا

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦٨/٢٢ ، وهو في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٣ ، ورواية الدارمي ( كان له كفلان في الأجر ، فان لم يدركهُ كان له كفل من الاجر ) ، والمصنف نقل رواية الطبراني ٠

(٢) صحيح الترمذي ١١٦/١٠ والرواية فيه ( من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع ) ، وفي شرح المهذب ٣٢/١ ، ومختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٨ موافق لرواية المصنف ٠

(٣) صحيح مسلم ٧٣/٥ ، وروايته : ( اذا مات الانسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية ، أو علم ينتفعُ به ، أو ولد صالح يدعو له ) ، وفي سنن النسائي ٢١٠/٦ موافق لما ذكره المؤلف ، وسنن ابي داود ١٠٦/٢ وفيه ( إلا من ثلاثة اشياء ) ، الدارمي ١١٤/١ ٠

أقولُ : إذا نظرتَ وجدتَ معاني الثلاثةِ موجودةً في مُعلمِ العلمِ ، أمَّا الصدقةُ فاقراؤهُ إيَّاهُم العلم وإفادتهُ ، ألا ترى الى قولهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم في المصلِّي وحدهُ ، من يتصدَّق علَى هذا ، أي بالصلاةِ معَهُ ليحصل له فضيلةُ الجماعةِ ، ومعلم العلم يحصل للطالبِ فضيلةُ العلمِ الَّتي هي أفضلُ مِنْ صلاةٍ في جماعةٍ ، وينالُ بها شرفَ الدُّنيا والآخرة ، وأمَّا العلم المنتفعُ به فظاهرٌ ، لأنَّهُ كانَ سبباً لاتصال ذلكَ العلمِ الى كلٍّ من انتفعَ بهِ ، وأمَّا الدعاءُ الصالحُ لَهُ فالمعتادُ المستقرأ على السنةِ أهلِ العلمِ • والحديثِ قاطبةً الدعاء لمشايخهم [١٠و] وأئمتهم وبعضُ أهل العلمِ يدعونَ لكلٍّ من يُذكَرُ عنهُ شيءٌ من العلمِ ، ورُبَّما يقرأُ بعضهم الحديثَ بسندهِ ، فيدعو لجميعِ رجالِ السَّندِ انتهى )(١) •

قلتُ : وعندي لهُ تتمةٌ ، فأمَّا ما حاولهُ من أنَّ إقرأَ العلمِ وإفادتَهُ صدقةٌ ، فَقَدْ وردَ النَّصُّ بأنَّ ذلكَ أفضلُ الصَّدقةِ • فعن أبي هريرة مرفوعاً : ( أفْضَلُ الصَّدَقةِ أنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ المُسْلِمُ عِلْماً ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أخَاهُ المُسْلِمَ )(٢) ، رواهُ ابن ماجة باسنادٍ حسنٍ •

فانْ قيلَ تعليمهُ قَدْ انقضى بموتهِ ، فكيفَ يكونُ منَ الصَّدقةِ الجاريةِ التي لا تنقطعُ ؟ قلتُ :

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٦٣ ـ ٦٤ •
(٢) سنن ابن ماجة ١/٨٩ •

ذلكَ المتعلمِ وكذا تعليم كلِّ معلم تعلَّم منه بواسطة ـ فيما يأتي ـ مُتسبِّبٌ عن تعليمه ، فعلمه غير منقطعٍ ، وكذا تأليفه في العلمِ وتدوينه .

وأمّا ما ذُكر من اعتادَ الدعاءَ للمشايخ الى آخره ، فقد يُقال انَّه ليس في معنى دعاءِ الولد لوالده ، لأنَّ الوالدَ يُثاب على نفسِ دعاء ولده ، لتسبُّبه في إيجاده ، فكانَ له مثل ثوابِ عمله . فأمّا المشايخ فينتفعون بالمدعو به إذا استجيبت الدّعوة إلاَّ أن يكونَ ذلكَ المعلم قد سَنَّ للمتعلم منه الدُّعاءَ لمشايخه ، وورَّثه إيَّاه ، فله ثوابُ التَّسبب أيضاً ويكون دوامه بدوامِ المتعلّم وإنْ كثُرتِ الوسائط كما سبقَ .

وعن ثعلبة بن الحكم الصحابي رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم : ( يقولُ الله عزَّ وجل للعلماءِ يومَ القيامةِ إذا قعدَ على كرسيِّه لفصلِ عباده : إني لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلاَّ وأنا أُريدُ أنْ أغفرَ لكم على ما كانَ فيكم ولا أُبالي )[1] ، رواه الطَّبراني في الكبير ، ورواته ثقاتٌ ، ورواه أيضاً بنحوه من حديث أبي موسى [١٠ظ] بسندٍ ضيفٍ .

وعن سخْبَرة رضيَ اللهُ عنه عن النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ : ( مَنْ طَلَبَ العِلْمَ كانَ

---

(١) المعجم الكبير ٢/٧٨ ، وفيه ( على كرسيه لقضاء عباده ) ، مكان ( على كرسيه لفصل عباده ) .

كَفَّارةً لِمَا مَضى )[1] ، رواهُ الترمذي هكذا ، والطبراني في الكبيرِ مطولاً ، وقالَ الترمذي : إنَّهُ ضعيفُ الاسنادِ .

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ في مُنَافِقٍ حُسْنُ سَمْتٍ وفِقْهٌ في دِينٍ )[2] ، رواهُ الترمذي ، وقالَ : حديثٌ غريب .

وعن معاذ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( العالمُ أمينُ اللهِ في الأرضِ )[3] ، رواهُ ابن عبدالبرِّ .

وعن أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( العلماءُ أُمناءُ الرُسلِ على عبادِ اللهِ )[4] ، رواهُ العُقيلي في الضعفاءِ .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( الفقهاءُ أُمناءُ الرُسلِ ما لم يدخلوا في الدُنيا ويتبعوا السُلطانَ ، فاذا فعلوا ذلكَ فاحذروهم )[5] ، رواهُ العسكري بسندٍ ضعيفٍ ،

---

(1) صحيح الترمذي ١٠/١١٧ ، ورواية الطبراني في الكبير ٧/١٦٤ : ( ما من عبد يطلب العلم إلا كان كفارة ما تقدم ) .

(2) صحيح الترمذي ١٠/١٠٦ .

(3) مختصر جامع العلم وفضله ص٢٦ .

(4) جزء من حديث ذكره الشعراني في كشف الغمة عن جميع الامة ص١٩ .

(5) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٧ وفيه ( العلماء ... الخ ) .

والالكاني في كتاب السُنَّة لَـهُ ، وعنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( ألا أدلُّكم على الخلفاءِ منِّي ومن أصحابي ومن الأنبياءِ قبلي ، هم حملة القرآنِ والأحاديث عنِّي في اللهِ وللهِ )[1] .

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( اللهُمَّ ارحم خلفائي، قلنـا : يـا رسولَ اللهِ ومن خلفـاؤكَ ؟ قالَ : الَّذيـنَ يأتُونَ مِـنْ بَعـدي يَروونَ أحاديثي ويُعَلِّمُونَها النَّاسَ )[2] ، رواهُ الطَّبراني في الأوسط .

وعن أبي الدرداء قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسلَّم : ( العُلَماءُ خُلَفاءُ الأنبياءِ )[3] ، رواهُ البَزَّار ورجالهُ موثوقون [١١و] إشتَهَرَ حديث : ( يحملُ هذا العلم من كلِّ خلفٍ عُدُولُهُ ينفونَ عنـهُ تحـريفَ الغالـينَ ، وانتحـالَ المبطلـينَ ، وتأويـلَ الجاهلينَ )[4] . وقَدْ أخرَجَهُ ابن عبدالبرِّ والخَطيب البغدادي فـي الجامعِ معَ روايتهِ عن عيسى بن صبيح قولـهُ : إنَّـهُ صحَّ عن النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ

(١) زوائد المعجمين ١/٢١ ، مع اختلاف في الالفاظ .

(٢) رواهُ ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله مع اختلاف في اللفظ ص٢٤ ، كشف الغمة عن جميع الأمة للشعراني ١/١٨ ، زوائد المعجمين ١/٢١ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٦ .

(٤) رواهُ البيهقي في مناقب الشافعي ١/٧ ، ولفظهُ : ( يرث هذا العلم من كل خلف ... الخ ) ، وهـو بلفظه ذكره الخطيب البغدادي في الجـامع ١/١٦٣ .

وسلَّم ، قالَ الحافظ الخطيب البغدادي : ( وهذهِ شهادةٌ من رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم بأنَّهم أعلامُ الدّينَ وأئمةُ المسلمينَ ، لحفظهم الشَّريعةَ من التحريفِ وانتحالِ الباطلِ ، وردِ تأويل الجاهلِ ، وإنَّهُ يجبُ الرجوعُ إليهم ، والمعوّلُ في أمْرِ الدّينِ عليهم )(١) انتهى .

وعن أنس رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( الحكمةُ تزيدُ الشريفَ شرفاً ، وترفعُ العبدَ المملوكَ حتَّى يجلسَ في مجالسِ الملوكِ )(٢) ، رواهُ أبو نعيم في الحليةَ مِنْ حديثِ الحسن ، وقيلَ إنَّهُ موقوفٌ على أنس ، أو من كلامِ الحسن ، بلَى يُروى عن مالك (٣) بن دينار قال : قرأتُ في بعضِ كُتبِ الله ، فذكرهُ . وقالَ ابن عبَّاس في قولهِ تعالى : ( يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ )(٤) ، قالَ : هي معرفةُ الحلالِ والحرامِ ، وأخرجَ الالكاني في كتابِ السُنَّةِ عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما

(١) الجامع ١/١٦٣ .

(٢) الحديث في الفقه والمتفقه بسنده ص٣١ ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٦ ، ورواه الدارمي عن وهب بن منبه نصيحة لولده ضمنها هذا الحديث ، سنن الدارمي ١/٩٠ .

(٣) هو أبو يحيى مالك بن دينار البصري ، من موالي اسامة بن لؤي القرشي ، وهو من رواة الحديث كان عالماً ورعاً متصوفاً ، يأكل من كسب يده ، حيث يكتب المصاحب بالاجرة ، توفي بالبصرة سنة (١٣١هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢/٣٥٧ ـ ٣٨٩ ، وفيات الاعيان ١/٤٤٠ ، تهذيب التهذيب ١/١٤ ، الاعلام ٦/١٣٤ .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٦٩ .

قالَ : ( النَّظرُ الى الرَّجلِ من أهلِ السُّنةِ يدعو اليها ، وينهى عن البدعةِ عبادةٌ ) . وقالَ الامامُ الشافعي رحمهُ اللهُ : ( كُلَّما رأيْتُ رجلاً من أصحابِ الحديث فكأنَّما رأيتُ رجلاً من أصحابِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم )[1] ، أخرجَهُ البيهقي . وقال عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ في وصيتهِ لكميل بن زياد : ( يا كميل ! العلمُ خيرٌ من المالِ ، العلمُ يحرسُكَ وأنتَ تحرسُ المالَ ، قالَ : ومحبةُ العلم دِينُ يُدانُ بِهِ يكسبهُ الطَّاعةَ في حياتهِ ، وجميلَ الاحدوثة بعدَ مماته ، المالُ تنقصهُ [١١ظ] النفقةُ ، والعلمُ يزكو على الانفاقِ ، العلمُ حاكمٌ والمالُ محكومٌ عليهِ يا كميلُ ! ماتَ خُزّانُ المالِ وهم أحياءُ ، والعلماءُ باقُونَ ما بقيَ الدَّهرُ ، أعيانُهم مفقودةٌ وأمثالُهم في القلوبِ موجودةٌ )[2] . وقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ أيضاً : ( كفَى بالعلمِ شرفاً أنْ يدعيه من لا يحسنهُ ، ويفرحُ إذا نُسبَ اليهِ ، وكفَى بالجَّهلِ ذماً أنْ يتبرَّأَ منهُ مَنْ هُوَ فيهِ )[3] .

وقالَ وهبُ بنُ منبه[4] : يتشعَّبُ مِنَ العِلمِ

(1) مناقب الشافعي للبيهقي ١/٤٧٧ .
(2) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٦٩ ، الفقيه والمتفقه ص٥٠ .
(3) القول موجود في شرح المهذب ١/٣٣ .
(4) هو وهب بن منبه الابناوي الصنعاني الذماري ، كان من كبار المؤرخين ، وعالم باساطير الاولين ، أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، ولد بصنعاء سنة (٣٤هـ) ، وولاه عمر بن عبدالعزيز قضاءَها ، وقد حبس في أواخر أيامه وامتحن ومات بالتعذيب ، ترجمته في حلية الاولياء ٤/٢٣ ، شذارت الذهب ١/١٥٠ الاعلام ٩/١٥٠ .

الشَّرفُ ، وإنْ كانَ صاحبهُ دنيئاً ، والعزُ وإنْ كانَ مهيناً ، والقربُ وإنْ كانَ قصيَّاً ، والغنى وإنْ كانَ فقيراً ، والنبلُ وإنْ كانَ حقيراً ، والمهابةُ وإنْ كان وضيعاً )[1] . وقالَ أبو الأسود[2] الدُّؤلي التابعيّ الجَليلُ : ( لَيسَ شيءٌ أعزَّ من العِلمِ ، الملوكُ حكّامٌ على النَّاسِ ، والعلماءُ حكّامٌ علَى الملوكِ )[3] . وقالَ سالمُ[4] بنُ أبي الجَّعد : اشتراني مولاي بثلاثمائة درهمٍ وأعتقني ، فقلتُ : بأيةِ حرفةٍ أحترف ؟ فاحترفتُ بالعلمِ ، فما تمَّتْ لي سَنةٌ حتَّى أتاني أميرُ المدينةِ زائراً فلم أذنْ لهُ . ومن فضلِ العلمِ أنَّ الهدهدَ مع قلَّةِ خطرهِ أجابَ سليمانَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مَعَ علوِّ مرتبته بصولة العلم وقوتهِ في قولهِ : ( أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ )[5] مع قلَّةِ الاكتراثِ بتهديدهِ ووعيدهِ .

---

(١) شرح المهذب ١/٣٣ .

(٢) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي ، من العلماء المشهورين ويعد أول من اشتغل بعلم النحو ، سكن البصرة وتولى امارتها زمن الأمام علي ، وتوفي بها سنة ٦٩هـ ، ترجمته في وفيات الاعيان ١/٢٤٠، انباه الرواة ١/١٣ ، حاشية الخضري على ابن عقيل ١/١١ ، الاعلام ٣/٣٤٠ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص١٠ .

(٤) هو سالم بن أبي الجعد رافع الغطفاني الاشجعي مولاهم الكوفي ، كان محدثاً ثقة الا انه يرسل توفي سنة (٩٧هـ) . ترجمته في ميزان الاعتدال القسم الثاني ص١٠٩ ، تهذيب التهذيب ٣/٣٤٢ ، تقريب التهذيب ١/٢٧٩ .

(٥) سورة النمل الآية : ٢٢ .

قالَ الإمامُ النَّوويّ[1] في مقدمة شرح المهذَّب[2] : إنَّ الخطيبَ الحافظَ أبا بكر البغدادي رويَ في كتابه كتاب الفقيه أحاديث وآثار كثيرة بأسانيدها المطرقة منها : عن عمر رضيَ اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلِه وسلَّم [١٢و] : ( إذا مررتُم برياضِ الجنَّةِ فارتعوا ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ! وما رياضُ الجنَّةِ ؟ قالَ : حِلَقُ الذِّكرِ فإنَّ للهِ سيَّاراتٍ مِنَ الملائكةِ يطلبُونَ حِلَقَ الذِّكرِ ، فإذا أتوا عليهم حفُّوا بهم )[3] .

وعن عطا قالَ : ( مجالسُ الذِّكرِ هي مجالسُ الحلالِ والحرامِ ، كيفَ نَشتري ونبيعُ ونُصلِّي ونصومُ وننكحُ ونطلِّقُ وأشباهُ ذلكَ )[4] .

وعن ابن عمر عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِه وسلَّم : قالَ : ( مجلسُ فِقهٍ خيرٌ من عبادةِ ستينَ سنة )[5] .

---

(١) هو ابو زكريا يحيى بن شرف الشافعي ، وله بنوى سنة ٦٣١هـ وانتقل منها الى دمشق ، ودرس فيها وأصبح من العلماء الاعلام وصنف كثيراً من الكتب ، وتوفي سنة (٦٧٦هـ) . ترجمته في اول كتابه المجموع في شرح المهذب ٣/١ .

(٢) ينظر شرح المهذب ٣٥/١ .

(٣) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ١٢/١ ، شرح المهذب ٣٥/١ .

(٤) الفقيه والمتفقه ١٣/١ ، شرح المهذب ٣٥/١ .

(٥) نفس المصدر ١٤/١ ، شرح المهذب ٣٥/١ .

وعن عبدالرَّحمن بن عوف رضيَ اللهُ عنهُ إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قال : ( يسيرُ الفقهِ خيرٌ من كثيرِ العبادة )[1] ٠

وعن ابن عمر عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ : ( أفضلُ العبادةِ الفقهُ )[2] ٠

وعن أبي الدَّرداء : ( ما نحنُ لولا كلماتُ الفقهاءِ )[3] ٠

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : ( العالمُ أعظمُ أجراً منَ الصَّائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ اللهِ )[4] ٠

وعن أبي ذرٍّ وأبي هريرة رضيَ اللهُ عنهما قالا : ( بابٌ منَ العلمِ نتعلَّمهُ أحبُّ إلينا منْ ألفِ ركعةٍ تطوعاً ، [[5] وباب من العلم نعلمه نعمل به أو لم نعمل به أحبُّ إلينا من مائة ركعةٍ تطوعاً ] )[6] ٠ وقالا : سمعنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقولُ : ( إذا جاءَ الموتُ طالبَ علمٍ ، وهو على هذهِ الحالةِ ماتَ وهو شهيدٌ )[7] ٠

---

(١) نفس المصدر ١/١٤ ، ١٥ شرح المهذب ١/٣٥ ، مجمع البحرين في زوائد الصحيحين ١/٢٠ وفيه قليل الفقه خير ٠٠٠ الخ ٠

(٢) الفقيه والمتفقه ١/٢١ ، شرح المهذب ١/٣٦ ٠

(٣) شرح المهذب ١/٣٦ ، الفقيه والمتفقه ١/٣٦ ٠

(٤) شرح المهذب ١/٣٦ ٠

(٥) ما بين المعقوفين زيادة عن (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر ٠

(٦) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ ٠

(٧) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ ٠

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه : ( لأنْ أَعلمِ باباً من العلمِ في أمرٍ ونهيٍ أحبُّ اليَّ من سبعين غزوةً في سبيلِ اللهِ )[1] .

وعن أبي الدرداء رضيَ اللهُ عنه : ( مذاكرةُ العلمِ ساعةً خيرٌ من قيامِ ليلةٍ )[2] .

وعن الحسن البصري قالَ : ( لأنْ أتعلَّمَ باباً من العلمِ فأُعلِّمهُ مسلماً [١٢ظ] أحبُّ إليَّ من أنْ تكونَ ليَ الدُّنيا كلُّها في سبيلِ اللهِ )[3] .

وعَنْ مَكْحُولٍ[4] : ( مَا عُبِدَ اللهُ بأفضَلِ مِنَ الفقهِ )[5] .

وعن الزُّهري[6] : ( ما عُبِدَ اللهُ بمثلِ الفقهِ )[7] .

وعن سعيد بن المسيب قالَ : (ليست عبادةُ الرَّجلِ بالصَّومِ والصَّلاةِ ، ولكن بالفقهِ في دينهِ ، يعني : لَيْسَ أعظمُها وأفضلُها الصَّومُ بَلِ الفقه )[8] .

---

(١) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٢) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٣) الفقيه والمتفقه ١/١٦ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٤) هو ابو عبدالله مكحول بن أبي مسلم الهذلي مولاهم ، أصله من كابل ، وهو فقيه وحافظ ، توفي سنة (١١٣هـ) .
(٥) الفقيه والمتفقه ١/٢٣ ، شرح المهذب ١/٣٦ .
(٦) هو ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، وهو اعلم الحفاظ توفي سنة (١٢٢هـ) .
(٧) الفقيه والمتفقه ١/٢٣ ، شرح المهذب ١/٣٦ ، مختصر جامع بيان العلم ص١٨ .
(٨) شرح المهذب ١/١٦ .

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي عدرة : ( أقربُ النَّاسِ من درجة النبوة أهلُ العلمِ ، وأهلُ الجِهادِ ، فالعلماءُ دلّوا النَّاسَ على ما جاءَت به الرُسُلُ ، وأهلُ الجهاد جاهدوا على ما جاءت بهِ الرُسُلُ )[1] .

وعن سفيان[2] بن عيينة : ( أرفعُ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً من كانَ بينَ اللهِ وبينَ عبادهِ ، وهم الرُسُلُ والعُلَماءُ )[3] .

وعن سهل[4] التسْتري : ( مَنْ أرادَ النَّظَرَ الى مجالسِ الأنبياءِ فلينظر الى مجالسِ العلماءِ ، فاعرفوا لَهُم ذلكَ )[5] .

---

(١) شرح المهذب ١/٣٦ .

(٢) هو ابو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الكوفي ، ولد في الكوفة سنة (١٠٧هـ) وسكن مكة كان محدثاً حجة وحافظاً ثقة ، واسع العلم عظيم القدر ، توفي في مكة سنة (١٩٨هـ) ترجمته في صفة الصفوة ٢/١٣٠ ، وفيات الاعيان ١/٢١٠ ، تاريخ بغداد ١٧٤ ، حلية الاولياء ٧/٢٧٠ ، الاعلام ٣٣/١٥٩ .

(٣) شرح المهذب ١/٣٦ .

(٤) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس التسترى ، أحد أئمة الصوفية والمتكلمين في علوم الاخلاص والرياضيات وعيوب الافعال ، توفي سنة (٢٨٣هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ١/١٨٩ ، الاعلام ٣/٢١٠ .

(٥) شرح المهذب ١/٣٧ .

وعن سفيان[1] الثَّوري والشَّافعي : ( لَيْسَ شيءٌ بَعْدَ الفرائضِ أفضلَ من طلبِ العِلمِ )[2] .

وعن أحمد بن حنبل ، وقيلَ لهُ : ( أي شيءٍ أحبُّ اليكَ ؟ أجلسُ باللَّيلِ أنسخُ ، أُوصلي تطوعاً ، قالَ : نسخُكَ تعلمُ بهِ أمرَ دينكَ فهو أحبُّ )[3] انتهى .

ما نقلهُ الامامُ النَّووي رحمهُ اللهُ ، وقد ترجم عليهِ بترجيحِ الاشتغالِ بالعلمِ على الصَّلاةِ والصِّيامِ وغيرهما من العباداتِ القاصرةِ على فاعلها ، وصدَّرهُ بالاشارةِ الى شيءٍ من الآياتِ والأحاديثَ المتقدمةِ ، ثم قالَ : ( فهذهِ أحرفُ من أطرافِ ما جاءَ في ترجيحِ الاشتغالِ بالعلمِ على العبادةِ ، وجاءَ عن جماعاتٍ من السَّلفِ ممَّنْ أذكرُهُ نحوُ ما ذكرتهُ ، قالَ[4] : والحاصلُ [١٣و] أنَّهم يتَّفقونَ علىَ أنَّ الاشتغالَ بالعلمِ أفضلُ من الاشتغالِ بنوافلِ الصَّومِ والصَّلاةِ والتَّسبيحِ ، ونحو ذلكَ من نوافلِ عباداتِ البدنِ ، قالَ : ومن دلائلهِ سوى ما سبقَ أنَّ نفعَ العلمِ يعمُّ صاحبَهُ والمسلمينَ ، والنَّوافلُ المذكورةُ مختصَّةٌ

---

(1) هو ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، من بني ثور ابن عبد مناة ، ولد سنة (٩٧هـ) كان عالماً محدثاً مشهوراً ، توفي في البصرة سنة (١٦١هـ) ترجمته في الحلية ٦/٣٥٦ ، تاريخ بغداد ٩/١٥١ ، الاعلام ٣/١٥٨ .

(2) شرح المهذب ١/٣٤ـ٣٦ .

(3) الفقيه والمتفقه ١/١٧ ، شرح المهذب ١/٣٦ .

(4) ( قال ) : ساقطة من (ب) .

بهِ ، ولأنَّ العلمَ مُصحِّحٌ لغيرهِ من العبادات مُفتقِرٌ اليهِ ، ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، ولا يُوصَفُ المُتعبِّدونَ بذلكَ ، لأنَّ العابدَ تابعٌ للعالمِ مقتدٍ بهِ مقلِّدٌ لهُ في عبادته وغيرها ، واجبٌ عليهِ طاعتهُ ولا ينعكسُ ، ولأنَّ العلمَ تبقى فائدتُهُ وأثرُهُ بعدَ صاحبهِ ، والنوافلُ تنقطعُ بموتِ صاحبِها ، ولأنَّ العلمَ صفةٌ للهِ تعالى ، ولأنَّ العلمَ الذي الكلامُ فيهِ فرضُ كفايةٍ ، فكانَ أفضلَ من النَّافلةِ ، وقد قالَ إمام[1] الحرمينِ رحمهُ اللهُ في كتابه الغياثي : ( فرضُ الكفايةِ أفضَلُ من فرضِ العينِ من حيثُ إنَّ فاعلَهُ يسدُّ مسدَّ الأمةِ ، ويسقطُ الحرجُ عن الأمةِ ، وفرْضُ العينِ قاصِرٌ عليهِ )[2] • انتهى ما قالَهُ النووي •

قلتُ : قَدْ وافقَ [ قول ][3] إمام الحرمين في ذلكَ قولَ والدهِ الشيخِ أبي محمد[4] في كتابهِ المحيط : للقائم بفرض الكفايةِ مزيَّةٌ على القائمِ بفرضِ العينِ

---

(١) هو أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني ، الملقب بامام الحرمين ، اعلم المتأخرين من أصحاب الشافعي ، ولد في جوين أحد مدن فارس ، ورحل الى بغداد ، ثم سافر الى مكة ، وبقى فيها أربع سنين ، ثم ذهب الى المدينة فأفتى ودرس ، ثم ذهب الى بلده نيسابور وتوفي هناك سنة (٤٧٨هـ) ، ترجمته في وفيات الاعيان ١/٢٨٧ ، مفتاح السعادة ١/٤٤٠ ، الاعلام ٤/٣٠٦ •

(٢) النص نقله المؤلف من كتاب شرح المهذب ١/٣٧ •

(٣) ( قول ) : زيادة من (م) ، (ب) •

(٤) أي قول والد امام الحرمين ، عبدالله بن يوسف •

انتهى . وقد قالَ بذلكَ أيضاً الاستاذُ أبو إسحاق الاسفراييني[1] في شَرحِ كتابِ الترتيب . وكذا نقلَ الشيخ أبو علي السَّنْجي[2] أوَّلَ شرحِ التلخيصِ عن طوائف من المحققين أنَّ فرضَ الكفايةِ أهم من فرض الأعيان ، والاشتغالُ به أفضل من الاشتغال بأداءِ فرضِ العين ، وعبارةُ الامامِ في الغياثي [١٣ظ] أفضلُ ، ولهذا إعترضَ الزَّركشي[3] تبعاً لشيخهِ البرماوي[4] على مَنْ نَقَلَ عنهُ كالنَّووي ، وعن غيرهِ من المذكورين

---

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران ، نشأ ودرس في اسفرايين بين نيسابور وجرجان ، ثم رحل الى نيسابور ودرس فيها ورحل الى خراسان وبعض انحاء العراق ، واصبح فقيهاً واصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٤١٨هـ) في نيسابور . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٤ ، شذرات الذهب ٣/٢٠٩ ، طبقات السبكي ٣/١١١ ، الاعلام ١/٥٩ .

(٢) هو أبو علي الحسين بن شعيب بن محمد السنجي ، ينتسب الى سنج قرية من قرى مرو ، كان فقيها من فقهاء الشافعية في مدينة مرو ، توفي فيها سنة (٤٢٧هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٤٥، الاعلام ٢/٢٥٨ .

(٣) هو أبو عبدالله بدرالدين محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي كان فقيهاً عالماً اصولياً له عدة مصنفات ، توفي سنة (٧٩٤هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٣/٣٩٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٣٥ ، الاعلام ٦/٢٨٦ .

(٤) هو أبو عبدالله شمس‌الدين محمد بن عبدالدائم بن موسى النعيمي العسقلاني البرماوي ، نسبة الى ( برمة ) من محافظة الغربية بمصر ، ولد في مصر سنة (٧٦٣هـ وتربى وتعلم فيها واصبح عالماً بالفقه والحديث سافر الى دمشق وتصدر للافتاء ، وتوفي في القدس سنة (٨٣١هـ) ، ترجمته في البدر الطالع ٢/٨٨١ ، الضوء اللامع ٧/٢٨٠ ، الاعلام ٧/٦٠ .

كابن السَّبكي في جمعِ الجوامعِ أنَّ فرضَ الكفايةِ أفضلُ من فرضِ العينِ ، قالا : وصوابُ النّقلِ عنهم أنَّ القيامَ بهِ أفضلُ كمَا وقعَ في عباراتهم ، لا أنَّه نفسَهُ أفضلُ .

قلتُ : وفي قولِ النووي : ( من حيثُ إنَّ فاعلَهُ يسدُّ مسدَّ الأمةِ )[1] ، دلالةٌ ظاهرةٌ علَى أنَّ المرادَ من فرض الكفايةِ فعلُ المكلَّفِ الّذي كلَّفهُ بهِ الشّارعُ ، وهو متعلِّقُ الثّوابِ ، وهو ما حصلَ في الخارجِ من قيامِ المكلّفِ بذلكَ الفرضِ ، فوَصْفُ الاتيانِ بهِ بالأفضليةِ إنّما هو من حيثُ كونُ المأتي بهِ أفضلَ من هذهِ الحيثيةِ المخصوصةِ ، فنبَّهَ الامام النّووي بِمَا عبَّرَ بهِ على أنّهُ مرادُ إمامِ الحرمينِ ، ولهذا لم يعرّج شيخنا محقق العصرِ الجلالُ[2] المحلي في شرحه لجمعِ الجوامع على هذا الاعتراض من شيخهِ البرماوي .

قلتُ : وفي قولِ النّووي أيضاً من حيثُ إنَّ فاعلَهُ الى آخرِهِ ، دلالةٌ عَلَى أنّهُ لَيْسَ أفضلَ من فرضِ

---

(1) شرح المهذب ١/٣٧ .

(2) هو محمد بن احمد بن ابراهيم بن احمد بن هاشم المحلي ، نسبة للمحلة الكبرى في مصر ، ولد في القاهرة سنة (٧٩١هـ) ودرس فيها واصبح عالماً ومفسراً واصولياً مشهوراً ، عُرِضَ عليه القضاء الاكبر وامتنع ، له مؤلفات كثيرة ، توفي في القاهرة سنة (٨٦٤هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٧/٣٠٣ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٢ ، الضوء اللامع ٧/٣٩ ، الاعلام ٦/٢٣٠ .

العينِ مطلقاً ، بل من هـذه الحيثية فقط ، ولـذا قالَ شيخُنا الجَلالُ المحلي : والمتبادرُ الى الأذهان ــ وإنْ لم يتعرَّضوا لـه فيما علمتُ ــ أنَّ فرضَ العينِ أفضـلُ لشـدَّةِ اعتنـاءِ الشارعِ بـهِ بقصد حصولهِ من كلِّ مكلَّفٍ في الأغلبِ انتهى .

ويشهدُ لذلكَ قولُ أصحابِنا : إنَّ قطعَ الطَّوافِ المفروضِ لفعـلِ سُنَّةٍ أو صَـلاةِ جَنـازةٍ مكروه" ، وعلَّلُوهُ بأنَّـهُ لا يحسُنُ تركُ فرضِ العينِ لسُنَّةٍ أو فرضِ كفايةٍ ، كما ذكرهُ الشَّيخان وغيرهما ، ونصَّ إمامُنا الشَّافعيُ على ذلكَ في الأمِّ[1] [١٤و] لئـلا يقطعَ فرضاً لنفلٍ أو فرضِ كفايةٍ انتهى .

ووجهُهُ ما أشارَ اليهِ شيخُنا من أنَّ مزيَّةَ فرضِ العينِ من حيثُ اعتناءُ الشارعِ بـهِ حيثُ لـم يجوِّزْ تركَهُ بوجهٍ مقتضيهِ ، لئلاَّ يشتغلَ عنـهُ بـما يجوزُ لهُ تركهُ في الجُملةِ ، للاكتفاء فيه بوجودِ الفعلِ من غيرهِ ، فالحاصلُ أنَّ لكلٍّ مـن فرضِ العينِ ، وفرضِ الكفايةِ مزيَّةً ، ومزيَّةُ فرضِ العينِ الدَّلالَةُ على أنَّ عنايةَ الشَّارعِ بهِ أشدُّ ، مقتضيةٌ لتفضيله . فانْ قيـلَ قولُ الامـامِ : ولأنَّ العـلمَ الَّذي الكلامُ فيـه فرضُ كفايـةٍ الى آخـره . كانَ الأصوبُ أنْ يقـولَ بدَلَهُ : ولأنَّ العلمَ الذي الكلامُ فيهِ إمَّا فرضُ عينٍ ، وإمَّا فرضُ كفايةٍ ، وكلاهما أفضلُ من النَّافلةِ .

---

(١) ينظر كتاب الام للامام الشافعي ٢/١٧٠ ــ ١٧٨ .

قُلْنَا : إذا ثبتَ تفضيلُ فرضِ الكَفايةِ من العلمِ ، ففرضُ العينِ أَوْلى ، مع أنَّهُ ليسَ المرادُ تفضيل الاشتغالِ بفرضِ الكفايةِ من العلمِ علَى الاشتغالِ بغيرهِ من نوافلِ العباداتِ ، ألا ترى الى ما وردَ من تفضيلِ العالمِ علَى العابدِ ، مع أنَّ العابدَ لا يخلو عن علمٍ بالعبادةِ الَّتي يواظبُ عليها ، ولولا ذلكَ لم تكن عبادةً ، فلا بدَّ له من علمٍ ما هو فرضُ عينٍ عليهِ ، وهو ما لا يتأدى الواجبُ الَّذي يعيِّنُ عليهِ فعلهُ إلاَّ به ، وكذا كلُّ عبادةٍ أرادَ أن يأتي بها ويدخلَ فيها ، إذاً يُحرِمُ التَّلبسُ[1] بالعبادةِ ، وإنْ كانت نفلاً قبلَ معرفةَ كيفيتها ، وعلى هذا جماعات حديث سُنن ابن ماجةَ ومسندِ أبي يعلى وغيرهما عن أنس مرفوعاً : ( طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ )[2] ، وقَدْ ذَكرَ [ لَهُ ][3] الزَّين العراقي [١٤ظ] في أماليهِ إسناداً جيِّداً وحسَّنهُ من أجله ، وأشارَ النَّووي بقوله : الَّذي الكلامُ فيه الى ما أشارَ اليهِ في شرحِ المهذَّبَ أيضاً من انقسامِ العلمِ المطلوب شرعاً الى : فرضِ عينٍ ، وفرض كفايةٍ ، ونفلٍ . وقالَ في بيانِ القسمِ الثالثِ : ( هو كالتبحُّرِ في أُصُولِ الأدلةِ ، والامعان فيما وراء القدرِ الَّذي يحصلُ بهِ فرضُ الكفايةِ ، وكتعلّمِ العامي نوافلَ العباداتِ لغرضِ العمل

---

(١) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل ( اللبس ) وهو تحريف .
(٢) سنن ابن ماجة ١/٨١ ، شرح المهذب ١/٤١ ، ورواه الطبراني عن ابن مسعود ، المعجم الكبير ١٠/٢٤٠ .
(٣) ( لـه ) : ساقطة من الاصل ، وهي زيادة من (م) ، (ب) .

لا ما يقومُ بهِ العلماءُ من تمييز الفرض من النفلِ ، فإنَّ ذلكَ فرضُ كفايةٍ في حقِّهم )[1] انتهى .

قلتُ : وفيه نظر ، إذ قد يُقالُ لِمَ لا يتحرَّجُ التَّبحر فيما ذُكِر على الخلافِ في مسحِ جميعِ الرَّأسِ وتطويل السُّجود ؟ هَلْ يُوصَفُ الجمعَ بالعرضيَّة أم قدرُ الواجبِ والزَّائد[2] سُنَّة ؟

وأمَّا تعلُّم العامي لما ذُكِرَ فينبغي كونه فرضَ كفايةٍ ، وإنْ لم يفِ بالغرض ، أو عينٍ ، لامتناعِ الشروعِ في العبادةِ [ وإنْ كانتْ نفلاً قبلَ العلم بما يحتاج إليه في كيفيتها ، إذ لا تصحُّ العبادةُ ][3] إلاَّ ممَّنْ يعرفُها كما صرَّحَ بهِ النَّووي ، فليحمل[4] ما سبقَ عنهُ على تعلُّم ما زادَ على ذلكَ ، ويجعلُ كونُ الغرضِ منهُ العمل مانعاً من وقوعه فرضُ كفايةٍ ، لأنَّهُ لم يقصد بهِ الشروع في تحصيلهِ فليتأمل .

قُلتُ : ولمْ يختلفُوا في تفضيلِ الاشتغالِ بالعلمِ الشَّرعي على وجههِ المشروعِ علَى الاشتغالِ بنوافلِ الطَّاعاتِ ، ولهذا نقلَ بعضُهم عن سفيان بن عيينة أنَّهُ قالَ : ( أرفعُ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً من كانَ

---

(1) شرح المهذب للنووي ١/٤٥ .

(2) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) ( منه ) مكان ( والزائد سنة ) .

(3) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر ، وهو عن (م) ، (ب) .

(4) ينظر شرح التهذيب للنووي ١/٤٥ .

بينَ اللهِ وبينَ عبادهِ ، وهم الأنبياءُ والعلماءُ )[1] قالَ : ولم يُعطَ أحدٌ شيئاً في الدُنيا أفضلَ من النُبوةِ ، وما بعدَ النُبوةِ شيءٌ أفضلُ من العلمِ والفقهِ ، فقيلَ عَمَّنْ هذا [١٥و] قالَ : عن الفقهاءِ كُلِّهم ، انتهى .

ورَوى الامامُ البيهقي بسندهِ عَنِ الرَبيعِ[2] بن سليمان قالَ : سمعتُ الامام الشَافعي يقولُ : ( ليس بعدَ أداءِ الفرائضِ أفضلُ من طلب العلمِ . قيلَ لهُ : ولا الجهادُ في سبيل اللهِ ؟ قالَ : ولا الجهادُ في سبيلِ اللهِ )[3] ، ثُمَ رَوى بسندهِ خَبَرَ ابن عيينة المتقدم ، ولفظهُ : ( سمعتُ الشَافعي يقولُ : سمعتُ ابنَ عيينة يقولُ : لم يُعطَ أحدٌ في الدُنيا أفضلَ من النبوَّةِ ، ولم يُعْطَ أحدٌ بعدَ النبوَّةِ شيئاً أفضل من العلمِ والفقهِ ، ولم يُعطَ في الآخرةِ أفضلَ من الرَّحمةِ . فقيلَ لهُ : يا أبا عبدالله عَمَّنْ هذا ؟ قالَ : عن الفقهاءِ كُلِّهم )[4] .

---

(١) شرح المهذب ٣٦/١ ، وفيه ( الرسل والعلماء ) مكان ( الانبياء والعلماء ) .

(٢) هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادي بالولاء ، صاحب الامام الشافعي ، وراوي كتبه ، واول من أملى الحديث بجامع ابن طولون ، ولد سنة (١٧٤هـ)، وتوفي سنة (٢٧٠هـ) ترجمته في تهذيب التهذيب ٢٤٧/٣ ، وفيات الاعيان ١٨٣/١ ، الاعلام ٣٩/٣ .

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ١٣٨/٢ .

(٤) مناقب الشافعي ١٣٩/٢ .

وأخرج البيهقي أيضاً عن سليمان التَّيمي قال : كنت أنا وأبو عثمان ، وأبو نضرة ، وأبو مجلز ، وخالد الأشج نتذاكر الحديث والسُّنَّة ، فقال بعضهم : لو قرأنا سورة من القرآن كان أفضل . فقال أبو نضرة : كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول : ( مذاكرة الحديث أفضل من قراءة القرآن )(1) ، ثم أن ظاهر ما تقدَّم من الاستدلات على تفضيل ذلك على نوافل الطَّاعات شموله للرَّواتب المؤكدة مع المواضبة عليها من سيد العلماء ومعلمهم صلوات الله وسلامه عليه ، وسلوك طريق المواضبة عليها هو ما درج عليه السَّلف من العلماء ، وتبعهم الخلف ، وذكروا تأكيدها حتَّى قالوا : إنَّ تركها يخلُّ بالعدالة ، فينبغي حمل اطلاقهم على ما عداها ، إلاّ أنْ تشتدَّ الحاجة الى الكلام في العلم(2) ، فتقدم على الراتبة ، ويقضيها إذا فاتت كما ثبت في الصَّحيحين من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم [١٥ظ] لأُم سلمة : ( يا بنت أبي أُميَّة ! سألت عن الرَّكعتين بعد العصر [ أي اللتين راتبة" يفعلهما بعد العصر ](3) انَّه أتاني أُناس" من وفد عبد القيس بالاسلام من قومهم ، فشغلوني عن اللتين بعد الظُّهر ، فهما هاتان الركعتان )(4) .

---

(1) ذكره الخطيب البغدادي : ( قال رجل لأبي مجلز ، وهم يتذاكرون الفقه والسنة : لو قرأت علينا سورة من القرآن الكريم ، فقال : ما أنا بالذي أزعم أن قراءة القرآن افضل ما نحن فيه ) الفقيه والمتفقه ١/١٧ .

(2) ( في العلم ) : ساقطة من (ب) .

(3) ما بين المعقوفين : ساقط من الاصل ، وهو من (م) ، (ب) .

(4) المعجم الكبير للطبراني ٢٣/٢٥٩ .

وفـــي كتابِ ترتيب الاوراد من الأحياء فـــي بيـانِ اختلاف الأوراد باختلافِ الأحـوالِ أنَّ العـالمَ الَّـذي ينتفعُ النَّاسُ بعلمـــهِ إنْ أمكنـــهُ إستغراق الأوقاتِ فيه ، أفضلُ ما يشغَلُ بـهِ[1] بعدَ المكتوباتِ وروايتها انتهى .

فالظَّاهـرُ ما قدَّمناهُ ، وإلاّ فليقيِّد ما ذكروهُ في إخلالِ تركها بالعدالةِ بما إذا كانَ من غيرِ أنْ يُصرَف زمنها لما هـو أفضلُ منهـا ، وقـد رأيتُ فـي الطَّالِعِ السعيد لأبـي جعفـر الأدفوي مـا حاصله[2] أنَّ ابـن دقيق[3] العيد لمـا وصلَ اليـهِ الشرحُ الكبيرُ[4] للامام الرّافعي المسمى بالعزيز ، اشتغل بمطالعتهِ ، وصـار يقتصرُ من الصَّلواتِ على الفرائض فقط ، ولعلَّ المراد معَ توابعها .

وفـي الأحيـاء قالَ ابن عبدالحكم : ( كنتُ عنـدَ مالك أقرأُ عليهِ العلمَ ، فدخلَ الظُّهرُ فجمعتُ الكتبَ لأُصلِّي ، فقال : يا هذا مـا الذي قمتَ اليـهِ بأفضلَ مِمَّا كنتَ فيهِ ، إذا صحَّتِ النيةُ )[5] .

---

(١) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : (بعض) وهو تحريف .

(٢) ينظر الطالع السعيد ص٥٨٠ .

(٣) هو محمد بن علي بن وهب ، تقي الدين بن دقيق العيد القشيري ، كان عالماً فاضلاً وفقيها مشهوراً ، توفي سنة (٧٠٢هـ) ، الطـالع السعيد ص٥٦٧ ـ ٥٩٩ .

(٤) ( الشرح الكبير ) : هو ( فتح العزيز على كتاب الوجيز ) للامـام ابي القاسم عبدالكريم بن محمد القزويني الرافعي الشافعي (ت٦٢٣هـ) شرح به كتاب الوجيز في فروع الشافعية للغزالي . ينظر كشـف الظنـون ٢٠٠٢ .

(٥) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٨ ، نقله عن ابن وهب .

قلتُ : وهو ظاهرٌ في تفضيل الاشتغال بالعلم مع صحّة النية فيه ، وهو المشارُ اليه بقولنا : على وجه المشروع على فضيلة أوّل الوقت ، وقول النّووي : ولأنّ العابدَ تابعٌ للعالمِ الى قوله : واجبٌ عليه ، عبَّرَ عنهُ البدرُ بن جماعة بقوله : ( ولأنّ طاعةَ العالمِ واجبةٌ على غيره فيه ، وزادَ ولأنّ في بقاء العِلْمِ إحياءَ الشَّريعةِ [١٦و] حفظَ مَعالمِ المِلّةِ )(١) انتهى .

قلتُ : وما ذكرهُ من وجوبِ طاعةِ العالم فيما يتعلّق بالعلمِ ظاهرٌ صرّحَ بهِ غيرهما ، واستدلَّ عليه بقوله تعالى : ( أَطيعُوا اللهَ وَأَطيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ منْكُمْ )(٢) . قالَ عطا في تفسيرها كما في مسند الدّارمي : ( أُولوا العلم والفقه )(٣) ، وصحّحهُ بعضُهم ، لقوله تعالى : ( وَلَوْ رَدّوهُ إلى الرّسُولِ وَإلى أُولي الأَمْرِ منْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ منْهُمْ )(٤) . فالرّاجحُ في هذه(٥) اتّفاقاً أنّ المرادَ بأُولي الأَمْرِ العلماءُ ، علَى أنّهُ لو سُلّمَ أنّ المرادَ من أُولي الأمرِ فيهما ولاتُ الأمُورِ ، فالشَّرطُ فيهم العلمُ ، ولا طاعةَ

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص١٣ ، شرح المهذب ١/٣٧ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٣) مسند الدارمي ١/٦٣ .

(٤) سورة النساء الآية : ٨٣ .

(٥) ( في هذه ) : ساقطة من (ب) .

لهم إلاّ فيما وافقَ العلمَ ، ( إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالقِ )(١) ، فالدّلالة علَى ما ذكرناه ُ ظاهِر" ، ولهذا اعترضَ التّقي(٢) السّبكي قولَ إمامِ الحرمين : القضاءُ إظهارُ حكمِ الشّرعِ من مطاعٍ ، قالَ : والتّعبير بمطاعٍ للاحتراز عن المفتي ، فقالَ السّبكي : هذا باطل" ، لأنّ المفتي تجبُ طاعته ُ ، فهو مطاع" شرعاً ، انتهى .

قلتُ : الظاهرُ إنّ مرادَ إمامِ الحرمينِ بالمُطاعِ ، من وجبتْ طاعتهُ بالخصوصِ لا بعمومِ كونه عالماً ومفتياً ، وهو من انعقدت ولايته ُ لفصل القضايا ، فقد قالَ في كتابِ الغيّاثي : إنّهُ إذا خلى الزّمانُ عن إمامٍ وعن سلطانٍ ذي كفايةٍ فالأمُور موكولة" إلى العلماءِ ، ويلزمُ الأمةُ الرجوعَ اليهم ، ويصيرون ولاةَ العبادِ ، فانْ عسرَ جمعهم علَى واحدٍ استقلَ أهلُ كُلِّ نَاحيةٍ باتباعِ علمائهم ، فانْ كثُرَ عُلماءُ ناحيةٍ فالمتبعُ أعلمهم ، [١٦ظ] فان إستووا أُقرِعَ بينهم انتهى .

هذا من حيثُ انعقادُ الولايةِ الخاصةِ ، فلا ينافي وجوب طاعةِ العلماء مطلقاً ، وقد كانَ الامامُ مالكُ بن أنس يمتنعُ من الدخولِ في الولاياتِ ، ومع ذلكَ فكان يأمرُ بالحبسِ والتعزير فيمن رأى استحقاقهُ لذلكَ

---

(١) مسند ابن حنبل ٥/٦٦ ، وفيه عن عمران بن حصين ، المستدرك للحاكم ٣/٣٥٦ وفيه عن عثمان بن عفان : (فلا طاعة لمن عصى الله) .

(٢) مرت ترجمته .

فيمثلُ أمره ، وكذا الشَّافعي ، فقد رُوِيَ البيهقي عن عليٍّ بن الورّاق قالَ : ( كانَ الشَّافعي عَطِراً : وذلكَ أنَّهُ كانَ بهِ باسُور ، وكانَ يجيءُ غُلامهُ كُلَّ يومٍ بغَالِيَةٍ فيمسحُ بها الاسطوانةَ الَّتي يجلسُ عليها ، وكانَ الى جنبهِ انسانٌ يُسمي[1] الشافعي بالبطَّال ، فلما كانَ ذاتَ يوم عمدَ الى شاربهِ فوضعَ فيه قذراً ثم جاءَ الى حلقةِ الشَّافعي ، فلمَّا شمَّ الشافعيُّ الرّائحةَ أنكرها ، فقالَ : فتّشوا نعالكم ، فقالوا : ما نرى شيئاً ، فقالَ : فيشمُّ بعضكم بعضاً ، فوجدوا ذلك الرَّجُلَ ، فقالوا : هذا ، فقالَ : ما حَمَلَكَ على هذا ؟ فقالَ : رأيتُ تجبُّركَ فأردتُ أنْ أتواضعَ لله تعالى ، قالَ : خذوهُ فاذهبوا بهِ الى عبدالواحد ــ وكانَ على الشُّرطةِ ــ فقولوا لـه : يقولُ لكَ أبو عبدالله اعتقل هذا الى أن أتصرَّفَ ، فلمَّا خرج الشَّافعي دخلَ عليه فدعا به فضُرِبَ ثلاثين ، أو أربعين درةً ، فقالَ : هذا بما تخطيتَ المسجد بالقَذَر وصليتَ على غيرِ الطَّهارةِ )[2] .

وقد أخرجَ ابن السَّمان عن محمد بن زيادٍ قالَ : ( كانَ عُمر يطوفُ بالبيتِ ، وعليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ يطوفُ أمامَهُ ، إذْ عرضَ رجلٌ لعمر فقالَ : يا أمير المؤمنين خذ لي حقي من عليٍّ بن أبي طالبَ ، قالَ : وما بالهُ ؟ قالَ : لطم عيني ، قالَ : [١٧و] فوقفَ عُمر حتَّى

---

(١) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) ( يسميه ) وهو مخالف للنص .

(٢) النص في مناقب الشافعي للبيهقي ٢/٢٠٨ .

مرَّ به عليٌّ ، فقالَ : ألطمتَ عينَ هـذا يا أبا الحسن ؟ قالَ : نعم يا أمير المؤمنين . قالَ : ولِـمَ ؟ قالَ : لأنّي رأيتـهُ يتأملُ حرمَ المؤمنينَ في الطّوافِ ، فقالَ عمر : أحسنتَ يا أبا الحسن )[1] .

قلتُ : ولم يزل ولاةُ الأمورِ ، وإن كانوا في العلمِ بمكانةٍ يرعونَ العلماءَ ، ويرجعونَ اليهم ، فقد أخرج الامام أحمد في مسنده عن أبي ظبيان قالَ : ( شهدتُ[2] عمـر رضيَ اللهُ عنـهُ أُتيَ بامرأة قد زنت ، فأمـر برجمهـا ، فذهبوا بها ليرجمُوها ، فلقيهم عليٌّ رضيَ الله عنهُ ، فقالَ لهم : ما بالُ هذه ؟ قالوا : زنت فأمـر عُمر برجمها ، فانتزعها عليٌّ من أيديهم وردهم ، فرجعوا الى عمر فقالوا : ردّنا عليٌّ ، فقالَ : مـا فعل هذا عليٌّ إلاّ لشيءٍ ، فأرسلَ اليه فجاءَهُ ، فقالَ : ما لكَ رددتَ هذه ؟ قالَ : أمـا سمعْتَ النّبيَّ صلّى اللهُ عليـهِ وآلهِ وسلّم يقولُ : ( رُفِـعَ القـلمُ عـن ثلاثـة : عـن النّائمِ حتّى يستيقظَ ، وعن الصغير حتّى يكبرَ ، وعن المبتلي حتّى يعقلَ ؟ )[3] قالَ : بلى . قالَ : فهذه مبتلاة بني فلان ، أتاها وهو بها ، فقال لـهُ عمـر رضيَ اللهُ عنهُ : لا أدري ، قالَ : وأنا لا أدري ، فتركَ رجمَهـا ) . وفي رواية ، فقالَ عمر : ( لولا عليٌّ لهلك عمر )[4] .

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص٨٢ .
(٢) هذا الكلام في تذكرة خواص الامة لسبط بن الجوزي ص٨٧ ، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للمحب الطبري ص٨١ .
(٣) مسند الامام ابن حنبل ٦/١٠ ، ١٠١ ، ١٤٤ .
(٤) تذكرة خواص الامـة ص٨٧ .

ورُوِيَ بعضهم أنَّهُ اتفقَ لعليٍّ مـعَ أبي بكر رضـِيَ اللهُ عنهما نحو ذلكَ ، وقـد أخرجَ ابن السَّمان عن أبي سعيد الخدري أنَّهُ سَمِـعَ عمر يقولُ لعليٍّ رضِيَ اللهُ عنهما ، وقد سأله عن شيءٍ فأجابَهُ ففرَّج عنـه : ( لا أبقاني اللهُ بَعدكَ يا عليّ )[1] • وقال الزَّين العراقي في شرحِ التقريب ، في ترجمةِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : قال عُمـر رضِيَ اللهُ عنـهُ : ( أقضانا عليٌّ )[2] ، وكـان يَتعـوَّذُ من معضلةٍ [١٧ظ] لَيْسَ لَها أبو الحسن[3] انتهى ، وهذا التَّعوذ رواهُ الدارقطني وغيرهُ ، ولفظهُ : ( أعوذُ باللهِ من معضلةٍ ليسَ لها أبو الحسن )[4] ، وفي رواية لهُ عن أبي سعيد الخدري قال : قدِمنا مـع عمر مكةَ ومعهُ عليُّ بن أبي طالب ، فذكر لـهُ عليٌّ شيئاً ، فقالَ عمر : ( أعـوذ باللهِ أن أعيشَ في قومٍ ليس فيهم أبا حسن )[5] ، قالوا : وإنَّما لم نوله شيئاً من النعوتِ ، لأنَّهُ يمسكهُ عندَهُ لأخذ رأيهِ ومشاورتهِ •

وأخرجَ الحافظ عن عبدالملك بن أبي سليمان قالَ : قلتُ لعطاء : ( أكانَ أحدٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلـهِ وسلَّم أفقـهُ من عليٍّ ؟ قالَ : لا واللهِ ما علمتهُ )[6] •

---

(١) تذكرة خواص الامة ص٨٨ ، وفيه : ( لا أبقاني اللهُ بعد ابن ابي طالب ) ، ذخائر العقبى ص٨٢ نفس الكلام •
(٢) المستدرك للحاكم ٣/١٣٥ ، ذخائر العقبى ص٨٣ •
(٣) ذخائر العقبى ص٨٢ •
(٤) ذخائر العقبى ص٨٢ ، ٨٥ •
(٥) ذخائر العقبى ص٨٢ •
(٦) ذخائر العقبى ص٧٨ •

قلتُ : وهذا شاهدٌ مما جاءَ في فضيلة عليٍّ ، في هذا الباب شاهدٌ لحديث : ( أَنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها )[1] ، رواهُ الامامُ أحمد في الفضائلِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، والحاكم في المناقب في مستدركه ، والطَّبراني في معجمهِ الكبير ، وأبو الشيخ ابن حِبَّان في السُّنة له ، وغيرهم كلهم ، عن ابن عباس مرفوعاً بهِ بزيادةٍ ، ( فمن أتَى العلمَ فليأتِ الباب )[2] ، رواهُ التِّرمذي من حديث عليٍّ مرفوعاً : ( أنا مدينة العلمِ وعليٌّ بابُها )[3] . وقالَ التِّرمذيُّ عُقَيْبَ هذا : إنَّهُ مُنكَر ، وكذا قالَ شيخهُ البُخاري . وقالَ الحاكم[4] عقب الأوَّلِ : إنَّهُ صحيحُ الاسناد ، ورواهُ ابن الجوزي[5] مع الثاني في الموضوعات ، وقالَ الحافظ أبو سعيد الغلامي : الصَّوابُ أنَّهُ حسنٌ باعتبار طرقه ، لا صحيح ولا ضعيف ، فضلاً عن أن يكونَ موضوعاً ، وكذا قالَ شيخُ الاسلام ابن حجر في فتاوى لَهُ[6] : ولا ينافيه تفضيل أبي بكر [١٨و] وشهدَ لَهُ بالعلمِ أيضاً . فقد قالَ عليٌّ : ( أبو بكر أعلمهم وأفضلهم ، وما اختلفوا

---

(١) المستدرك للحاكم ٣/١٢٦ ، وفيه عن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم : ( أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب ) .

(٢) المستدرك ٣/١٢٦ تكملة للحديث السابق .

(٣) صحيح الترمذي ١٣/١٧١ وفيه : ( أنا دار الحكمة وعلي بابها ) .

(٤) ينظر المستدرك ٣/١٢٦ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ١/٣٥١ .

(٦) ( لَهُ ) : ساقطة من (ب) .

في شيءٍ إلاّ كانَ الحقُ معه ) ، وعدم اشتهار علمه لعدم طولِ مدته بعد الاحتياجَ لموتِ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ ، وقول عمر رضِيَ اللهُ عنه : ( عليٌّ أقضانا )[1] ، رواه البخاري في صحيحه ، ونحوه عن جماعةٍ من الصحابة ، وللحاكم في المستدرك عن ابن مسعودٍ قالَ : ( كنّا نتحدّثُ أنَّ أقضى المدينة[2] عليٌّ ) ، وقالَ : إنّه صحيح ، ولم يخرجاه وأصلُ ذلكَ قصّةُ بعثه صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلّم لعليٍّ رضِيَ اللهُ عنهُ الى اليمن قاضياً ، ( فقَالَ يا رسولَ الله : بعثتني أَقضي بينهم ، وأنا شابٌّ لا أَدري ما القضاء ؟ فضربَ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم في صدره ، وقال : ( اللهمَّ أَهده وثبِّتْ لسانَه ) ، قالَ : فوالذي فلقَ الحبّةَ وبرأَ النسمةَ ما شككتُ في قضاءٍ بين اثنينِ )[3] ، رواهُ أبو داود والحاكمُ وقالَ : صحيح الاسنادِ ، وبهذا يستغني عمّا أَورده البغوي[4] في المصابيح[5] ، ورواهُ أيضاً غيرهُ بأسانيدَ ضعيفةٍ مرفوعاً : ( أَقضى أُمتي عليٌّ ) ، مع أنَّ الامام أحمدُ رواهُ في حديث : ( أَرحم أُمتي أبو بكر ، وأشدهم في

---

(١) ذخائر العقبى ص٨٣ .

(٢) المستدرك ٣/١٣٥ .

(٣) مسند ابن حنبل ١/١١١ ، المستدرك ٣/١٣٥ ، مع اختلاف في لفظ المصدرين .

(٤) هو ركن الاسلام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي المعروف بالفراء المتوفى سنة (٥١٠هـ) .

(٥) انظر مصابيح السنة للبغوي ٢/٥٠ .

أمرِ اللهِ عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأقضاهم عليٌ ، وأفرضهم زيد الحديث )[1] ، ورواه التّرمذي بدونِ قولهِ : ( أقضاهم عليٌ ) ، وصحّحه ، وروى أحمد والطّبراني برجالٍ وثقوا أنّ النّبيّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم قالَ لفاطمة رضيَ اللهُ عنها : ( أما ترضين أنّ زوجَكِ أقدمَ أُمتي سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأعظمهم حلْماً )[2] ، ومِن المَعلُومِ أنّ [١٨ظ] العِلمَ هو مادةُ القَضاءِ .

ومن عيون ما أُنْشِدَ في فضلِ العلمِ وأهله ما يُروَى عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقيل إنّهُ لأبنهِ الحسن رضيَ اللهُ عنه[3] :

مَا الفَخْرُ إلاّ لأهْلِ العلمِ إنّهُم
على الهُدى لمن استهدَى أدِلاءُ

ووزنُ كلّ إمْرِءٍ مَا كانَ يحسنهُ
والجاهلونَ لأهْلِ العلمِ أعداءُ

ففُز بعلمٍ تزد في الخيرِ مأثرةً
فالنّاسُ موتَى وأهْلُ العلمِ أَحياءُ

---

(١) مسند الامام ابن حنبل ٣/١٨٤ ، ٢٨١ ، وقد ذكر الحديث دون ان يذكر علياً .

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٥/٢٦ .

(٣) الابيات في الديوان المنسوب للامام علي ص٦ ، شرح ديوان الامام على لزادة سعدالدين سلمان ص٨ ـ ٩ ، وفي الكتابين اختلاف في الالفاظ لا يؤثر على المعنى ، وآثرنا الابقاء على ما في المخطوطة ، وهي في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٤ ، شرح المهذب ١/٣٨ ، ولم ينسبه احد هذه المصادر لابنه الحسن .

وجاءَ عن أبي الأسود الدؤلي إنَّهُ قالَ على ما نقلهُ النووي[1] :

العِلمُ زيْنٌ وتَشريفٌ لصاحبِهِ
فاطلبْ هُدِيتَ فنونَ العِلْمِ والأدَبا

لا خيرَ فيمن لهُ أصلٌ بلا أدبٍ
حتَّى يكونَ على ما زانهُ حدبا

كَمْ مِنْ كَريمٍ أخي[2] عَيٍّ وطمطمةٍ
فَدْم لدى القومِ معروفٌ إذا نُسِبا

في بيتِ مكرمةٍ آباؤهُ نُجُبٌ
كانُوا الرُّؤوسَ فأمسى بعدهم ذَنَبَا

وخاملٍ مقرف[3] الآباءِ ذي أدبٍ
نَالَ المَعاليَ بالآدابِ والرُّتَبا

أَمسَى عزيزاً عظيم الشَّأن مشتهراً
في خَدهِ صعرٌ قد ضلَّ محتجبا

---

(١) ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق محمد حسن آل ياسين ص٩٦ ، ديوان أبي الاسود الدؤلي تحقيق العجيلي ص٢٢٥ ، شرح المهذب للنووي ٣٧/١ ، الفقيه والمتفقه للبغدادي ٥٢/١ ، جواهر الادب ٢٩٥/٢ .

(٢) في الاصل ( أخا ) وهو خطأ .

(٣) المقرف : القبيح الوجه ، ويقصد الشاعر بالمقرف : الهجين الذي امه عربية وابوهُ أعجمي .

العلمُ كنزٌ وذخرٌ لا نفادَ لهُ
نعمَ القرينُ إذا ما صاحِبٌ صُحِبا

قَدْ يجمعُ المرءُ مالاً ثم يُحْرمَهُ
عمّا قليلٍ فيلقَى الذُّلَّ والحرَبا

وجَامِعُ العِلمِ مغبوطٌ بهِ أبداً
ولا تحاذرُ منهُ الفوتَ والعَطبا[1]

يا جَامِعَ العلمِ نعمَ الذُّخرُ تجمعُهُ
لا تعدلَنَّ بهِ درّاً ولا ذَهَبا

ولبعضهم[2] :

قَدْ عابَ ذا الفقهِ قومٌ لا عقولَ لهم
ومَا عليهِ إذا عابوهُ من ضَرَرِ

مَا ضرَّ شمسُ الضحى والشَّمْسُ طَالعةٌ
أَنْ لا يرَى ضوءَها من ليس ذا بصرِ

[١٩و] ولبعضهم[3] :

وألذَّ ما طلبَ الفتَى بعد التُّقا
علماً هُناكَ يزينُهُ طلبُهُ

(١) كذا في المخطوطة ، وفي المصادر المذكورة : ( السلبا ) .
(٢) البيتان في شرح المهذب ٣٨/١ ، وفيه ( عاب التفقه ) مكان ( قد عاب ذا الفقه ) .
(٣) البيتان لاحمد بن محمد بن أحمد كما ذكر ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٣٠ .

وَلِكُلٍّ طالبٍ لَذَّةٌ متنزَّهٌ
وَأَلَذُّ نزهةِ عالمٍ كتبه

## فصل[1]

قد ترجمَ الإمامُ النووي في مقدمة شرح المهذّب للنهي الأكيد، والوعيد الشّديد لمن يؤذي، أو ينتقصُ الفقهاءَ والمتفقهين، والحثُّ على إكرامهم وتعظيم حرماتهم، ثم أَوردَ في ذلكَ قولهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[2]، وقولهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾[4].

قلتُ: ووجهُ الدّلالةِ من الآيتينِ الأوليتين ظاهرٌ، لأنّ علماءَ الدِّين من أعظمِ شعائرِ اللهِ، إذ المرادُ من شعائرِ اللهِ أعلام دينه، وهم من أعظمِ حرماتهِ على ما دلَّتْ عليهِ الأدلة السابقة، وأمّا وجهُ الدّلالة من الآيةِ الثالثةِ، فهو أنّ هذا الوعيدَ إذا ثبتَ الفاعلُ ذلكَ بالنسبةِ الى عامةِ المؤمنين، فما ذاك بخاصتِهم،

---

(١) الفصل والفقرة الى نهاية آية سورة الاحزاب من شرح المهذب ١/٤٠.

(٢) سورة الحج الآية : ٣٢ .

(٣) سورة الحج الآية : ٣٠ .

(٤) سورة الاحزاب الآية : ٥٨ .

ولهذا أردفَ النَّووي ذلكَ بالحديث الآتي : ( من آذى لي وليّاً الحديث )[1] ٠

وعن أبي أُمامة مرفوعاً : ( ثلاثةٌ لا يستخفُ بهم إلاّ منافق : ذو الشيبةِ في الاسلامِ ، وذو العلمِ ، وإمامٌ مقسط )[2] ، رواهُ الطَّبراني في الكبير ٠

وعن عبدالله بن عمر قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : ( ليسَ منَّا من لم يوقر كَبيرَنا ، ومن لم يعرف لعالمنا حقَّهُ )[3] ، رواهُ الترمذي ، ورواهُ أبو يعلى [١٩ظ] عن أنس مرفوعاً ٠

وعن أبي الدَّرداءِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( اكرموا العلماءَ ووقروهم ، وأحبوا المساكين وجالسوهم ، وارحموا الأغنياءَ وعفُوا عن أموالهم ) ، رواهُ أبو عبدالرحمن السَّلمي في سنن الصُّوفية ، وكذا روي عن أنس مرفوعاً : ( بجِّلُوا المشايخ فإنَّ تبجيل المشايخ مِنْ إجلالِ اللهِ تعالى )[4] ، وأخرجهُ الخطيب في الجامعِ ،

---

(١) الحديث عن أبي هريرة كما ذكرهُ النووي في شرح المهذب ١/٤٠ ٠

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٨/٢٣٨ ، وفيه لا يستخف بحقهم مكان ( بهم ) ٠ وكذا ذكره ابن عبدالبر في مختصر جامع بيان العلم وفضله عن جابر ص٦٩ ٠

(٣) الحديث ذكره الترمذي في صحيحه ٨/١٠٩ ، ابن حنبل ١/٢٥٧ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ٠

(٤) الجامع ١/١١٧ ٠

وقالَ في روايةٍ لَهُ : ( إنَّ مِنْ إجلالي توقيرَ الشيخِ مِنْ أُمَّتي )[1] ، وتَرْجَمَ الخطيبُ علَى ذلكَ ببيانِ تعظيمِ المحدِّثِ وتبجيلهِ ، وأخرجَ فيه أيضاً عن كعبِ الأحبارِ قال : ( ثلاثةٌ نجدُ في الكتابِ يحقُّ علينا أن نكرمهم ، وأن نُشرِّفهم ، وأن نوسعَ عليهم في المجالس : ذو السِّنِ ، وذو السُّلطانِ لسلطانهِ ، وحامل الكتاب )[2] .

وعن أبي سعيد الساعدي مرفوعاً : ( اللهمَّ لا يدركني زمانٌ ، أو قال : لا يدركوا زماناً لا يتبعُ فيهِ العليمَ ، ولا يستحوا فيه من الحكيم قلوبهم قلوبَ الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب )[3] ، رواهُ أحمد وفيه ابن الهيعة .

وعن أبي بكرة قالَ : سمعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقول : ( أعدْ عالماً أو متعلِّماً أو مستمعاً أومحبّاً ، ولا تكن الخامسَ فتهلك . قالَ عطا : قالَ لي مُسْعِرُ زدتنا خامسةً لم تكن عندنا ، والخامسةُ أنْ تَبغُضَ العِلْمَ وأهلَهُ )[4] ، رواهُ الطَبراني في الثَّلاثَةِ ، والبَزَّار ، ورجالهُ موثُوقُونَ ، وقالَ ابن عبدالبرِّ : الخامسةُ بمعاداةُ العلماءِ وبغضهُم ، ومن لم يحبُّهم فَقَدْ أبغضَهم ، أوْ قاربَ وفيهِ الهلاك )[5] ، انتهى .

---

(1) الجامع ١/١١٧ ، في رواية اخرى له .
(2) الجامع ١/١١٧ .
(3) مسند الامام ابن حنبل ٥/٣٤٠ .
(4) المعجم الصغير للطبراني ٢/٩ .
(5) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩ .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ [٢٠و] عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( إذا بغضَ النَّاسُ عُلَماءهم ، وأظهَروا عمارةَ أسواقِهم[1] ، ومالُوا على جمعِ لدَّراهمِ ، رماهم اللهُ بأربعِ خصالٍ : بالقحطِ في الزَّمان ، والجورُ منَ السُّلطان ، والخيانةِ من ولاةِ الأحكام ، والشوكةِ من العدرِ )[2] ، رواهُ أبو عبدالرحمن السلمي في طبقات الصوفيَّة .

عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : ( من مشى الى سلطان اللهَ في الأرضِ ليذلهُ ، أذلَّ اللهُ رقبتَهُ مع ما يُدَّخرُ لَهُ في الآخرةِ )[3] . قالَ مسدد : وسُلْطانُ اللهِ في الأرضِ كتابَ اللهِ وسنَّةَ نبيهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، أخرجهُ الطبراني في الكبير .

قلتُ : ومرادُ مسدَّدٍ حمل الوعيدِ المذكورِ على من أذلَّ العالمِ بهما ، ورويناهُ في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ ، قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلم : إنَّ اللهَ عزَّ وجل قالَ : ( من عادَى لي وَليّاً فقد أذنتهُ بالحرب )[4] ، ومن حديث عائشة عند الامام أحمد : ( من آذى لي وليّاً )[5] ،

---

(١) في كشف الغمة عن جميع الامة ١/١٧ : ( تالبوا ) .
(٢) الحديث أورده الشعراني في كشف الغمة عن جميع الأمة ١/١٧ ، ولم اعثر على الحديث المذكور في طبقات الصوفية لابي عبدالرحمن السلمي .
(٣) المعجم الكبير للطبراني ١١/٢١٤ .
(٤) مسند الامام ابن حنبل ٦/٢٥٦ .
(٥) مسند ابن حنبل ٦/٢٥٦ ، شرح المهذب للنووي ١/٤١ .

وفي رواية في الزّهد للامام أحمد قالَ اللهُ تعالى : ( من أهانَ وليَّ المؤمنَ ، فقد استقبلني بالمحاربة )[1] . وفي حديث ميمونة ( فقد استحلّ محاربتي ) ، وفي حديث أنس بن مالك رضيَ اللهُ عنهُ عند الامام البغوي في شرح السُنَّة لهُ عن النَّبي صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم عن جبريل عليه السلامُ يقولُ اللهُ عزَّ وجل : ( من أهانَ لي ولياً فقد بارزني في المحاربة ، وإنِّي لأغضبُ لأوليائي كما [٢٠ظ] يغضبُ الأسدُ الجردُ )[2] . وفي حديث لمعاذ : ( من عادَى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة )[3] ، رواهُ ابن ماجة والحاكم ، وقالَ : صحيح لا علةَ لهُ ، وقد نقلَ الامام محيي الدين النووي رحمهُ اللهُ في كتابيه شرح المهذّب والتبيان ، عقب ايراده لهذا الحديث بلفظ رواية البخاري عن الامامين الجليلين أبي حنيفة النُّعمان ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي عليهما الرحمة والرضوان أنَّهما قالا : ( إنْ لم يكنْ العلماءُ أولياءُ الله فليسَ لله ولي )[4] ، وقد روى ذلك عنهما الامام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في كتابه المسمى بكتاب الفقيه والمتفقه ، وأسندهُ البيهقي عن إمامنا الشافعي في مناقبه ، وقال في بعض

---

(١) في مسند ابن حنبل ٥/٤٢ ، ٤٩ : ( من آهانَ سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانهُ الله يوم القيامة ) .

(٢) المستدرك للحاكم ٤/٣٣٨ .

(٣) مسند ابن حنبل ٦/٢٥٦ .

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٥٥ ، الفقيه والمتفقه ١/٣٥ ، ٣٦ ، شرح المهذب ١/٤١ .

طرقه : ( إنْ لم يكن الفقهاء العاملون أولياءَ اللهِ عزَّ وجل فما للهِ ولي )[1] .

قلتُ : وإيْضاحهُ أنَّ سُنَّةَ اللهِ تعالى في عبادهِ جاريةٌ بأنَّ العلماءَ إنَّما ينالونَ العلمَ بالدؤبِ والعكوف عليه ، وصرفِ الأوقاتِ فيه إذْ لا يُنالُ العلمُ براحةِ الجسدِ ثُمَّ يحلو لهم ذلكَ فيستغرقون أوقاتَهُم فيهِ تعلُّماً وتعليماً ، وقد إتَّضحَ مما سبق في الفصلِ قبلَهُ أنّ ذلكَ مِن أفضلِ الطّاعات ، وأنَّ حالَهُم في ذلكَ دائرٌ بينَ قيامهم بِفَرْضِ العَينِ ، أَوْ فَرْضِ الكفايَةِ منْهُ . وقَدْ قالَ في هذا الحَديث القُدْسِي ، كَمَا في الصَّحيحِ وغيره : ( وَمَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إليَّ مِمَّا إفترضته عليه )[2] . فأوقات العلماء مستغرقة بهذه العبادة الفاضلةَ فطاعاتهم لا تزالُ متواليةٌ ، والولي من توالت طاعاته لمولاه فتولاهُ اللهُ ، وأيضاً فالولي هو القائمِ [ ٢١و ] بحُقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادهِ علَى حسب طاقتهِ وأعظمِ كرامته الاستقامة ، ولا يصلُ أحدٌ إلاّ من طريقِ العلمِ الذي أورثه اللهُ عزَّ وجل عبادَهُ العلماءَ مع سبق العناية بارادة الله تعالى بهم الخيرَ بشهادةِ الحديثِ الصحيحِ : ( من يرد اللهُ به خيراً يفقّهُ في الدِّين )[3] . فيفقهُونَ عَن اللهِ عزَّ وجلَّ أمْرَهُ ونَهْيَهُ بالنّورِ [ الرَّباني ][4] الذي أتاحَهُ في

---

(١) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٢) رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين للنووي ص١٥٣ .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٢٤٢ .

(٤) ( الرباني ) : زيادة من (م) ، و (ب) . وبه يكمل المعنى .

قلوبهم ، كما يرشدُ اليه قولُ الحسنِ البصري : ( إنَّما الفقيهُ من فَقِهَ عن اللهِ أمرَهُ ونهيَهُ ) .

قلتُ : فلا يكونُ إلاّ عاملاً بعلمه ، وإلاّ فلم يرد اللهُ به خيراً ، بل زيادة في الوبالِ ، ولذا أَسندَ البيهقي عن الشَّافعي أنَّهُ قالَ : ( ما أحدٌ أورعُ لخالقه من الفقهاءِ )[1] إنتهى . فالعِلمُ ما أورثَ الخشيةَ والعملَ ، فيُورثُ اللهُ صاحبَهُ حينئذ علمَ ما لم يعلم ، كما جاءتِ الاشارةُ اليهِ في بعضِ الأحاديث : فينالُ حينئذ مقامَ الوراثةِ المشارَ اليه بحديث : ( العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ )[2] . وإذا كانَ مَقامُ الولايةِ لا يُوصَلُ إليه إلاّ من طريقِ هؤلاءِ فكيفَ لا يكونونَ أولياءَ مع إرتفاعهم[3] من مقامِ الولايةِ الى مقامِ الوراثةِ ، وهُناكَ تعظُمُ عداوة الجُهّال لهم ، لعلمهم بقبيحِ أفعالهم وإنكارهم لما وافق الهوى من أعمالهم ، فقد رأيتُ من بالغَ في العداوةِ والأذى وليسَ لذنبٍ سوى الافتاء بما لم يوافق هواهُ ، فمنشأُ عداوة أولياء اللهِ تعالى غالباً غيرتهم للهِ عزَّ وجلَّ ، وذكرهم من الحقِّ ما يخالف الأهوية ، فلذلكَ يُغارُ لهم المولى عزَّ وجلَّ فينتصرُ لهم إِذْ منشأُ عداوتهم مخالفة الجهلة [٢١ظ] لما أوجب اللهُ من طواعيتهم ، ومن الجُهّالِ من يبعثهُ على عداوتهم

---

(١) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٢) رواه ابن حنبل ٥/١٩٦ ، سنن الدارمي ١/٨٣ .

(٣) كذا في الاصل ، وفي (م) : ( ارتقائهم ) ، وفي (ب) : ( انتقالهم ) ، وما ذكرناه ارجح .

البغي والحسدُ ، فيكرهُ أنْ يكونَ لأحدٍ عليهِ شفوقٌ منزلة ، واختصاصٌ بمزية ·

وقولـهُ فـي الحديث القدسي : ( مـن عادى لـي ولياً )(١) ، أي اتخذهُ عدواً ، وإنْ لـم يعاده الولي لحلم وصفح ونحوهما ، وقد تطلق المعاداة ويُرادُ بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ، ومن الآخرِ بالقوة ، وقوله : ( فقد آذَنته ) بالمد وفتح المعجمة ، أي أعلمتهُ ، وقولهُ : ( بحربٍ ) ، وفي الرواية الأخرى ( بالمحاربة ) ، بيانـهُ أنَّ الحربَ تنشأُ عـن العداوة ، والعداوةُ تنشأُ عـن المخالفة ، وغاية الحرب الهـلاكُ واللهُ تعـالى لا يغلبـهُ غالبٌ ، فالمعنى قـد أعلمتهُ بتعرّضه ، لأنْ أعملَ مـا يعلمهُ العدوُّ والمحاربُ ، وفيه كمال قالَ الفاكهي(٢) : تهديدٌ شديدٌ ، لأنَّ مـن حاربهُ اللهُ أهلكهُ ، قـالَ : وذلكَ أنَّ من كَرِهَ من أحبَّ اللهُ فقد أظهر مخالفتَهُ ، ومن أظهر مخالفته فقد عاداهُ ، ومن عاداهُ أهلكه ، وإذا ثبتَ هذا فـي جانب المعـاداة ثبتَ ضـدَهُ فـي جانب الموالاة ، فمن والى أولياءَ اللهِ تعـالى أكرمـهُ اللهُ تعـالى ونصرهُ ، وقال الطوفي : لمـا كانَ ولي اللهِ من تولى اللهَ بالطّاعة والتقوى ، تولاهُ اللهُ بالحفظِ والنصح ، وقد جرتِ العادة بأنَّ عدوَّ العدوِّ صديقٌ ، وصديقُ العدوِّ

---

(١) الحديث سبق تخريجهُ ·

(٢) هو محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي ، مؤرخ من اهل مكـة ، كان معاصراً للازرقي ، لـه تاريخ مكـة ، توفي سـنة (٢٧٢هـ) · كشف الظنون ٣٠٦ ، الاعلام ٦/٢٥٢ ·

عدوٌّ ، فعدوُّ وليِّ اللهِ عدوُّ اللهِ ، فمَنْ عاداهُ كانَ كمن حاربهُ ، ومن حاربهُ فكانَّما حاربَ اللهَ عزَّ وجلَّ .

قلتُ : وسيأتي قولُ السيدِ الجَّليلِ عبدالله[1] بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضوان اللهِ عنهم [ ٢٢و ] كفى بالمبغضِ لنا بغضاً أَنْسبهُ الى من يبغضنا ، فايَّاكَ وموالاةَ مَنْ تَجَرَّأَ على الاقدامِ على ما يُوجبُ عداوة الخالقِ وحربهُ ، وهو الغالبُ الذي لا يُغالَبُ ، والقهَّارُ الذي لا قبلَ لأهلِ السَّماواتِ والأرضِ بذَرَّةٍ من بلائه ، ولو وُضعَ ذرَّةٌ من ذرَاتِ قهرهِ علَى الجبالِ لاذابَتها ، فمن والى من تجرَّأَ علَى ذلكَ كانَ من حزبِ محاربي المولى عزَّ وجلَّ وأعدائهِ ، فخفْ مقتَهُ وسوءَ عقابهِ ، فانَّهُ تعالى أغيرُ من خلقهِ ، وقد قالَ بعضهم[2] :

تَـودُّ عدوِّي ثُمَّ تزعمُ أنَّني
صَديقُكَ إنَّ الرأي[3] عنكَ لعَازِبُ

---

(١) هو عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد ، كان له منزلة في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، ولما جاء العباسيون أكرموهُ في أول الأمر ، وفي عهد المنصور حُبِس ومات في الحبس سنة (١٤٥هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٩/ ٤٣١ ، تذكرة خواص الامة في معرفة الأئمة ص١٢٤ ـ ١٢٦ ، الاعلام ٤/٢٠٧ .

(٢) البيت ذكره ابن قتيبة في عيون الاخبار ونسبه للعتابي ٣/٦ .

(٣) في (ب) : ( الـود ) .

وسيأتي لهذا مزيدُ تحقيق في البابِ الثاني ، فإنْ قيلَ قد يوجد من آذى بعضِ الأولياء من العلماءِ ، ولم يظهر آثار النصرةِ والانتقامِ منهُ ، قلنا : قد يُصابُ بأعظمِ مما يطّلعُ العبادُ عليه ، وقد قالَ الشيخُ أبو الفضلِ بن عطا : إنّهُ يوجدُ من هذا الحديثِ إنّ من آذى ولياً من أولياءِ الله ، ولم يُعاجَلْ بمصيبةٍ ، فلا يحكم له بالسّلامةِ من انتقامِ الله تعالى ، فقد تكونُ مصيبتهُ أعظمُ بأنْ يُصابُ في دِينه . وقالَ التّاجُ بن عطاالله : قد تكونُ عقوبتهُ قساوةً في القلبِ ، أو جموداً في العينِ ، أو تعويقاً عن طاعةٍ ، أوْ وقوعاً في مصيبةٍ ، أو سلبَ لذاذة خدمةٍ ، وأيضاً فلا يلزمُ تعجيلُ عقوبتهِ ، لقصرِ مدّة الدُنْيا عندَ الله ، ولأنّ اللهَ تعالى لم يرضَ الدُنيا أهلاً لعقوبةِ أعدائهِ ، كما لم يرضَها أهلاً لاثابةِ أحبّائهِ ، وإنْ كانت معجّلةً ، فلا يُحكَمُ لانسانٍ آذى ولياً من أولياءِ الله [ ٢٢ظ ] تعالى بالسّلامةِ إذاً لم تشاهدْ حلولَ المحنِ به ، ومعلومٌ أنّ من سقط من عينِ الباري عزّ وجلّ وهانَ عليهِ ، فانّه يُخلّي بينهُ وبينَ معاصيهِ ، وكلّما أحدثَ ذنباً أحدثَ لهُ نعمةً ، فيظنُ أنّ ذلكَ شكراً منهُ عليهِ ، ولا يعلمُ أنّهُ عينُ الاهانةِ .

وفي الحديث المشهور : ( إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيراً عجّلَ لهُ عقوبتَهُ في الدُنيا ، وإذا أرادَ اللهُ بعبدٍ شرّاً أمْسَكَ عنهُ عقوبتَهُ في الدُنيا ، فيرد القيامةَ بذنوبهِ )[1] . وقد روى أبو عمرو الصّدفي في جزوهِ

(١) ينظر جامع السعدات ٣/٢٧٣ ، ٢٨٩ .

عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً : إذا أعرضَ اللهُ عن العبدِ ورثَهُ الإنكارَ على أهلِ الدِّياناتِ . وقالَ الإمامُ النَّووي في كتابهِ التبيان وشرح المهذَّب : قالَ الإمام الحافظ أبو القاسم بن عساكر[1] رحمهُ اللهُ : ( إعلَم يا أخي وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكَ لمرضاتهِ ، وجعلنا ممن يخشاهُ ويتقيه حَقَّ تقاتهِ : إنَّ لحومَ العلماءِ مسمومةٌ ، وعادةَ اللهِ في هتكِ أستَارِ منتقصيهم معلومةٌ ، وإنَّ من أطلقَ لسانَهُ في العلماءِ بالثَّلبِ بلاهُ اللهُ تعالى قبلَ موتهِ بموتِ القلبِ ، فليحذرِ الذين يخالفُونَ عن أمرهِ أنْ تُصيبَهم فتنةٌ أو يُصيبهم عذابٌ أليم )[2] انتهى .

قلتُ : ولا عقوبةَ أعظمُ من موتِ القلبِ الذي هو مدرجةُ سلبِ الإيمانِ المفضي للعذابِ السَّرمدي والعياذَ باللهِ عزَّ وجلَّ .

قلتُ : والحكمةُ في إبتلائهِ بذلكَ أنَّ العلمَ حياةُ القلوب وغذاؤها ، ومصباحُ البصائرِ وضياؤها ، والجَّاني [ ٢٣و ] على أهله قد كفرَ نعمتَهُ الَّتي تشتغلُ الحيواناتُ العجماواتُ بشكرِها ، لاشتغالهم بالاستغفارِ لأهلهِ ، على ما سبقَ في أوائلِ البابِ ،

---

(١) هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي الحافظ الرحالة المؤرخ ، ولد في دمشق سنة (٤٩٩هـ) له تاريخ دمشق الكبير المعروف بتاريخ ابن عساكر ، توفي سنة (٥٧١هـ) ترجمته في وفيات الاعيان ٣٣٥/١ ، مفتاح السعادة ٢١٦/١ ، البداية والنهاية ٢٩٤/١٢ .

(٢) شرح المهذب ٤١/١ .

فما ذاك ببني آدم الذي هو حياةٌ لقلوبهم فكانت عقوبةُ الكافرِ لنعمةِ العلمِ بالجنايةِ على أهله ، منعهُ من أنْ يلجَ قلبَهُ وذاكَ موته ، كما أشارَ إليه فتحُ[1] الموصلي أحد أئمة الصوفيةِ حيثُ قالَ كما في الأحياء[2] : أليس المريضُ إذا مُنِعَ الطّعامَ والشّرابَ والدواء يموتُ ؟ قالوا : نعم . قالَ : كذلكَ القلبُ إذا مُنِعَ الحكمةَ والعلمَ ، وبه حياتهُ ، كما أنّ غذاءَ الجسدِ الطّعامُ ، فمن فقدَ العلمَ فقلبهُ مريضٌ ، وموتهُ لازمٌ ، لكنّهُ لا يشعرُ بذلكَ ، لأنّ سكرهُ بدنياهُ ، وشغلَهُ بها أبطلَ إحساسَهُ ، فاذا حطّ الموتُ عنه أعباءَ الدُّنيا أحسّ الهلاكَ كاحساسِ المفيق عن سكرهِ بما أصابهُ من الجراحاتِ في حالةِ السُّكرِ[3] ، فنعوذُ باللهِ من يومٍ يكشفُ الغطاءَ ، فإنّ النّاسَ نيامٌ ، فاذا ماتوا انتبهُوا .

قلتُ : فانّما يحسُّ بما يصيبُ[4] القلبَ من ذلك مَنْ كانَ قلبُهُ حيّاً ، وإلاّ فهو كما قِيلَ[5] :

---

(١) هو ابو بكر فتح بن سعيد الموصلي من كبار الزهاد والعباد ، كان اماماً مشهوراً ترجمته في حلية الاولياء ٨/٢٩٢ ـ ٢٩٤ ، تاريخ بغداد ١٢/٣٨١ .

(٢) الاحياء للامام الغزالي ١/١٧ .

(٣) في (ب) : ( الشكر ) وهو تصحيف .

(٤) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : ( يصلب ) وليس لها معنىً .

(٥) هذا عجز بيت وصدره ( مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عَلَيْهِ ) من قصيدة للمتنبي يمدحُ بها أبا الحسين علي بن أحمد المرّي الخراساني ، وكان بينهما مودة ، شرح ديوان المتنبي لعبدالرحمن البرقوقي ٤/٢٧٧ .

مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إيلامُ

ونظائرُ هذهِ المناسبةِ الّتي ذكرناها كثيرةٌ ، فقد روى إمامنا الشّافعي رحمهُ اللهُ أنّ رجلاً شكى للنّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّم الفقرَ ، فقالَ لهُ : لعلّكَ تسبُّ الرّيحَ ، والسببُ فيهِ أنّ الرّيحَ سببُ المطرِ ، والمطرَ سببُ الرّزقِ ، فمن سبّها إستحقّ منعَ الرّزقِ ، ومن الحكم[1] في إبتلاءِ المولى عزّ وجلّ لعبادهِ العلماءِ بتسليطِ الجهّالِ عليهم أنْ يصبروا فيحصل لهم [ ٢٣ظ ] التّرقي الى مقامِ الصّابرين ، ثُمَّ ينتصرُ لهم مولاهم عزّ وجلّ فيشكرونهُ على ذلكَ فينيلهم مقامَ الصّابرينَ ثُمَّ يرتقونَ الى مقامِ التّمكين الموروث لهم عن الأنبياء ، وقد سُئِلَ إمامُنا الشافعي رحمهُ اللهُ أيّما أفضلُ للرّجلِ أنْ يُمكّنَ أو يُبتلَى ؟ فقالَ : لا يُمكّن حتّى يُبتلى ، وقد إبتلى الله عزّ وجلّ أُولي العزمِ من رُسلهِ ، فلمّا صبرْوا مكّنهم ، انتهى .

ولمّا جرت عادتهم بعدم الانتصار لأنفسهم ، كانَ المولى عزّ وجلّ هو النّاصرُ لهم والمحاربُ عنهم ، والغالبُ لمن غالبهم ، ومن إنتصرَ منهم لاقتضاءِ المقام ، لذلكَ فإنّما ينتصرُ لمولاهُ عزّ وجلّ ، فيتذلّلُ لهُ بالدعاء . وقد روى التّرمذي حديث[2] : ( من دعا على ظالمهِ فقد انتصر )[3] ، ولأحمد وأبي داود عن عائشة

---

(١) في (ب) : ( الحكمة لله في ابتلاء ) ، ولا يستقيم معه الكلام .
(٢) ( حديث ) : ساقط من (ب) .
(٣) صحيح الترمذي ٣/٦٦ .

رضيَ اللهُ عنها انَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ لها وقد دعت علَى سارقٍ سرقَ لها ملحفةً : ( لا تُسبِّخِي عنهُ بدُعائكِ عليه )(١) ، أي لا تخفِّفِي عنهُ إثم سرقتهِ ٠ وأهلُ التَّحقيقِ يجتنبونَ في الغالبِ الدُّعاءَ على من ظلمهم تركاً للانتصارِ لأنفسهم ، مع أنَّ بعضَ العلماءِ قدْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالى قدْ مدَحَ المنتصرينَ من البغي ، كما مدحَ العافِّينَ عن النَّاسِ ، فالثَّاني(٢) محمولٌ علَى من ندرَ منهُ البغي ، فيُقالُ عيَّرتهُ بالعفوِ عنه ، والأولُ محمولٌ على ما إذا كانَ الباغي وقحاً ذا جرأةٍ وفجورٍ ٠ وقالَ الواحدي : إنَّ الانتصارُ لأجلِ الدِّينَ فهو المحمودُ ، إنْ كانَ لأجلِ النَّفسِ فهو مباحٌ لا يُحمَدُ عليهِ ، انتهى ٠

ولهذا قالَ بعضهم : إنَّ إنتصار [ ٢٤و ] سعد بن أبي وقَّاص حيثُ دعَا علَى أبي سعدة(٣) ، لما قالَ فيهِ ما سيأتي ، إنَّما كانَ للدِّين ، لكونهِ إنتهكَ بمقالتهِ تلكَ من صحبَ صاحبِ الشَّريعةِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، فانتصرَ سعدٌ لمنصبِ الصُّحبةِ المقتضي للطَّهارةِ عمَّا نسبهُ اليهِ ٠

وقصَّتهُ في ذلكَ رواها البخاري في صحيحه عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة قالَ : ( شكا أهلُ

---

(١) سنن أبي داود ٢/٥٧٦ ٠

(٢) في (ب) : ( فالأول محمول على ما ندر ٠٠٠ الخ ) ، وهو خطأ ٠

(٣) في (ب) : ( ابو مسعدة ) ، وهو خطأ ٠

الكوفة سعداً الى عمر رضيَ اللهُ عنه، فعزله - أي عن الكوفة - وذكر الحديث الى أنْ قالَ : فأرسلَ - يعني عمر - معهُ رجلاً ، أو رجالاً الى الكوفةِ ، فسألَ عنهُ أهلَ الكوفةِ ، ولم يَدعْ مسجداً إلاّ سألَ عنهُ ويثنونَ معروفاً حتّى دخلَ مسجداً لبني عَبْسٍ ، فقامَ رَجُلٌ منهم يُقَالُ لهُ أُسامة بن قتادة يكنّى أبا سعدة قالَ : أمَّا إذا نشدتّنا فانَّ سعداً كانَ لا يسيرُ بالسريّةِ ، ولا يقسمُ بالسَّويَّة ، ولا يعدلُ في القضية ، قالَ سعدٌ : أمَا والله لأدعونَّ بثلاثٍ : اللهمَّ إنْ كانَ عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رياءً وسمعةً فأطل عمرَهُ وأطل فقرَهُ وعرّضهُ للفتن . وكانَ بعدُ إذا سُئِلَ يقولُ : شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ ، أصابتني دعوة سعدٍ )(1) . قالَ عبدُالملك : ( فأنا رأيته بعدُ قد سقطَ حاجباهُ علَى عينيهِ من الكبرِ وأنّهُ يتعرّضُ للجواري في الطَّريقِ يغمزهُنَّ )(2) انتهى ما رواهُ البخاري .

ولابن سعد من طريق مليح بن عوف السّلمي ، قالَ : بعثَ عمر رضيَ اللهُ عنهُ محمد بن مسلمة - أي معَ سعد - وأمرني بالمسيرِ معهُ ، وكنتُ [ ٢٤ظ ] دليلاً بالبلادِ فذكر القصة وفيها : فأقامَ سعداً في مساجدِ الكوفةَ ليسألهم عنهُ ، وفي روايةِ ابن عيينة فكلهم يثني عليهِ خيراً ، والحكمةُ في قولِ سعدٍ : لأَدْعوَنَّ

---

(1) هذا الكلام لم أجدهُ في صحيح البخاري بل وجدتهُ في المعجم الكبير للطبراني ١٠٢/١ ، وانظر مسند ابن حنبل ١٧٦/١ .

(2) كتاب مجابي للدعوة ص٢٢ .

بثلاثٍ : إقامة العدلِ والانصاف في دعائه عليه ، لأنَّهُ نفى عنهُ بما قالَ الفضائل الثلاث ، فنفى عنهُ الشَّجاعةَ حيثُ قالَ : لا يسيرُ بالسّريةِ ، أي من الجيش ، وفي روايةٍ ولا ينفرُ في السرية ، وذلكَ يقتضي أنَّهُ آثر نفسَهُ بالحياةِ الدُّنيا وحبَّ البقاءِ والتَّعمير فلم يقُمْ بحقٍّ إعلاء كلمة الله بالجهادِ ، لما فيه من تعريضِ النَّفسِ لذهاب حياتها فدعا عليه في مقابلة (١) ذلك بطولِ العمر بحيث يُرَدُّ الى أرذلِ العمرِ وتكونُ حياتهُ نقمةً لا نعمةً ، لمقارنتها لما سيأتي • ونفى عنهُ العفَّة حيثُ قالَ : ولا يقسمُ بالسَّويَّةِ فاقتضى ذلكَ حبهُ للمالِ ، فلا يعدلُ فيه إتباعاً ، لشهوته في المالِ ، فدعا عليهِ في مقابلةِ ذلكَ بالفقرِ ، فلا يقدرَ على المالِ الذي اختلقَ عليه تعديه فيه لحُبِّهِ إيَّاهُ ، وإيثاره لشهوتهِ فيهِ ونفى عنهُ الحَكمةَ ، حيثُ قالَ : ولا يعدلُ في القضيةِ ، أي الحكومةِ ، فاقتضى نسبته لتركِ ما يقتضيهِ العلم من أحكامِ الشريعةِ وجورهِ فيها ، لعدمِ ديانته ، وهذه أعظمُ الثلاثة لنفيه عنهُ الدِّينَ مطلقاً ، فدعا عليهِ في مقابلة ذلكَ بالوقوعِ في الفتنِ فيُصَابُ في دِينهِ • وقالَ بعضُهم : الثلاثة الَّتي نفاها عن سعدٍ متعلِّقةٌ بالنَّفسِ والمال والدِّين فقابلها بمثلِها ، فبطولِ العمرِ تتعلَّقُ بالنَّفسِ ، وطولِ الفقرِ يتعلَّقُ بالمالِ ، والوقوعُ [ ٢٥و ] في الفتنِ يتعلَّقُ بالدِّينِ ، فاقتضى عدلُ سعدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وعدمُ إعتدائهِ في الدُّعاءِ عدمُ الزِّيادةِ على

---

(١) ( في مقابلة ذلك ) : ساقطة من (ب) •

الأمورِ الثلاثة المتعلِّقة بالنَّفس والمالِ والدِّين جزاءً وفاقا ، ليظهر بسرِّ الاجابة في الأُمور الثلاثة براءةُ سعدٍ منها ، والعجبُ أنَّ سعداً مع مواجهة هذا الرَّجلِ له بما أغضبه ودعائه عليه في تلك الحال راعى مع هذا العدل والانصاف في الدُّعاء عليه ، لتعليقه بشرط أنْ يكونَ كاذباً ، وأنْ يكونَ الحاملُ لَهُ على ذلك الغرضُ الدُّنيوي ، حيثُ قالَ : اللهمَّ إنْ كانَ عبدُكَ هذا كاذباً قامَ رياءً وسُمعَةً ، أي ليراهُ النَّاسُ ويسمعوهُ ، فيشهروا ذلكَ عنهُ ، فيكون لهُ بهِ ذكرٌ .

ولهذا قالَ الزَّين : في الدعواتِ الثلاث مناسبةٌ للحالِ ، وأمَّا طولُ عمرهِ فليراهُ من سَمِعَ بأمْرِهِ فيعلم كَرامةَ سعدٍ ، أي[1] وذلكَ ضدَّ قصدهِ ، وأمَّا طولُ فقرهِ فلنقيض مطلوبهِ ، لأنَّ حالَهُ يُشعِرُ بأنَّهُ طلبَ أمراً دنيوياً ، وأمَّا تعرُّضهُ للفتنِ فلكونه قامَ فيها ورضيَها دونَ أهلِ بلدهِ ، وفي روايةٍ للطَّبراني قالَ عبدُالملك : ( فأنَا رأيتهُ يتعرَّضُ للاماء في السِّكك ، فاذا سألوهُ قالَ : كبيرٌ فقيرٌ مفتونٌ )[2] . وفي روايةٍ لابن عيينة ، ولا تكونُ فتنةٌ إلاَّ هو فيها ، وروى أنَّهُ أدركَ فتنةَ المختارِ[3] فقُتِلَ

---

(١) ( أي وذلك ضد قصده ) : ساقطة من (ب) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١/١٠٢ .

(٣) هو أبو اسحاق المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي ، من الزعماء الطالبين بدم الحسين الذين ثاروا على الامويين ، وهو من أهلُ الطائف انتقل مع أبيه الى المدينة ، وقتل أبوهُ في واقعة الجسر في العراق وبقي المختار بالمدينة ثم سكن البصرة ، وانتقلَ الى الكوفة ، وقُتِلَ فيها بعد تلك الحوادث سنة (٦٧هـ) ، ترجمته في تاريخ ابن الاثير ٤/٨٢ ، تاريخ الطبري ٧/١٤٦ ، الاعلام ٨/٧٠ .

فيهـا ، وفتنته حينَ غلبَ على الكوفـةِ سـنة خمسٍ وستين ، الى أنْ قُتِلَ سنة سبعٍ وستين ، وفي روايةٍ لسيف أنَّ هـذا الرَّجُلَ عاشَ الى فتنـةِ الجماجم[1] ، وكانتْ سنةَ ثلاثٍ وثمانين ، وقد كانَ سَعدٌ [ ٢٥ظ ] رضِيَ اللهُ عنه معروفاً باجابةِ الدَّعوةِ ، وسببه ما رواهُ التَّرمذي ، وابن ماجة ، والحاكم عن سعدٍ رضي اللهُ عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم قالَ : ( اللهمَّ إستجب لسـعدٍ [ إذا دعاكَ )[2] ، وفي روايـةٍ للحاكم عن سعيدٍ ذكرَ فيها قصة يوم أُحد الى أنْ قالَ : ( فجعلتُ أرمي وأقولُ : اللهمَّ سهماً أرمي به عدوَّكَ ، ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقولَ : اللهمَّ اسـتجب لسـعدٍ ][3] اللهُمَّ سـدد رميتـه ، واستجب دعوته )[4] ، الحديث .

وفي روايـةٍ للطَّبراني بسندٍ حسنٍ عن الشَّعبي قالَ : ( قِيـلَ لسـعدٍ : متى أصبتَ الدَّعوةَ ؟ قالَ : يـومَ بدرٍ كنتُ أرمي بينَ يدي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ

---

(١) دير الجماجم : يقع بظاهر الكوفة ، وسمي دير الجماجم بهذا الاسم لانه كان يعمل فيه الاقداح الخشبية ، ومنه تسمى جماجم ، وفي هذا المكان دارت معركة بين أهل الشام بقيادة الحجاج وبين أهل العراق بقيادة عبدالرحمن بن محمد بنالاشعث، والتي هزم فيها ابن الاشعث. ينظر تاريخ الطبري ٦/٣٥٧ ، معجم البلدان ٢/٤٠٣ .

(٢) المستدرك ٣/٤٩٩ .

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من (م) ، (ب) ، وهو ساقط من الاصل بسبب انتقال النظر .

(٤) المستدرك ٣/٥٠٠ ، دلائل النبوة لابي نعيم ٢/٢٠٦ .

عليهِ وآلــهِ وسلَّم ، فأضعُ السَّهمَ في كبدِ القوسِ ثُــمَّ أقــولُ : اللهمَّ زلزلْ أقدامَهم ، وارعبْ قلوبهم ، وافعل لهم وافعلْ ، فيقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : اللهمَّ استجب لسعدٍ )[1] .

قلتُ : ولا منافاة بينهما إذْ لا مانعُ من دعائهِ لــهُ بذلكَ في اليومينِ ، وقد اشتهرَ لسعدٍ وقائــع ببركةِ تلكَ الدعوةِ منها ما سبقَ ، ومنها ما قالهُ ابن عيينــةَ أحدُ رواة حديثهِ السَّابق في دعائهِ صلَّى اللهُ عليــه وآلهِ وسلَّم يومَ أُحد بأثرهِ ، قالَ : فوليَ سعدٌ أمرَ النَّاسِ بالقادسيةِ ، وأصابهُ جراحٌ ، فلم يشهد يوم الفتحِ ، أي فتح القادسية ، فقالَ رجلٌ من بجيلة :

ألَــمْ تَــرَ أنَّ اللهَ أظْهَــرَ دينَــهُ
وسَــعْدٌ ببــابِ القادسيَّةِ معصــمُ[2]

[ ٢٦و ] فأُبْنـا وَقـدْ أمَّتْ نساءٌ كثيرةٌ
ونســوةُ سَــعدٍ ليسَ فيهــنَّ أيِّــمُ

فقالَ سعدٌ : اللهمَّ أكفنا يدَهُ ولسانَهُ ، فجــاءَ سهمٌ عزب فأصابَهُ فخرسَ ويبست يداهُ جميعاً ، وقد روي الطَّبراني هذهِ القصةَ باسنادينِ ، رجال أحدهما ثقــات .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١/١٠٥ .

(٢) ذكر أبو نعيم البيتين والدعوة والاستجابة في دلائل النبوة ٢/٢٠٧.

( عن قبيصة بن جابر قالَ : قالَ ابن عمٍّ لنـا يوم القادسية :

أَلَمْ ترَ أنَّ اللهَ أَنزلَ نصرَهُ

وذكـرَ البيتين المتقدمين ، قالَ : فبلغَ سعداً قولُـهُ ، فقالَ : اللهمَّ أكفني لسانَهُ ويدَهُ ، فجاءتْ نشابةٌ فأصابتْ فاهُ فخرسَ ، ثمَّ قُطِعتْ يدهُ في القتالِ ، فقالَ سعدٌ : احملوني على بابٍ فخرجوا به محمولاً ثم كشفَ عـن ظهـرهِ ، وفيـهِ قروحٌ ، فأخبرَ النّاس بعذره فعذروهُ ، وقالَ : وكانَ سعدٌ لا يجبنُ )[1] ، وفي روايةٍ[2] :

يقاتلُ حتى ينزلَ اللهُ نصرَهُ

وقالَ : وقُطِعَتْ يدَهُ وقُتِلَ .

ومنها ما قالهُ عامرُ بن سعد قالَ : ( بينما سـعدٌ يمشي إذْ مرَّ برجلٍ ، وهو يشتمُ علياً وطلحة والزبير فقالَ لهُ سعدٌ : إنَّكَ لتشتم أقواماً قدْ سبقَ من اللهِ مـا سبقَ ، واللهِ لتكفنَّ عـن شتمهم ، أو لأدعونَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عليـكَ ، قالَ : يخوفني كأنَّهُ نبـيٌّ ، قالَ سعدٌ : اللهمَّ إنْ كانَ هذا يشتمُ أقواماً قد سبقَ لهم منكَ مـا سبقَ فاجعلهُ اليـومَ نكالاً ، فجاءت نجيبةٌ

(١) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

(٢) المعجم الكبير ١/١٠٣ .

فأفرجَ النَّاسُ لها فتخبَّطتهُ ، فرأيتَ النَّاسَ يتبعونَ سعداً يقولونَ : إستجابَ اللهُ لـكَ يا أبا إسحاق )[1] ، رواهُ الطبراني ورجالهُ رجال الصحيح .

وفي راويةٍ ذكرهـا الحافظ جمـال الدين [ ٢٦ظ ] محمد الزَّرندي[2] عن صُدَيٍّ قالَ : ( بينا أنا ألعبُ ، وأنا غلامٌ عنـدَ الزَّيتِ إذْ أقبلَ رجـلٌ علـى بعيـرٍ ، فوقفَ يسبُّ عليّاً رضـيَ اللهُ عنهُ ، فحفَّ بهِ النَّاسُ ينظرونَ اليهِ ، فبينا هم كذلكَ إذْ طلعَ سعدَ ـ يعني ابن أبي وقاص ـ فقالَ : ما هذا ؟ قالوا : يشتمُ عليّاً ، فقالَ : اللهمَّ إنْ كانَ يشتمُ عبداً صالحاً فأرِ المسلمينَ خزيَهُ ، فما لبثَ أن تعثَّرَ بهِ بعيرُهُ فسقطَ واندقتْ عنقهُ ، وخبطهُ بعيرهُ فكسَّرهُ وقتلهُ )[3] .

وذكرَ ابن أبي الدُّنيا[4] في كتابِ مجـابي الدعوة أنَّ إمرأةً كانتْ تطلعُ على سـعدٍ فنهاها فلم تنتـهِ ،

---

(١) المعجم الكبير ١/١٠٢ ، المستدرك للحاكم ٣/٤٩٩ ، دلائل النبوة ٢/٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) هو محمد بن يوسف بن الحسن الزرندي ، ولد في المدينة المنورة سنة (٦٩٣هـ) ، ودرس على علمائها ، وتولى التدريس فيها بعد أبيه ، ورحل الى شيراز ، وتولى القضاء فيها ، وتوفي فيها سنة (٧٤٧هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٤/٢٩٥ ، الاعلام ٨/٢٦ .

(٣) كتاب مجابي الدعوة ص٢٤ .

(٤) هو أبو بكر عبـدالله بن محمد بن عبيـد القرشـي مولى بني امية المعروف بابن ابي الدنيا توفي في بغداد سـنة (٢٨١هـ) ، ترجمته في مقدمة كتاب مجابي الدعوة ص٦ .

فقالَ : ( شاهَ وجهُكِ ، فعادَ وجهُها في قفاهــا )[1] .
وقد إتّفقَ لسعيدِ بن زيدٍ أحد العشرة في الدُعاءِ على من نسبَ اليه ظلماً نحو مــا إتّفقَ لسعدٍ رضــيَ اللهُ عنهما ، ففي أخبارِ العقيقِ للزُبير[2] بن بكّار عن العلا بن عبدالرحمن عن أبيهِ أنّ أروى[3] بنتَ أوس إستعدت مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة علَى سعد بن زيــد فــي أرضــه بالشّجرة وقالتْ : أخــذَ حقي ، وأدخلَ صفيرتي في أرضه ، فقالَ سعيدُ : كيفَ أظلمها ؟ وقد سَمعتُ رســولَ اللهِ صلّى اللهُ عليــه وآلــه وسلّم يقولُ : ( من اقتطعَ شــبراً مــن أرضٍ طوّقه اللهُ مــن سبعِ أرضين يوم القيامةِ )[4] ، وتركَ لها مــا ادّعتْ ، وقالَ : اللهمّ إنْ كانتْ أروى ظلمتني فاعمِ بصرهــا ، واجعل قبرها في بئرهــا ، فعميت أروى ، وجــاءَ سيلٌ فأبدى عن صفيرتها ، وحقّهــا خارجــاً [ ٢٧و ] عن حقٍّ سعيد ، فجاءَ سعيدٌ الى مروان ، فقالَ لــهُ : أقسمتُ عليــكَ لتركبنّ معي ولتنظرنّ الى صفيرتهــا ، فركبَ معَهُ بالنّاسِ حتّى نظروا اليها ، قالَ : ثُمَّ إنّ أروى

---

(١) كتاب مجابي الدعوة ص٢٣ .

(٢) هو الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الاسدي المكي ، ولد في المدينة المنورة سنة (١٧٢هـ) ، وهو من احفــاد الزبير بن العوام ، عــالم بالانساب واخبار العرب ، توفي سنة (٢٥٦هـ) في المدينة المنــورة ، ترجمته في تاريخ بغداد ٤٦٧/٨ ، الاعلام ٧٤/٣ .

(٣) المعجم الكبير ١١٢/١ ، وفيه عن هشام بن عروة عن أبيه ، وذكر القصة مع اختلاف في اللفظ ، والحديث فيه : ( من سرق شبراً من الارض ... الخ ) .

(٤) المعجم الكبير ١١٢/١ .

خرجت بعد ما عميت ، فوقعت في البئر فماتت ، والقصةُ في صحيح مسلم باختصار ، وفي رواية للزُبير أيضاً أنَّها سألت سعيداً أن يدعو لها ، وقالت : إنّي ظلمتُكَ ، فقالَ : لا أردُّ على الله تعالى شيئاً أعطانيه ، وكانَ أهلُ المدينة يدعو بعضهم على بعض ، فيقولُ : أعماكَ اللهُ كما أعمى أروى يريدونها ، ثُمَّ صارَ أهل الجهل يقولونَ : أعماكَ اللهُ أعمى الأروى يعنونَ التي في الجبل يظنُّونها شديدةَ العمى انتهى ٠

وقد أخرجَ الامام أحمد في المناقب عن عليٍّ عن زاذان : ( إنَّ علياً رضيَ اللهُ عنهُ حدَّثَ حديثاً فكذَّبهُ رجلٌ ، فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : أدعو عليكَ إنْ كُنتَ صادقاً ؟ قالَ : نعم ، فدعا عليه فلم ينصرفْ حتَّى ذهبَ بصرُهُ )[1] ، وهو من قبيل الغيرة لمقام الصُحبة أيضاً والحرصُ على نزاهته ، وكما يُغارُ لمقام الصُحبة ، يُغارُ أيضاً لمقام الوراثة ، وهو مقامُ العلم ، وعليه يُحملُ ما وقعَ الكثير من السَّلف ، فمن ذلكَ ما رواهُ مهدي بن ميمون ، قالَ : حدَّثنا غيلان بن جرير أنَّ مطرفَ بن عبدالله بن الشُّخير : ( كانَ بينهُ وبينَ رَجُلٍ كلامٌ فكذَّبَ عليه ، فقالَ مطرف : اللهمَّ إنْ كانَ هذا كاذباً فأمتهُ ، فخرَّ مكانهُ ميِّتاً ، فرُفِعَ ذلكَ الى زياد ، فقالَ : قتلتَ الرَّجُل ، قالَ : لا ولكنها دعوةٌ وافقت أجلاً )[2] ٠

---

(١) كتاب مجابي الدعوة ص١٩ ٠

(٢) كتاب مجابي الدعوة ص٥٣ ، وفيه عن حميد بن هلال ، مع اختلاف في الفاظ الكلام ٠

# فصـــل

فإنْ قيلَ قد نشاهدُ ممَّن يُوصَفُ [ ٢٧ظ ] بالفقهِ والعلمِ وارتكابَ المعصيةِ ، وهـذا هو المسقطُ لمقامهم ، والمانع من اعتقادِ الولاية فيهم .

قلنا : ( العالـمُ من عمـلَ بعلمـه ، ووافقَ علمـهُ عملَهُ )[1] كمـا قالَ عليٌّ رضـيَ اللهُ عنـهُ فيما رواهُ الدَّارمي في مسنده ، وقالَ سفيان : ( إنْ أنا عملتُ بما أعلمُ ، فأنا أعلمُ النَّاسِ ، وإنْ لم أعملْ بمـا أعلمُ فليسَ في الدُّنيا أحدٌ[2] أجهلَ منـِّي )[3] رواهُ الخطيبُ البغدادي فـي الجامعِ ، وقالَ أبو الدَّرداء رضـيَ اللهُ عنهُ : ( لا يكونُ المرءُ عالماً حتَّى يكونَ بعلمهِ عاملاً )[4] رواهُ ابن حبَّان والبيهقي ، وقالَ الشعبي : العالمُ من يخافُ اللهَ ، وقالَ الحسنُ : ( إنَّما الفقيه الزاهـدُ في الدُّنيا ، الرَّاغـبُ في الآخرةِ ، البصيرُ بأمرِ دينهِ ، المداومُ على عبادةِ ربِّهِ )[5] . وقالَ مجاهـدُ : ( إنَّمـا الفقيهُ من يخافُ اللهَ )[6] ، روى ذلـكَ عنهـم الدَّارمي

(١) سنن الدارمي ١/٨٩ وفيه عن علي : ( فانما العالم من عمل بما علم ووافقه علمهُ عمله ) .

(٢) ( احدٌ ) : ساقطة من (ب) .

(٣) الجـامع ١/٢٦ .

(٤) في سنن الدارمي ١/٧٦ عن أبي الدرداء : ( لا يكون المرءُ عالماً حتى يكونَ بعلمه عاملاً ) .

(٥) سـنن الدارمي ١/٧٦ .

(٦) سـنن الدارمي ١/٧٦ .

في مسنده ، فلا علم إلاّ ما نفعَ صاحبَه أولاً ، وهو المخمدُ للهوى ، وتكتنفه الخشيةُ والإنابةُ على ما يشيرُ اليه قولهُ تعالى : ﴿ إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ ﴾[1] . وكذا جاءَ في روايةٍ عن إمامنا الشَّافعي رحمه اللهُ كما سبقَ عن البيهقي : ( إنْ لم يكنِ الفقهاءُ العاملونَ أولياءَ فما لله وليٌّ[2] .
وأيضاً فالكرامةُ العظمى للولي هي الاستقامةُ ، وهي التي جُعِلَتْ على الولايةِ علامةً ، غير أنَّ وجوبَ العصمةِ إنَّما هو للأنبياءِ فقط ، ولذا قالَ الامامُ أبو القاسم[3] القشيري في بابِ إثباتِ كراماتِ الأولياءِ من رسالته ما لفظهُ : ( فإنْ قيلَ فهل يكون الوليُّ معصوماً ؟ قيلَ إمَّا وجوباً كما يُقالُ في الأنبياءِ فلا ، وإمَّا أنْ تكونَ محفوظاً حتَّى لا يصرُّ على الذُّنوبِ وإنْ حصلت [ ٢٨و ] هفاةٌ ، أو هفوات ، أو زلاّت فلا يمتنعُ ذلكَ في وصفهم ، فقد قيلَ للجُنيد : العارفُ يزني يا أبا القاسم ؟ فأطرقَ مليَّاً ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقالَ : وكانَ أمرُ اللهِ قدراً مقدوراً )[4] انتهى .

---

(١) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٥٥ .

(٣) هو أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري الامام العالم المتصوف المشهور ، ولد سنة (٣٧٦هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٥هـ) .

(٤) الرسالة القشيرية في علم التصوف باب كرامات الاوليا ص١٦٠ .

وعن هذا قالَ ابن عبدالسلام(1) في أماليه كما رأيته بها ، ونقله عنه العلامة الكمال الدميري : إنَّ الوليَّ إذا قالَ : أنا اللهُ عُزِّرَ التَّعزيرَ الشَّرعي ، ولا يُنافي ذلكَ الولاية ، لأنَّهم غيرُ معصومينَ انتهى .

قلتُ : وليسَ منافياً لقولِ القشيري في موضعٍ آخرَ من شرطِ الولي أنْ يكونَ محفوظاً ، كما أنَّ من شرطِ النَّبيِّ أنْ يكونَ معصوماً ، فكلُّ مَن كانَ للشرعِ عليه اعتراضٌ ، فهو مغرورٌ مخادعٌ انتهى . لأنَّ مرادهُ مَن كانَ للشرعِ عليه إعتراضٌ بالاصرارِ علَى الذّنوبِ ، بدليلِ كلامهِ السَّابقِ ، فالحاصلُ أنَّهم محفوظونَ ، وإنْ حصلتْ منهم هفوةٌ تداركهم مولاهم بالإنابةِ والتوبةِ سريعاً ، فلا يصرونَ علَى الذّنوبِ ، لأنَّ النُّورَ الرَّبانيَّ المخامرَ لقلوبهم يمنعُهم من ذلكَ ، كما قالَ تعالَى : ( إنَّ الَّذينَ اتَّقَوا إذَا مَسَّهُمْ طَائفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإذا هُمْ مُبْصِرُونَ )(2) أي فيسترجعون من الشَّيطانِ ما اختلسهُ ويستردونَ منهُ ما افترسهُ ، لانبعاثِ جيوشِ الاستغفارِ والذّلَّةِ الى اللهِ والافتقارِ

---

(1) هو عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الملقب بسلطان العلماء ، ولد بدمشق سنة (٥٧٧هـ) ، ونشأ فيها ودرس على أساتذتها ، زار بغداد وعاد الى دمشق ، وتوجه الى القاهرة ، وتولى القضاء فيها ، توفي بالقاهرة سنة (٦٦٠هـ) ترجمته في فوات الوفيات ٢٨٧/١ ، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ ، مفتاح السعادة ٢١٢/٢ ، الاعلام ١٤٤/٤ .

(2) سورة الاعراف الآية : ٢٠١ .

وانقشاعِ سحبِ الغفلة ، وإشراق شمسِ البصيرةِ ، فلا يدعهم تقواهم للإصرارِ علَى معصيةِ مولاهم ، بَلْ رُبَّما كانَ حالُهم بعدَ المخالفة أتَمَّ من حالِهم قبلَها ، لعظيمِ ما ينشأُ عن ذلكَ مِنَ الذِّلَّةِ والانكسارِ ، وعظيم الخضوعِ والالتجاء للمولى عزَّ وجلَّ ، وذلكَ هو الحكمةُ في جريانِ المخالفة [ ٢٨ظ ] عليهم كما أشار إليه بعضُ العارفينَ ، وقَدْ قالَ تعالى : ( اللّهُ ولِيُّ الَّذينَ آمنوا يُخرجهم مِنَ الظُّلمات الى النُّورِ )[1] ، فأفهمَ أنَّهم قَدْ يدخلونَ في الظُّلمات ، ولكنَّ اللّهَ لولايته إيَّاهم يتولى إخراجهم كما قالَ في الآيةِ الأُخرى : ( وَالَّذينَ إذا فَعَلُوا فاحشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّهَ الآيةَ )[2] . وهو مسوقٌ مساقَ المدحِ لهم . وعن هذا قالَ بعضُ العارفينَ : من سبقتْ لهُ العنايةُ لم تضرّهُ الجنايةُ ، وأمَّا مَن يصرُّ علَى الذُّنوبِ الظَّاهرةِ والباطنة فلَم يمازجِ العلمُ منهُ الجَنانَ ، وإنْ حصلَ منهُ على لقلقة اللِّسانِ ، وهو المضروبُ لهُ المثلُ بقولهِ تعالى : ( كمثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً )[3] ، وهو المعني بحديث أُسامَةَ بن زيدٍ مرفوعاً : ( يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فَيَدورُ بِها كما يدورُ الحمارُ برحاهُ ، فيجتمعُ أهلُ النَّارِ عليهِ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٥ .
(٣) سورة الجمعة الآية : ٥ .

فيقولونَ : يا فلانُ ! ما شأنُكَ ؟ ألستَ كُنتَ تأمرُ بالمعروفِ وتَنهى عن المنكر ؟ فيقولُ : كُنتُ آمركم بالمعروفِ ، ولا آتيهِ ، وأنهاكم عَنِ الشَّرِّ وآتيهِ )[1] ، الحديث رواهُ البخاري ومسلم ، واللَّفظُ لَهُ ، ومثلُ هذا هو المعني بحديثِ عمران بن حصين مرفوعاً : ( إنَّ أخوفَ ما أخافُ عَليكم بعدي كُلُّ منافقٍ عليم اللِّسانِ )[2] ، رواهُ الطَّبراني في الكبيرِ والبزَّارُ ، ورواته محتج بهم في الصَّحيحِ ، وفي حديثِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ عندَ الطَّبراني في الصَّغيرِ والأوسط نحوه ، وعن جابر رضي اللهُ عنهُ : ( العلمُ علمان : علمٌ في القلبِ فذاكَ العلمُ النَّافِعُ ، وعلمٌ على اللِّسانِ فذاكَ حجَّةَ اللهِ على ابنِ آدم )[3] ، رواهُ الخطيب البغدادي في تاريخهِ باسنادٍ حسنٍ ، ورواهُ [ ٢٩و ] الدَّارمي عن هشام عن الحسن مرفوعاً ، فالثَّاني لا ينصرفُ اليه اسمُ العلماء الَّذينَ هم ورثةُ الأنبياءِ ، وهم العلماءُ العاملونَ الأبرار المتَّقونَ الَّذينَ آلَ اليهم العِلمُ الموروثُ بالصِّفةِ الَّتي كانَ عليها عند المورث ، لا من علمهُ حجَّةٌ عليه ، وقد منعهُ سوءُ ما لديهِ من خبثِ نيَّتهِ ، وسوءِ طويَّتهِ ، واتِّباعِ

---

(1) صحيح البخاري ١٤٧/٤ ، صحيح مسلم ٢٢٤/٨ ، مسند ابن حنبل ٢٠٥/٥ .

(2) مسند الامام ابن حنبل ٢٢/١ ، المعجم الصغير للطبراني ٩٣/٢ ، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٩٢/٣ ، مع اختلاف بالالفاظ بالمصادر المذكورة .

(3) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٩٠ ، وفيه عن الحسن .

شهوتهِ من أنْ يلجَ نورُ العلمِ قلبَهُ ، ويخالطُ لبَّهُ ، فأوردهُ النَّارَ ، وبئسَ الوردُ المورودُ •

وعن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً : ( أشدُّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ عالمٌ لم ينفعْهُ اللهُ بعلمهِ )[1] ، رواهُ الطَّبراني في الصغيرِ والبيهقي في الشّعبَ •

وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما مرفوعاً : ( مَنْ تعلَّمَ علماً لغيرِ اللهِ ، أوْ أرادَ بهِ غيْرَ اللهِ فلْيتبوَّأ مقْعدَهُ منَ النَّارِ )[2] ، رواهُ التَّرمذي وابن ماجة • وقد جرتْ عادةُ اللهِ عزَّ وجلَّ بتمييز هذا القسمِ من المنتسبينَ للعلمِ عمَّن يقتدي بهِ منهم باظهارِ ما يخفيهِ من مضمراتهِ ، وكشف ما يسترهُ من عوراتهِ خصوصاً المنهمكُ في الدُّنيا والمُستعبدُ لأهلها ، ليميِّزَ اللهُ الخبيثَ من الطَّيِّبِ ، ومثل هذا يتعيَّنُ مجانبتهُ واتقاهُ •

فعن بشر[3] رحمهُ اللهُ : ( أوحَى اللهُ تعالى الى داودَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لا تجعل بيني وبينك عالماً

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١/١٨٢ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٤ ، زوائد المعجمين ١/٣٠ •

(٢) صحيح الترمذي ١٠/١٢٣ ، سنن ابن ماجة ١/٩٥ •

(٣) هو ابو نصر بشر بن الحارث بن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبدالله الحافي ، اصله من مرو ، توفي سنة (٢٢٧هـ) في بغداد • ترجمته في حلية الأولياء ٨/٣٣٦ ـ ٣٦٠ ، الرسالة القشيرية ص ١١ •

مفتوناً فيصدُّكَ بسكرهِ عن محبَّتي ، أُولئكَ قطّاعُ الطَّريقِ عَلَى عبادي )[1] .

قلتُ : والذي يرشدُكَ الى أنَّ مثلَ هذا لم يَلجْ نورُ العلمِ قلبَهُ ، إنَّ من شهدَ قلبهُ أنَّ اللهَ هو الفعَّالُ لا غيرهُ ، وأنَّهُ لا نافعٌ ولا ضارٌّ إلاّ هو ، وأنَّ قلوبَ جميع العبادِ بيده ، وأنَّهُ لا ينالهُ من الدُّنيا إلاَّ ما قسَّمهُ وقدَّرهُ لَهُ ، كيفَ يقصدُ بعلومهِ [ ٢٩ظ ] النَّفيسةِ غيرَ اللهِ تعالى من إستجلابِ الدُّنيا الخسيسةِ ، وقد مازجَ قلبَهُ[2] العلمُ ، بأنَّهُ لا يأتيهِ معَ ذلكَ إلاّ ما قُدِّرَ لهُ منها ، وأنَّ هذا القصدَ لا يفيدُ من الدُّنيا شيئاً أصلاً سوى خُسرانِ نصيبهِ من الآخرةِ الَّتي علم نفاستها ، وأنَّ الاخلاصَ في العلمِ أعظمُ أسبابِ الوصولِ اليها ، فلا يدومُ علَى ذلكَ القصدُ السَّيءُ إلاّ من لم يُؤمنْ بهذا العلمِ ، فهو كافرٌ والعياذُ باللهِ ، أو لم يُمازجْ هذا العلمُ قلبَهُ ، لسكرهِ بدُنياهُ وهواهُ ، فمنعهُ السُّكرُ من الرُّجوعِ لهذا العلمِ ، فهذا لا عقلَ لهُ ، فكيفَ يُعَدُّ في العلماءِ ، ولهذا قالَ سفيانُ بن عيينة ـ فيما رواهُ الدّارمي ـ : ( أجهلُ النَّاسِ من تركَ ما يعلم ، وأعلمُ النَّاسِ من عَمِلَ بما يعلم )[3] . فالعلمُ يمنعُ أهلَهُ أنْ[4]

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٤ .

(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : ( مازج العلمُ قلبه ) .

(٣) سنن الدارمي في ١/٨٠ .

(٤) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) ( عن أن ) ، وما ذكرناه أفضل .

يقصدوا بـه شيئاً مـن الأعراضِ الّتي لا تفيده، ولا يصلُ اليهم منها إلاّ ما قُدِّرَ لهم، ولهذا قالَ بعضهم: ( طلبنا العلمَ لغيرِ الله، فأبى أنْ يكونَ إلاّ لله )[1]، وهـو مـا أشـارَ اليـه الحسنُ بقوله ـ فيمـا رواهُ الدّارمي ـ: ( لقد طلبَ أقوامٌ العلمَ ما أرادوا به اللهَ، ولا ما عندَهُ، فما زالَ بهم العلمُ حتّى أرادوا به اللهَ وما عندَهُ )[2]، وروى الدّارمي أيضاً عن مجاهدٍ قالَ: ( طلبنا هذا العلمَ وما لنا فيه كثير نيّة، ثمّ رزقَ اللهُ بعدُ فيه النيّة )[3].

وأمّا قول إمامنا الشّافعي قدّسَ اللهُ روحَهُ ـ فيما رواهُ البيهقي ـ: ( من أرادَ الدّنيا فعليه بالعلمِ، ومن أرادَ الآخرةَ فعليـه بالعـلمِ )[4]، فـلا يتوهمُ منـهُ الرّخصةَ فـي أنْ يُرادَ بالعلمِ تحصيلَ الدّنيا، بـل مرادهُ أنّ العلمَ ثمرٌ لصاحبه ما يقصدُ تحصيلَهُ من الفوائدِ الدّنيويّةِ والآخرويّةِ إذا طلبَهُ مـن وجهـه المشروع، [ ٣٠و ] أمّا من كانتْ نيّتهُ في طلبه أرادةَ تحصيل الدّنيا، فإنّهُ يُحرَمُ الدّنيا والآخرةَ. ففي حديثٍ لزيد بن ثابت رضـيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً: ( ومن كانت الدّنيا نيّتهُ فرّقَ اللهُ عليـه أمرَهُ، وجعـلَ فقرَهُ بينَ عينيهِ، ولم يأتهِ من الدّنيا إلاّ مـا كُتِبَ

(1) سـنن الدارمي ١/٨٥.
(2) سـنن الدارمي ١/٨٥.
(3) سـنن الدارمي ١/٨٥، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٠٧.
(4) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٩.

لـه ، ومن كانت الآخرة نيّتـه ، جمـع اللهُ أمرَه ، وجعل غناه فـي قلبه وآتته الدُّنيا وهي راغمة )[1] ، رواه ابن حبّان في صحيحه وغيره ، فقوله : ( وأتته الدُّنيا وهي راغمة ) هـو مـا أراده إمامنـا الشّافعي رحمه الله ، فـلا تشتبه[2] عليك الأمور ، ولا تترك إعتماد الولاية للعلماء بمـا يقع من المتشبهين بهـم ، فسمت العلماء وهديهم ودلّهم لا يُخفى ، وقد استدل ابـن عبدالبرّ ومن وافقه بحديث أبي هريرة مرفوعاً : ( يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدولُه ، ينفون عنه تحـريف الغـالين ، وتأويـل الجّـاهلين ، وانتحـال المبطلين )[3] . أخرجه كما سبق الخطيب فـي الجامع مـع مـا رواه بأثره من قول عيسى بن صبيح : إنّه صحّ عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم على مـا ذهبوا اليه من أنّ كلّ من حمل العلم ولم يتكلّم فيه بتحـرّج ، فهـو عدلٌ فمـا ذاك بمن ظهرت عدالتُه ، وحسُن هديه وذلّه من غير ثبوت ما يقتضـي خـلاف ذلك ، فهذا هو الذي يعتقد ولايته ، وقـد ركبت مرّة وسرت مـع شيخي شيخ الاسلام فقيـه العصر شرف

---

(1) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٢٢ .

(2) أي قول الشافعي : ( ومن أراد الدنيا فعليه بالعلم ) .

(3) الجامع ١/٦٣ ، مناقب الشافعي ١/٧ رواه عن ابراهيم العـذري عن أبيه ، وفيه تقـديم وتأخير في الأخير ، واوله ( يرث ) .

الدين يحيى المناوي[1] تغمَّدَهُ اللهُ برحمتهِ مِن منزلهِ بالبندقانيين[2] مِن القاهرةِ المعزيةِ[3] الى الجَزيرةِ[4] الوسطى ، فمررنا بقومٍ جلوسٍ ، فوقعَ في النَفسِ بعضُ الشيَّء من بعضهِم ، فجالَ ذلكَ في نفسي ، فكاشفني بهِ شيخنا المشارُ اليهِ ، وقالَ لي : جميع هؤلاء أعتقدُ [٣٠ظ ] ولايتَهم لأنِّي ما علمتُ من أحدٍ منهم تقصيراً في شيءٍ من حقوقِ اللهِ ، أو حقوقِ عبادهِ ، قالَ : وقد أخبرني شيخنا الشيخ وليّ الدِّين ، يعني شيخ الاسلام أبا زرعة الحافظ زين الدِّين العراقي مذاكرةً أنَّهُ ركبَ معَ شخصٍ من المكاريَّةِ من طائفةِ الرّيافةِ ، قالَ : فقلتُ في نفسي وقد خاضتْ في الأملِ : لو كانَ لي أربعُ زوجاتٍ في أربعِ مساكن ، وفي كُلِّ مسكنٍ من الكتبِ التّي أحتاجُها نظير ما في بقيَّةِ المساكن ، قالَ : فرفعَ ذلكَ المكاريُّ طرفَهُ إليَّ ، وكانَ يبدِّلُ في نطقهِ القافَ كافاً ، فقالَ :

---

(١) هو ابو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن احمد ، شرف الدين بن سعد الدين الحداوي المناوي ، ولد سنة (٧٩٨هـ) ، ونشأ في القاهرة ودرس فهها الى ان اصبح من كبار الفقهاء فيها ، وولي قضاء الديار المصرية ، وقد صنف عدة مصنفات ، توفي سنة (٨٧١هـ) ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٢٥٤ ـ ٢٥٧ ، حسن المحاضرة ١/٢٥٣، شذرات الذهب ٧/٣١٢ ، الاعلام ٩/٢١٢ .

(٢) حي من احياء القاهرة . انظر القاهرة تاريخها وآثارها ص١٦٥ .

(٣) اي التي أمر ببنائها الخليفة الفاطمي المعزلدين الله .

(٤) تكونت نتيجة لتفرع نهر النيل في القاهرة . القاهرة تاريخها وآثارها ص١٣٣ .

يا فكيه ، ما هذا الأمل ؟ أربعُ زوجاتٍ ، وأربعُ مساكن ، وفي كُلِّ مسكنٍ من الكتبِ نظيرِ ما في الآخرِ ، قالَ : فترجلتُ عن دابتهِ ، وقلتُ لـهُ : أنْتَ أَحَقُّ أنْ تركبَ ، وأمشي في خدمتكَ ، فقالَ : لا واللهِ لأنْ لم تركبْ ، ذهبتُ عنكَ بدابتي ، قالَ : فركبتُ معَهُ ، فلمَّا وصلنا الى الرُميلة [1] ، قالَ لي : يا فكيه[2] ، ركبَ معي مرَّةً شخصٌ مـن الاتراكِ ، فلمَّا وصلَ الى هـذا الموضعِ نزلَ عن الحمارِ ، فقلتُ لـهُ : الكرا أعطيتَهُ ، فرفعَ المكرعَةَ وضربني بها ، واللهِ لو قلتُ للأرضِ : إبتلعيه لابتلعته[3] ، فذهبتُ يا فكيـه ، وتركتهُ . ثُمَّ قالَ لي شيخنا : فطائفةُ المكاريةِ فيهم الأولياء ، وكـذا غيرهم ، وحسنُ الظَّنِ ربحٌ ، وسوءُ الظَّنِ حرمانٌ ، أو قـالَ : خسرانٌ ، فعلمتُ أنَّـهُ كاشفني بما وقـعَ في نفسي .

## فصـــل

قَدْ رأيْتُ أنْ أستطردَ هـُنا مَا وقعَ[4] لي مـعَ شيخنا شيخ الاسلام الشَّرفِ المُناوي المشار اليهِ مـن المكاشفات الدَّالة علَى ولايته مـع الاشارةِ الى شيءٍ مِمَّا وقعَ لي مـعَ غيرهِ مـن المَشايخِ العلماءِ ، [ ٣١و ]

---

(١) حارة في القاهرة تقع في طريق القلعة ، القاهرة ص١٣٠ .

(٢) أي (يا فقيه) ، أبدل الكاف من القاف ، وهي اللهجة العامية المصرية.

(٣) في (م) ( ابتلعته ) وما أثبتناه أصح .

(٤) هذا اعتراف بالفضل من المصنف لاساتذته الذين امدوه بالعلم والمعرفـة .

ليزولَ ما يستبعده بعضُ النَّاسِ من إثباتِ الولايةِ للعلماءِ في زماننا .

أمَّا شيخنا شيخ الاسلام المشار اليهِ ، فقد وقعَ لي معَهُ المكاشفةُ الصَّريحةُ مراراً كثيرةً .

منها ما سبقَ آخر الفصل قبله لما وقعَ في نفسي ممَّن مررنا بهِ في المسيرِ معَهُ ما وقعَ ، وبلطفهِ في إزالتهِ بما سبقَ رحمهُ اللهُ .

ومنها أنِّي كنتُ في مجلسِ درسهِ بالمدرسةِ القُطبيَّة تجاه منزلهِ ، وكانَ يحضرُ مجلسَهُ الجمُ الغفيرُ من الطَّلبة ، فجَرى ذكر بحثٍ لشيخهِ شيخِ الاسلام الولي أبي زَرعة بن الزَّين العراقي ، فاستحسنهُ الجماعةُ ، فأعجبَ ذلكَ شيخنا ، وقالَ : ما رأيتُ مثلَ شيخنا الشَّيخ ولي الدِّين ، ولا رأى الشيخُ ولي الدِّين مثلَ نفسه ، فقلتُ في نفسي - من غيرِ أنْ أنطقَ بحرفٍ - : كيفَ يقولُ هذا ، وقد رأى الشيخ ولي الدِّين شيخَهُ شيخَ الاسلام السَّراجَ البلقيني(١) ، وهو أفقهُ من تلميذهِ الشيخِ ولي الدِّين ، ولم يخطرْ ببالي حينئذٍ من مشايخ الشيخ ولي الدِّين ، ولم يخطر

(١) هو أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ثم البلقيني ، ولد في بلقينة بمصر سنة (٧٢٤هـ) ، وتعلم في القاهرة وأصبح عالماً وفقيهاً مشهوراً ، سافر الى الشام وولي القضاء فيها ، ثم رجع الى القاهرة واشتغل بالتدريس ، وتوفي سنة (٨٠٥هـ)٠ ترجمته في الضوء اللامع ٨٥/٦ ، شذرات الذهب ٥١/٧ ، الاعلام ٢٠٥/٥ .

لي الشيخ جمالُ الدِّين الأسنوي[1] ، ولا ابن النَّقيب[2] وغيرهما من مشايخه ، فلم يتمَّ هذا الخاطرُ حتَّى أقبلَ عليَّ شيخنا شيخُ الاسلام مِن بينَ الجماعةِ كلِّهم ، وقالَ لي : الشيخ سراجُ الدِّين البلقيني كانَ فقيهاً ، ووالد الشيخ وليِّ الدِّين كانَ محدِّثاً ، فأخذَ عن الأوَّلِ الفقهَ ، وأخذَ عن الثاني الحديثَ ، فجمعَ بينهما ، ففي هذا الجَمعِ لم يرَ مثلَ نفسِه ، فعلمتُ أنَّهُ كاشفني بما جالَ في نفسي ، لتخصيصهِ إيَّاي من بينَ الجماعةِ بذلكَ على الوجهِ المذكور ، فخجلتُ واستحييتُ منهُ [ ٣١ظ ] لعلمي باطِّلاعهِ على ما خطرَ لي ، فلمَّا انصرفتُ من ذلكَ المجلسِ مشيتُ معَ أحدِ أكابرِ أصحابهِ وتلامذته شيخنا الامام العلاَّمة الشَّمس الجوجري[3] تغمَّدهُ اللهُ برحمتهِ فذاكرتهُ

---

(١) هو عبدالرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الشافعي جمال‌الدين ، فقيه اصولي من علماء العربية ، ولد باسنا من اعمال مصر سنة (٧٠٤هـ) ، انتهت اليه رئاسة الشافعية ، توفي سنة (٧٧٢) في القاهرة · ترجمته في البدر الطالع ١/٣٥٢ ، الدرر الكامنة ٢/٢٥٤ ، الاعلام ٤/١١٩ ·

(٢) ابن النقيب كنية لكثير من الاشخاص لا يمكن الفرقة بين اسمائهم لعدم ورود ما يدل على اسم هذا الشخص · ينظر الاعلام ٩/٢٠ـ٢١·

(٣) هو محمد بن عبدالمنعم بن محمد بن محمد بن عبدالمنعم بن أبي طاهر اسماعيل الشمس بن نبيه الدين الجوجري ، ولد بجوجر سنة (٨٢١هـ) ، وتحول منها الى القاهرة وتلقى تعليمه على اساتذتها ، وصار فقيها وناب في القضاء ، ثم تعفَّفَ عن مناصب الدولة ، وتوفي سنة (٨٨٩هـ) في مصر ·
ترجمته في الضوء اللامع ٨/١٢٣ ـ ١٢٦ ، البدر الطالع ٢/٢٠٠ ، الاعلام ٧/١٣٠ ·

بذلكَ ، وذكرتُ لـهُ حكمةَ إقبالهِ عليَّ بذلكَ القولِ مـن بينهم ، فذكـرَ لـي أشياءَ كثيرةً مـن العجائبِ إتّفقتْ لهُ معهُ أيضاً ، وأنّهُ كانَ يذكرُ لهُ ما يصدرُ من بعضِ أقارب الشّمس من الأذى في إبتـداء أمرهِ ، ممّا لـم يطّلعْ عليهِ أحدٌ من النّاسِ ، ويسألهُ عـن ذلـكَ .

ومنهـا أنَّ الطّاعونَ كثـرَ وفشـا ، وأنا مقيـمٌ بالقاهرةِ في رحلتي اليها سنة أربـع وستين وثمنمائة ، فترددتُ فـي السّـفرِ لوالدي وأهلي ، ومنعني مـن الجزمِ بهِ خشيةَ أنْ يكونَ ذلكَ من الفرارِ [1] ، لأنّهُ لـم يكُـنْ فـي وقتِ سفَري المعتـاد ، فعزمتُ على استشارةِ شيخنا شيخ الاسلام ، فرأيتُ تلكَ الليلةَ فـي منامي انّي خلفَ جدارٍ ، وأمامَهُ جماعات يرمون السّهامِ على النّاسِ ، والجدّارُ حائـلٌ بيني وبينهم ، ثُمَّ رأيتُ كتـاباً فتناولتهُ ، فاذا مكتوبٌ عليـهِ بذلُ الماعون في رفعِ الطّاعون ، ولم تطرقْ هـذه التّسميةُ سمعِي قبـلَ ذلكَ ، فلمّـا أصبحتُ أتيتُ الى مجلسِ الدّرس ، فلمّا هممتُ أنْ أبـدأ شيخنا المشارَ اليـهِ بالكلامِ في ذلكَ ، بدأني هو وقالَ لي : لـمَ لا تُسافر لوالدِكَ ؟ سافرِ اليـهِ فاِنّهُ فـي أمرٍ عظيمٍ عليكَ .

---

(1) يقصد بذلـك حـديث الرسـول صلى الله عليه وسـلم الذي رواه عبدالرحمن بن عوف : ( اذا وقع الطاعون بارضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فـراراً منه ، واذا وقع بارض ولستم بهـا فـلا تدخلوا عليـه ) . المعجم الكبير ١/٩٠ .

فقلتُ لهُ : ما جلستُ هذا المجلسَ إلاّ للاستشارة في ذلكَ ، فما حالُ هذا السَّفرِ بالنسبةِ الى الفرارِ المنهي عنهُ ؟ فقالَ لي : أنتَ لا تقصدُ الفرارَ ، وإنَّما تقصدُ تطمينَ خاطرِ والدِك والأهل ، ثم قالَ : [ ٣٢و ] وأيضاً فقد بلغي أنَّ الطَّاعونَ إنتشرَ في تلكَ الجهاتِ ، والفرارُ إنَّما يتحققُ في الخروجِ من موضعٍ هو فيه الى موضعٍ ليسَ هو فيه . فانشرحَ الخاطرُ للسَّفر ، ثم قصصتُ عليه الرؤيا السَّابقة ، فبشَّرني بالسَّلامةِ من الطَّاعون ، ثُمَّ سألني عن الكتابِ المذكورِ : هل تعرفهُ ؟ فقلتُ : لا ولم تطرقْ سمعي هذه التَّسميةُ قط . فقالَ : هو كتابٌ ألَّفهُ الحافظُ بن حجر[1] ، وأنا قد إختصرتُهُ . وذكرَ لي بعضَ ما اشتملَ عليه ممَّا يتحصَّنُ به من الطَّاعونِ ، ثُمَّ ودَّعتهُ وسافرتُ في مركبِ البلادِ ، فطُعِنَ جَميعُ من في المركبِ ، ومات غالبهم ، ولم يسلم منهم من الطَّعن غيري ، فلمَّا وصلتُ للوالد عانقني وبكى ، ولم يكن ذلكَ من عادته معي ، ووجدتهُ ـ كما أخبرَ شيخنا ـ في أمرٍ عظيمٍ ، لغيبتي عنهُ في مثلِ ذلكَ الوقتِ ، وحماني اللهُ من الطَّاعون الى وقتي هذا ، ثُمَّ أسكنني طيبةَ المحفوظة منهُ ، فلهُ الحمدُ والمنَّةُ .

---

(١) هو أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني ، من أئمة العلم والتاريخ ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ولد فيها سنة (٧٧٣هـ) ، ولع بالادب ثم أقبل على الحديث ، وأصبح حافظ الاسلام في عصره ، ولي القضاء في مصر ، وتوفي سنة (٨٥٢هـ) في القاهرة . ترجمته في الضوء اللامع ٢/٣٦ ، البدر الطالع ١/٨٧ ، الاعلام ١/١٧٣ .

ومنها انّي كنتُ أيّام اشتغالي بالعلمِ بالمدرسة [1] المؤيدية [2] داخلاً بـاب زويلة [3] ، فصلّيتُ العشاءَ خلفَ إمامِها قربَ خلوتي بمؤخرها ، فاعتقدتُ عندَ التكبير لقيام الرّابعةِ أنّـهُ فرغَ منها ، وأنّهُ جلس للتشهد الأخير ، فجلستُ أتشهد ، فلم أتذكرْ إلاّ عند تكبيرهِ للركوع ، فترددتُ في أنْ أقومَ فأركع مع الامام وتسقطُ عنّي القراءةُ كالسّاهي عن القُدوة [4] إذا رفعَ رأسَهُ من السجودِ ، فتذكر القُدوة عندَ ركوعِ الامامِ ، أو أقرأَ الفاتحةَ ، وأسعَى خلفَ الامامِ ، كمن سَهى عن قراءةِ الفاتحة ، حتَّى ركعَ الامامُ ، [ ٣٢ظ ] فلمّا لم يترجّحْ عندي في ذلكَ شيءٌ ، نويتُ المفارقةَ وأتممتُ الصّلاةَ مُنفرداً ، فلمّا حضرَ درسَ شيخنا المشارَ اليهِ من الغدِ ، أردتُ أنْ أسألَهُ عن ذلكَ فبادرني وقالَ : وقعتْ مسألةٌ سُئلنا عنها بالأمسِ ، ثم ذكرَ صورةَ واقعتي بعينها ، ثم ذكرَ ما أجابَ بهِ ، وأنَّ بعضَ أهلِ العصرِ خالفهُ ، وذكرَ جوابَهُ ، فوجدتُ كلاً منهما قد تمسَّكَ بأحدِ الاحتمالين المتقدمين ، فقلتُ لهُ : يا سيدي ، هذهِ واقعتي الليلة ،

---

(١) مدرسة بناها السلطان المؤيد شيخ المحمودي سنة (٨١٩هـ) تقع قرب جامع المؤيد ، أو فيه • ينظر القاهرة تاريخها وآثارها ص٥٧ ، ١٦٨ •

(٢) في (م) : ( المؤيدة ) ، وهو تحريف •

(٣) أحد أبواب سور القاهرة ، القاهرة تاريخها وآثارها ص١٣ ، ١٧٧ •

(٤) القِدْوة أو القُدْوة : لما يُقتدى بهِ ، او لما تسننتَ به • لسان العرب مادة ( قـدا ) •

وقد ترددتُ فيها ، فنويتُ المفارقةَ ، وأتممت صلاتي ، فأعجبهُ ذلكَ ، وهذه المسألةُ بخصوصها ليست منقولةً في كلامِ الأصحابِ ، وقد أوضحتُ الراجح فيها في كتابي إكمال المواهب[1] الذي ذيّلتُ به على رسالتي في مسألة المسبوق المسماة بمواهب الكريم الفتّاح في المسبوقِ المشتغل بالاستفتاحِ[2] ، فراجعهُ .

ومنها انّهُ وقعَ لي قربَ سفري الى الحجاز الشريف ما يقتضي الامتناع عن النّاسِ ، فقالَ لي يوماً : يا فلانُ ، الشّخصُ إذا أقبلَ على اللهِ عزّ وجلّ يقبل النّاسُ عليه أولاً ثم ينحرفونَ عنهُ ويؤذونهُ ، لأنَّ سُنّةَ اللهِ تعالى في عباده قد جرت بابتلائهم واختبارهم تطهيراً لهم من السُّكون الى الخلقِ ، وتخليصاً لهم من الالتجاء لغيرِ الحقِّ ، قالَ تعالى : ( آلم أحسبَ النّاسُ أنْ يُتْرَكُوا أنْ يَقُولُوا آمَنّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنّا الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ )[3] . ثم حكى أنّ شيخَهُ السّيد الشريف الطباطبي كانَ بخلوته التّي بجامعِ عمرو بن العاص بمصر العتيقة ، فتسلّطَ عليه شخصٌ من أُمراءِ الأتراكِ يُقالُ [ ٣٣و ] لهُ قرقماش[4]

(١) كتاب للمصنف ذُكِرَ في هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٢) كتاب للمصنف ذُكِرَ في هدية العارفين ١/٧٤٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان : ١ ، ٢ .

(٤) هو قرقماش الشعباني برقوق ثم الناصري ، ويعرف بـ ( قرقماش أهرام ضاغ ) يعني : جبل الاهرام لكبره ، اصله من كتابية الظاهر ، ثم ملكه ابنه فاعتقه ، وعمله خاصكيّاً ، وتدرج في المناصب ، وخلع

الشَّعباني ، وأخرجه منها ، قال : فأصبح السَّيد يوماً فجاءه شخص ، وقال له : رأيتك الليلة في المنام جالساً بين يدي النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو ينشدك هذين البيتين :

يَا بَنِي الزَّهراءِ والنُّورِ الَّذي
ظَنَّ مُوسى أنَّها نارُ قبس

لا أُوالي الدَّهرَ مَن عاداكُم
أنَّهُ آخرُ سَطرٍ مِنْ عَبس

وذلك قوله تعالى : ( أُولئكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الفَجَرَةُ )[1] ، قال : ثُمَّ أخذ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عذبة سوط في يده فعقدها ثلاث عقدات ، قال شيخنا شيخ الاسلام الشَّرف المناوي : فكان من تقدير الله عزَّ وجلَّ أنْ ضربت رأس قرقماش فلم يُضرَبْ إلاَّ بثلاث ضربات ، فكان ذلك السَّوطُ من قبيل ( فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ )[2]، ثم قال لي شيخنا شيخ الاسلام : يا فلان ، إذا أقام الفقيرُ بخلوةٍ فأُخرِجَ منها فجلس في موضعٍ ، فيَقيض اللهُ له عمارتَه ، ولو كان مزبلة ، فعلمتُ أنَّه يعنيني

---

عليه بالمحمودية الكبرى فباشرها بحزم زائد وبطش بالناس • بحيث هابه كل واحد ، وقد حوكم وضربت عنقه في أيام جقمق • ترجمته في الضوء اللامع ٢١٩/٦ •

(١) سورة عبس الآية : ٤٢ •

(٢) سورة الفجر الآية : ١٣ •

بجملة كلامه الأوّل ، ولم أعلمْ أنَّهُ يعنيني بالجملة الأخيرةِ ، ولا [ عرفتُ ](1) حكمةَ عطفها على ما قبلها إلاّ بعدَ مُضي نحو سبع عشرة سنة ، فاني فارقتُهُ عقبَ ذكرِ سنة سبعين وثماني مائة ، وجئتُ الى الحجازِ الشريف ، وأقمتُ به ، فلمّا سكنتُ بالمدينةِ النبويّةِ أقمتُ فيها بخلوةٍ في مؤخرةِ المسجد النّبوي بجانبِ المنارةِ الغربية الشّمالية ، فرأيتُ ما وصفَ شيخنا من إقبالِ النّاسِ ، ثُمَّ رأيتُ ما أشارَ اليهِ من الانحراف ، وأعظمُ الأسبابِ في ذلكَ إجابة المستفتينَ عن المسائلِ العلمية ، فسعى بعضهم [ ٣٣ظ ] في إخراجي من تلكَ الخلوةِ عندَ شخصٍ وليَ مشيخةَ الحرم بمصر ، وكانَ لا يعرفني فاستكتبهُ كتاباً يتضمن الأمرُ باخلائها وأنْ يُوضعَ زيتُ المسجد بها ، فرأيتُ ليلةَ ورود هذا الكتاب والدي السّيدَ العلامةَ جمال الدين عبدالله جالساً بالمصلّى النّبوي من الرّوضة الشّريفة ، وأنا خلفُهُ بها ، وهو في غاية الحزنِ والكآبةِ ، فقلتُ له : يا سيدي ، ما سببُ هذا الحُزنِ ؟ فقالَ : البِسَسْ(2) في مؤخرةِ المسجد خربشوني • فقلتُ : يا سيدي خربشة البِسَسْ من الأمور السّهلةِ ، فزالَ عنهُ ما كان يجدهُ من الحزنِ ، وأشرقَ وجههُ ، ومن العجب انّي كنتُ خلفَ المصلّى النّبوي بالمحلِ الذي رأيتُ أنّي مع والدي يومَ ورودِ الكتاب المذكور ، فجاءني شخصٌ وأخبرني بورودِ ذلكَ الكتاب ، وما تضمّنهُ في أمرِ

---

(1) ( عرفتُ ) : زيادة من (ب) ، وبها يكمل المعنى •

(2) ( البِسَس ) : يبدو انّها كلمة عامية مصرية ، تعني ( القطط ) •

الخلوةِ ، فشقَّ عليَّ ذلكَ ، ثُمَّ تذكَّرتُ الرؤيا ، فقلتُ : هذا ما أخبرَ بهِ الوالدُ من خربشةِ البِسْسِ ، وقد إستسهلتُها فسرى عنِّي ، ثم أردتُ موضعاً يكونُ بجانبِ المسجدِ النَّبوي أُقيمُ بهِ ليحصلَ بالاقامةِ فيهِ المعنى الذي يُرادُ من تلكَ الخلوةِ من القربِ ، فلم أجدْ غيرَ دارٍ ببابِ الرحمةِ ، أحدِ أبوابِ المسجدِ النَّبوي مشهورة بدارِ تميم[1] الدّاري رضيَ اللهُ عنهُ كما رأيتهُ في وثائقها ، فاكتريتها ونقلتُ كُتبي اليها ، وكانتْ متشعثةً خراباً ، فأقمتُ بها مدةً ، ولم يخطُرْ ببالي قطُّ أنْ أملكَها ، ولا أنْ أعمُرَ داراً ، ولا أضعَ لبنةً على لبنةٍ ، بل لم يخطرْ ببالي ملك دارٍ بالمدينةِ أبداً ، ثم لمَّا قَدِمَ شيخ الحرم الى المدينةِ الشَّريفةِ ، وبلغهُ تلكَ المقاصد الفاسدة في أمرِ الخلوةِ ، أمرَ بردِّ مفتاحها إليَّ ، وقد كانتْ قصتُها سبباً [ ٣٤و ] في إنشادي للقصيدةِ التي إمتدحتُ بها سيدَنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله[2] وصحبه وسلَّم، واستدفعتُ من كرمهِ ضيمَ الأعداء واستنصرتُ بهِ عليهم إذْ لَمْ يرعوا في حرمتهِ معَ ما بَدا من بعضِهم من الوقاحةِ والقباحةِ ، وأوَّلها[3] :

يُضَامُ بِحبكم يا عربُ رامَه
نزيلٌ أَنتمُ صرتم مُرامَه

---

(١) ينظر ذلك كتاب المصنف وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ١/٥٢٤ .
(٢) ( وعلى آله وصحبه ) : ساقطة من (ب) .
(٣) ذكر المصنف اثنين وعشرين بيتاً وذكر القصة في كتابه وفاء الوفا ٢/٤٣٠ .

ويعـدو مـن أَعاديـه عليـه
غداةَ صَـارَ قصدهمُ اهتِضامه

وأنتـم عرْبُـهُ تنمَـى إليـكم
ومـن أبوابِـكم حَـازَ احترامَـه

ومنهـا[1] :

وَلَـمْ يرعوْا جوارَكِ يـا مَلاذي
ولا نَسَبِي إليْـكَ ولا ذمَامَـه

في أبياتٍ أُخرى تزيدُ على الستين ، وقـد رأيتُ عقبَ ذلكَ في منامِي مـا يؤذنُ بالنَّصرِ العظيم ، ثمَّ رأيتُ في اليقظةِ بحمد الله تعـالى ، وهو أمرٌ مشهورٌ غير خافٍ ، ثم دفَـعَ اللهُ عنِّي جميـعَ كيدِهم ، وتوالى نصره لـي حتَّى كانَ من أمرِ حريقِ المسجدِ النَّبوي ما كانَ عقبَ سفري الى مكـةَ فـي شهرِ رمضان سنة ستٍّ وثمانينَ وثماني مائة ، فكانَ من تقديرِه عزَّ وجلَّ أنْ سافرتُ لزيارةِ والدتي بصعيدِ مصر آخرَ العـامِ المذكورِ ، فأدركتُ من حياتها عشرةَ أيَّامٍ ، ثم توفيت ببلدنا سمهود غروبَ الشَّمسِ اليومَ العاشرَ ، ثُـمَّ رجعتُ الى مصرَ للسفرِ منهـا صحبةَ الحجاجِ ، فألهمَ

---

(١) ( ومنها ) : ساقطة من نسخة (ب) .

اللهُ تعالى سلطانها الأشرف قايتباي[1] بلّغه اللهُ من خيري الدارين آماله، وسدّدَ أقوالَه وأفعالَه، فدفع إليَّ عندَ سفري مبلغاً، فعدتُ به الى المدينة النّبوية آخرَ سنة سبعٍ، فوجدتُ الدارَ التي كنتُ أقمتُ بها [٣٤ظ] عندَ الخروج من تلكَ الخلوةِ قد عرضها أصحابُها للبيع، وهي متشعثة خراب، وكانَ المبلغُ نحو ثمنها فشريتُها به، ثم مَنَّ اللهُ بأسبابِ عمارتها فعمَّرتها، وهي الآن منزلي ببابِ الرحمة، ولمَّا تيسرَ لي أسبابُ عمارتها فهمتُ حينئذٍ ما سبقَ عن شيخنا شيخ الاسلام ممَّا ذكرهُ من الجملة الأخيرةِ المتقدمة، وأنَّهُ كاشفني بذلكَ، وعندي عنهُ أشياءُ غير ذلكَ من هذا القبيلِ، حذفتُها خشيةَ الاطالةِ .

وكانَ رحمهُ اللهُ إذا اعتدى عليه أحدٌ حلَّتْ بذلكَ المعتدي النقمةُ من اللهِ عزَّ وجلَّ . وحكيَ لي في سببِ ذلكَ أنَّ شيخنا الولي المجذوب سيدي محمد[2] بن أحمد

---

(١) هو أبو نصر قايتباي المحمود الاشرفي ثم الظاهري سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة، كان من المماليك اشتراهُ الاشرف برسباي صغيراً من الخواجة محمود، وصار الى الظاهر جقمق بالشراء، فاعتقهُ واستخدمه في جيشه وصار اتابك العساكر، ولما خلع المماليك تمر بغا بايعوا قايتباي سنة (٨٧٢هـ) وبقى الى أن مات سنة (٩٠١هـ) ينظر ابن اياس ٢/ ٩٠ ـ ٣٠٣ . الاعلام ٦/ ٢٤ .

(٢) هو محمد بن أحمد السميعي ـ نسبة الى قرية من قرى ابو تيج يقال لها قرية بني سميع ـ البوتجي، يعرف بالفرغل، رجلٌ مجذوبٌ له شهرة في الصعيد وغيره، له كرامات، قدم القاهرة أيام الظاهر جقمق شافعاً في ابن قرين العزال، فاجابه واكرمه . ترجمته في الضوء اللامع ٧/ ١٣٠ .

الفرغلي[1] قَدِمَ الصَّعيدِ الى القاهرةِ أيَّامَ الملك الظاهرِ جقمق[2] قَبْلَ أنْ يلي شيخنا شيخ الاسلام وظيفةَ القضاء ، قالَ : فتوجهتُ اليهِ وزرتُهُ ، فقال لي : ولَّيتُكَ قاضي المنحل ، وأنا قدامَكَ بهذا المنجل لا يتقدمُ لكَ أحدٌ إلاّ قطعتُ رأسَهُ بهذا المنجل ، قالَ : فلم يمضِ إلاّ مدةٌ يسيرةٌ وتوليتُ القضاء ، فقصَدنا جماعةٌ بالسُّوء ، فكلمَّا تقدَّمَ أحدٌ منهم بسوءٍ أخذهُ اللهُ ، وقد إتَّفقَ لي مَعَ شيخنا الفرغلي[3] غرائب ليسَ هذا محلَّ ذكرها .

وكانَ شيخنا شيخ الاسلام كثيراً ما يقولُ : أخبرنا الفقراء أنَّ هذا الأمر ـ يعني العلمَ ـ يكونُ فينا وفي جماعتنا ، أو جماعةِ جماعتنا ، وكانَ بعضُ النَّاسِ ينكرُ ذلكَ ، لتوفر العلماء في زمنهِ ، فلم يمضِ إلاَّ مدةٌ قليلةٌ ، ولم يبقَ الآنَ بمصر من يعوَّلُ عليهِ إلاّ جماعتهُ وجماعةُ جماعته ، وما توفيَ حتَّى إنتهت اليهِ رئاسةُ العلمِ رحمهُ اللهُ .

---

(١) في (ب) : ( القرغلي ) وهو تصحيف .

(٢) هو جقمق العلائي الظاهري سيف الدين ، من ملوك دول الشراكسة بمصر والشام والحجاز ، خلع المماليك ولد الملك الظاهر برقوق بعد موت أبيه وولي ( جقمق ) مكانه السلطنة ، فكان ملكاً عظيماً جليلاً ديناً متواضعاً كريماً هدأت في عهده البلاد ، توفي سنة (٨٥٧هـ) . ترجمته في ابن اياس ٢/٢٤ ، شذرات الذهب ٧/٢٩١ ، الضوء اللامع ٣/٧١ ، الاعلام ٢/١٢٨ .

(٣) في (ب) : ( لاقرغلي ) وهو تصحيف .

وأمَّا شيخنا شيخ الاسلام الامام العلامة محقق العصر الجلال المحلي رحمه الله [ ٣٥و ] تعالى فقد إتَّفق لي معه المكاشفة الصَّريحة أيضاً حتَّى انِّي آتيه كثيراً بمنزله بحدرة الكماحيين خارج باب[1] الحرق من القاهرة المعزيَّة ، فقلَّما طرقت بابه إلاّ أجابني من داخل بيته شرف أدخل ، فأدخل ، فأجده في موضع لا يمكن أنْ يكون قد رآني منه ، وكنت آتيه في أوقات مختلفة ، وقدم عليَّ بعض اخوتي من البلاد فكاشفني بذلك عند قدومه ، وكنت كلَّما أردت السَّفر من القاهرة لزيارة أهلي آتيه وأودّعه فلا يبكي ، حتَّى كان في سفري آخر شعبان سنة ثلاث وستين وثمانمائة ، فوادعته فبكى فلم أره بعد ذلك ، فانَّه توفي عند عودي من البلاد ليلة المحرَّم سنة أربع وستين .

وكذا إتَّفق لي مع شيخنا شيخ الاسلام الشَّرف المناوي ، كنت أُوادعه عند سفري في كُلّ سنة فلا يبكي حتَّى وادعته في سنة سبعين ، فبكى فلم أره بعد ذلك لسفري من بلادنا الى الحجاز الشَّريف بحراً ، ومجاورتي به ، فتوفي ليلة الثَّاني عشر من جمادى الآخرة ، سنة إحدى وسبعين .

---

(١) احد أبواب سور القاهرة .

وأمَّا شيخنا شيخ الاسلام الامام العلامة سعدالدين[1] الحنفي ، قاضي الحنفيَّة بالدِّيار المصريَّة ، فقد أخبرني مراراً بما يقتضي أنَّه يستكمل من العمر ثمانيةً وتسعين عاماً ، وكانَ يسند ذلكَ الى منام رآه ، وأنَّه إرتقى درجاً عدتها كذلكَ ، فكانَ كما أخبرَ ، فان مولدَه سابع عشر رجب سنة ثمان وستين وسبعمائة ، ووفاته ثامن ربيع الآخر سنة سبع وستين وثمانمائة .

وأمَّا شيخنا الوالد الامام العلامة السيِّد الشَّريف جمال الدِّين عبدالله الحَسني ، فرأيْتُ منه عجائب حتَّى انِّي كنتُ أرى أنَّه يطَّلع علَى ما يصدر منِّي [ ٣٥ظ ] حالَ غيبتي عنه ، فأخافه كحضوره ، لأنِّي ما غبتُ عنه قطُّ أيَّامَ رحلته بي الى مصر ، قبل السِّتين وبعدها ، فاشتغلتُ بعلمٍ أو خيرٍ ثُمَّ جئتُه إلاّ ولقيَني بوجهٍ عبوسٍ منقبضٍ ، وأنالُ منه من الاعراض على حسب الحالة التي كنتُ عليها في غيبتي عنه ، وممَّا استُقري من حاله انَّه لم يعاده أحدٌ فيفلح أبداً .

وأمَّا شيخنا الامامُ الهمامُ العلاَّمةُ القدوةُ وليُّ اللهِ العارفُ به جنيد زمانه تقشُّفاً وزهداً الشيخُ

---

(١) هو ابو السعادات بن محمد بن عبدالله بن سعد ، النابلسي الاصل المقدسي نزيل القاهرة ، الحنفي كان اماماً علاّمة شيخ مذهب النعمان . توفي سنة (٨٦٧هـ) ، وقد عمر مائة سنة . ترجمته في شذرات الذهب ٧/٣٠٦ .

(٢) ترجمته في الضوء اللامع ٥/٥ ـ ٦ .

شهابُ الديـن أبو المناقب أحمـد الابشيطي[1] ، نزيـل المدينة النَّبويَّة ، فرأيتُ منهُ مـا لا أحصيه لكثرته من العجائب في هـذا البابِ ، فمن ذلكَ أنّي صحبتهُ أولاً بمكـةَ عـام إثنين وسبعين ، كانَ مجاوراً بهـا ، فبلغني أنَّهُ سُرِقَ لـهُ دراهمُ مـن خلوته ، وأنَّهُ ذكر أنَّ بعضَ الجنِّ أخذها ، فأحببتُ أنْ أسمعَ ذلكَ منـهُ ، فجلستُ اليـه بالمسجد الحرام قبـلَ إقامةِ الصَّلاةِ ، فقلْتُ لـهُ : بلغني أنَّهُ قـد سُرِقَ لـكم دريهمات . فقـالَ : نعم مـن الخلوةِ . فأُقيمت الصَّلاة قبلَ أنْ يكملَ ليَ القصَّةَ ، فمضى معظمُ الصَّلاة وأنا أتوسوس بأنْ أعيد لهُ السؤال عن ذلكَ إذا سلَّمتُ من الصلاة لئلا أنسى ذلكَ فيفوتني سماعهُ منـهُ ، ويتكررُ ذلكَ في نفسي ، فلمَّا سلَّمتُ قلتُ لهُ : يا سيدي ، من هذا الذي تجرَّأَ وأخذَ ذلكَ من خلوتكم ؟ فقالَ : واحدٌ وهو يعترفُ بأخذِ ذلكَ . فقلتُ : من هو هذا ؟ فاني سمعت عنكم أنَّهُ منَ الجنِّ ؟ فقالَ : نعم وهو من الذين يقولون لكَ بطولِ الصَّلاة أوَّل مـا تسلِّم أسأله . فقبَّلْتُ يدَهُ ، وقلتُ : قد كانَ ذلكَ منهم يا سيدي .

---

(1) هو أحمد بن اسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة شهاب الدين الابشيطي ، من فقهاء الشافعية العارفين بالحديث ، ولد في ابشيط من قرى المحلة بمصر سنة (٨٠٢هـ) ، وتعلم بالازهر ودرس فيه ، ثم ذهب الى مكة وتوفي بالمدينة المنورة سنة (٨٨٣هـ) له مصنفات عديدة . ترجمته في الضوء اللامع ١/٢٣٥ ، شذرات الذهب ٧/٣٣٦ ، الاعلام ١/٩٤ .

ومن ذلكَ انّي صحبته [ ٣٦و ] بمكـة والمدينة مـن التّاريخ المتقـدمِ الى سـنة خمسٍ وسـبعين ، وكانت الفتوحات[1] تردُ عليه كثيراً من النّاسِ فيفرّقها على أصحابه وغيرهم ، فما دفعَ لي في هذه المدة درهماً ولا ديناراً ، لأنّي كنتُ مكفيَّ المؤنة بما جئتُ به من عندَ أهلي ، مع أنّي لم أُعلمهُ بشيءٍ من حالي ، فلمّا رجعتُ مـن الحجِّ الى المدينةِ الشّريفة سنة خمسٍ وسبعين ، وكانت والدتي معي في ذلكَ العَام ، وقد قلَّ المصروف ، فزرتُ النّبيّ صلى اللهُ عليه وآلـه وسلّم ، وطلبتُ منهُ المددَ ، ثم توجهتُ الى الشيخِ برباط[2] الأصفهاني ، لأُسلّمَ عليه ، فوجدتُ باب الرّباط مقفـلاً ، فأردتُ أنْ أطرقَهُ ثم تأدّبتُ ، وقلتُ : ببركةِ الشيخ يتيسرُ من يفتحِ ، فلم يتمَّ هذا الخاطرُ إلاّ وقد فتحَ الشيخُ البـابَ ، وليس على رأسـه عمامة" ، ثـم قالَ لـي : ادخل ، يا استاذ ، وكانَ يخاطبني بذلكَ دائماً ، فدخلتُ وقبّلتُ يدَهُ ، وعلمتُ أنّهُ خرجَ قصداً لفتحِ البابِ من أجلي ، فانّهُ تركَ باب خلوته مفتوحاً ورجـعَ معي اليهـا ، ثـم أعطاني خمسةَ عشرَ ديناراً ، ثم دعـا لـي بدعواتٍ مناسبةٍ في أمرِ الرّزقِ ، وتيسيرهِ ، والغنـا

(١) يقصد بالفتوحات الحقوق الشرعية أمثال الزكوات أو الصدقـات وغيرهـا .

(٢) في هذا المكان كانت تقع دار عثمان رضي الله عنه العظمى التي عنـد موضع الجنائز ، فتصدق بها على ولده ، فهي بايديهم صدقة ، والتي محلهـا اليـوم رباط الاصفهاني ، وتربـة اسد الدين شـركوه عم صلاح الدين الايوبي ، وفاء الوفا باخبار دار المصطفى ٥٢٨/١ .

عن النَّاس ، ولم أخبِرهُ بشيءٍ من حالي ولا غيره ، ثم في أثناء السنةِ إحتجتُ الى شراء أَمَةٍ لتؤنس الوالدةَ وتخدمها ، فعرضَ عليَّ بعضُ الأصحابِ أَمَةً فرأيتُ أنّي أحتاجُ في ثمنها الى عشرةِ دنانير ، فعزمتُ على إقتراضها ، ولم أُشارِكْ في ذلكَ أحداً ، فلمَّا حضرتُ الدَّرسَ عندَ لشيخ ، وأردتُ الانصرافَ ناداني وأجلسني علَى باب خلوتهِ ، وقد إنصرفَ جماعةُ الدرسِ ، فدخلَ خلوتَهُ ثم خرجَ إليَّ بصُرةٍ ، فوضعها في يدي ، وقالَ : إنْ صلحت يكون ذلكَ في ثمنها وإلاَّ فتنتفعُ بهِ ، فعلمتُ أنَّهُ كاشفني ، فأعلمتهُ بالقصة ؛ [ ٣٦ظ ] ثم توجهت ففتحتُ تلكَ الصُّرةَ ، فوجدتها عشرة دنانير من غير زيادةٍ ولا نقص ، فشريتُ تلكَ الأَمَة ، وصرتُ أتأملُ في قولهِ : إنْ صلحت الى آخرهِ ، فقدَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ بمجيءِ صاحبِ الأمة في اليومِ الثاني نادماً يسألُ الاقامةَ ، وقد تغيَّرَ حالهُ ، فأقلتهُ ورددتُها عليهِ ، وانتفعتُ بذلك المبلغَ كما قالَ الشيخُ ، واستشرتَهُ في أنْ أتزوَّجَ بامرأةٍ تؤنس الوالدة ، وتقوم عنها بأمرِ المعيشةِ ، فوافقَ علَى ذلكَ فحصلَ الاستغناء عن شراء الأَمَة .

ومن ذلكَ انّي كنتُ لمَّا أحضرُ درسَهُ أجدُ من بعضِ الجماعةِ يبساً في البحثِ ، وعدم الجريان فيهِ علَى الأوضاعِ ، وكانَ الشيخُ يسلكُ معهم طريق المسامحةِ ، ورأيتُ من بعضهم ما يشبهُ الحسدَ ، ولم يسهل لي تركَ مجلس الشَّيخ ، فوقعَ في النَّفسِ أنْ

لو كانَ الشيخُ يفردُ لي وقتاً أقرأُ عليه فيه وعيَّنتُ في نفسي كتاباً ، فقلتُ في نفسي : هذا لا يحسمُ تلكَ العـلةَ ، بغضَ النَّاسِ لا يخفى عليـه ذلـكَ ويأتـي ويحضر ، فلو كانت القـراءةُ بخلوةِ الشـيخِ بحيثُ لا يحضرُ معي أحـدٌ ، وأختلي بالشَّيخ فيحصل لي منـهُ ما لا يحصل معَ الجماعةِ ، فأفوزُ منهُ بما أتوقعهُ ، ثـم زجرتُ النَّفسَ عن هذاَ الخاطـرِ ، ولم يخطرْ ببالي أنْ أذكرَ لـهُ ذلكَ بلساني ، ثم جئتُـهُ زائراً عقبَ ذلكَ ، فقالَ لـي : يـا استاذ أُريدُ أنْ أقـرأَ عليكَ الكتابَ الفُلاني داخل هذه الخلوة من غير أن يحضرَ معكَ أحدٌ . فقلتُ : أستغفرُ اللّهَ يا سيدي قد وقعَ في نفسي قراءةَ ذلكَ الكتاب عليكم كذلكَ ورأيتُ أنَّ ذلكَ منِّي سوء أدبٍ ، ثم قبَّلْتُ يـدَهُ ، فعيَّنَ للقراءة وقت مـا بين الظُّهـر والعصر ، فجئتُـهُ فـي ذلـكَ الوَقتَ [ ٣٧و ] فأدخلني في خلوتهِ وشرعتُ في القراءةِ عليه ، فجـاءَ بعضُ أعيـانِ المدينةِ الى موضعي يريدني ، فقيلَ لـهُ ذهبَ الى الشيخِ ، فجـاءَ الى بابِ الخلوةِ ، فسـمعَ القراءةَ ، فاستأذنَ فسكتَ الشيخُ فقطعتُ القراءةَ ، لعلمي بأنَّـهُ قـد تحققَ سـماعي لاستئذانه ، وكانَ الشيخُ قد تركَ بابَ الخلوة مفتوحاً ، فدخلَ والكتابُ في يدي ، فسلَّمَ وجلسَ ، ثم قالَ : أُريدُ أنْ أسمع قـراءةَ فلانٍ لهـذا الكتـابِ عليـكم ، فقلتُ : لا بأس بذلـكَ ، فأتممتُ قراءةَ ذلـكَ المجلس ، ثم انصرفنا ، فلمَّا كانَ فـي اليـومِ الثاني حضرتُ فوجدتُ الشيخَ ينتظرني ، فأدخلني ثم أغلقَ البابَ علينا ، فحضرَ ذلكَ

الرجلُ ، فصارَ يكررُ الاستئذانَ فقطعتُ القراءةَ حياءً منهُ ، فقامَ الشيخُ الى البابِ ، وقالَ لهُ : إذهب فوالله ما أفتحُ لكَ ، ورجعَ إليَّ ، وقالَ : إقرأْ فقرأتُ وأنـا فـي غايةِ الخجلِ مـن ذلـكَ الرجلِ ، وقلتُ للشيخِ : يا سيدي أخشى أنْ ينسبني ، لأنّي سألتكم في ذلكَ ، فقالَ : إقرأ ما عليكَ ، ثم صـارَ في كُلِّ يومٍ يدخلني ويغلقُ البابَ علينا ، فحصلَ لي بذلكَ ما لا يعلمهُ إلاّ اللهُ تعالى من الخيرِ ، وشاهدتُ مـن أحوالهِ وتصرُّفه واطّلاعهِ حتّى علَى أمور الأموات ما لا يُوصَفُ ، ومنَ ذلكَ أنَّ أهـلَ المدينـةِ الشريفة كانوا إذا مرضَ لهـم مريضٌ يأتونَ الى الشـيخِ ويسألونهُ قـراءة الفاتحـة والدعـاء لمريضهم ، فتارةً يفعلُ ذلـكَ ، وتارةً يقـرأُ الفاتحةَ ويدعو لمن جاءَ يطلبُ ، ولا يتعرَّض للمريضِ . فاستقريتُ أحـوالَ الشـيخ ، فكانَ فعلهُ الأول لمـن يحصلُ لـهُ الشفاءُ ، وفعلهُ الثـاني لمن يمـوتُ مـن مرضهِ .

ومن ذلك أنَّ شيخنا الشيخَ الامام [ ٣٧ظ ] العلامة المحققَ شمس الدين محمد الشرواني[١] قَـدِمَ الى المدينة الشريفة صحبةَ الحاج المصري آخر عـام إثنين وسبعين ،

---

(١) هو محمد بن مراهم الدين الشمس الشرواني ، ثم القاهري الشافعي، منسوب لمدينة بناها انو شروان محمود باد ، فاسقطوا ( انو ) تخفيفاً ، ولد سنة (٧٨٠هـ) ، ودرس على علماء عصره ، واصبح عالماً فقيهـاً قدم القاهرة واشتهر بها كثيراً ، ثم سافر الى الشام ورجع الى القاهرة ، وتوفي سنة (٨٧٣هـ) .
ترجمته في الضوء اللامع ١٠/٤٨ .

فتوجهت معه الى الشيخ بخلوته ، وكان قد رجع من مكة ، فسلّم عليه ثم قال لي شيخنا الشرواني عند سفره صحبة الحاج الى مصر : قد عزمت على أن آخذ كتبي من مصر ثم أرجع الى هذه البلدة الشريفة ، فأقيم بها ، فأحب أن تطلب لي من الشيخ شهاب الدين الأبشيطي الدعاء بذلك . فلمّا سافر جئت الى الشيخ وأعلمته بذلك ، فقال : كيف يرجع يا استاذ ؟ والله ما سافر إلاّ وهو في الترسيم . فجاءني الخبر بعد ذلك أنّ الشيخ شمس الدين وصل الى مصر متوعكاً أواخر المحرم ، وتوفي مستهل صفر سنة ثلاث وسبعين .

ومن ذلك أنّ بعض أكابر العلماء من المصريين حج ومعه إبنه ، وكان الابن فيما يقال غير مرضي الطريقة ، وكان قد بدأ بالمدينة فزار ثم توجه الى مكة ، فمرض إبنه بمكة ، فلمّا رجعت مع الحاج الأوّل دخلت على شيخنا برباط الأصفهاني فسلّمت عليه ، ثم قلت : يا سيدي الشيخ فلان قد مرض إبنه . فقال : اللهمّ أرح منه البلاد والعباد ، والله ما يصل مصر إلاّ وهو مفتت . فتعجبت من ذلك ، وما سمعت شيخنا يدعو على أحد قبله ، فلمّا قدم ركب المحمل جاء الخبر بأنّ ذلك الولد توفي ، دفن بالينبع ، فتعجبت من قول شيخنا : ما يصل مصر إلاّ وهو مفتت . فجاء الخبر بعد ذلك بأنّهم نقلوه في البحر ، فغرقت به المركب ، فأخرج ودفن في جزيرة ، ثم نقل منها الى مصر ، فلم يصل إلاّ وهو مفتت كما قال شيخنا .

ومن ذلكَ انَّهُ أُشيعَ قبلَ [ ٣٨و ] حج السلطان الأشرف قايتباي سنة ثلاث وثمانين ، وهي سنة وفاة شيخنا أنَّ السلطان يحجُّ تلكَ السنة ، فقالَ لي شيخنا : هو لا يحجُّ في هذهِ السنة ، ولكن في التي بعدها ، وتكون سنة خضراء . فحجَّ السُّلطان بعدَ وفاة شيخنا ، فقَدِمَ المدينة الشريفة في الموسم الأول من سنة أربعٍ وثمانين ، وكانَ عام ربيع ، فكنتُ أرى الأرضَ لمَّا توجهتُ للحجِّ كما قالَ شيخُنا خضراء ، وتصدَّقَ السُّلطانُ علَى النَّاسِ ، فكانتْ سنةً خضراء حساً ومعنىً خصوصاً عليَّ ، فإنَّهُ بعثَ إليَّ بمائةِ دينارٍ على يدِ إمامه شيخ الشيوخ الامام العلامة عين الأعيانَ ونادرة الزَّمان البرهان الكركي أدامَ اللهُ النفعَ بهِ ، وقد كانَ هو السبب في ذلكَ ، جزاهُ اللهُ تعالى عنِّي خيرَ الجزاء .

ولو تتبعتُ كرامات شيخنا وأحواله ، لزادت عن مجلدة ، فلنقتصر على ذلك .

## البــاب الثــاني

### في بيان منشأ معادات العلماء ، ومعادات أهل البيت الكرام ، ومحبة اللئام للئام ، والتحذير من موالات من عادى العلماء ، ومشروعيه هجره وتحقير أمره ، والأخذ بمعالي الهمم والاعراض عن سفاسفها .

اعلم وفقني اللهُ وإيَّاكَ إنَّا قد أشرنا الى شيءٍ من ذلكَ فيما مضى ، ولكن القصدَ هنا إيضاح ذلكَ كلّه وبيانهُ بياناً شافياً ، وذلكَ أنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لاَ يحبُّ إلاّ الطيّبَ ، ولا يقبل إلاّ ما كانَ طيّباً ، ويبغضُ الخبيثَ ، ولا يقبلُ ما كانَ خبيثاً ، فخلقَ داراً أخلصها [ ٣٨ظ ] للطيبِ وحرَّمها على غير الطيبين وجمع فيها كُلَّ طيّبٍ ، وهي الجنَّةُ دارُ السُّعداءِ ، وداراً أخلصها للخبيث والخبائث ، ولا يدخلها إلاَّ الخبيثونَ ، وهي دارُ الأشقياءِ ، فجمعَ فيها كلَّ خبيثٍ ، وجعل أهلَ هذين الدّارينَ أوّلاً معاً في هذهِ الدار الدُّنيا ، فوقعَ الابتلاءُ والامتحان ، بسبب هذا الاجتماع والاختلاط ، وجعلها دارَ تكليفٍ ، فبعثَ اليهم الرُّسلَ ، لبيانِ ما كلَّفهم به من الأقوالِ والأفعالِ والأخلاق الطّيبةَ الموصلة الى جنانه ، واجتناب ما يُضادُ ذلكَ من خبثِ المذكورات المبعد عنهُ ، وأمرهم بجهادِ الأعداء الّذينَ سبقت لهم منهُ الشقاوةُ ، فقامت الحروبُ بينهم وبينَ الرُّسلِ علَى ساقٍ ، وكذا بين

أتباعهم خصوصاً ورثتهم في هذه الدّار ، فاذا كانَ يومَ المعادِ ميّزَ اللهُ الخبيثَ من الطّيبِ ، فجعلَ الطّيبَ وأهلَهُ في دارِهم التي هي الجنّةُ لاَ يخالطهم غيرهم ، فيتنعمُ هؤلاءِ بطيبهم ، ويتعذّبُ هؤلاءِ بخبثهم ، لانكشاف الحقائقِ لهم حينئذٍ ، وجعلَ تعالى على السّعادةِ والشّقاوةِ عنواناً يُعرَفانِ بهِ .

فأمّا السّعيدُ ، فطيّبٌ يحبُّ الطيّبَ ، ولا يأتي إلاّ طيباً ، ويكرهُ الخبيثَ ويبتعدُ عنهُ ، فينفجّرُ الطيبُ من قلبهِ علَى لسانهِ وجوارحه ، ولهذا يقولُ لهُ خزنةُ الجنّةَ ، كما أخبرَ تعالى : ( سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدينَ )[1] ، الفاء للسببية ، أي بسببِ طيبكم إدخلوها ، وذلكَ لأحكام المناسبةِ في ذلكَ لما سبقَ من [ ٣٩و ] جعلِ الطّيبِ بحذافيرهِ في الجنّةِ وإخلاصها للطيّبينَ ، وتحريمها علَى غيرهم .

وأمّا الشّقي فخبيثٌ مخبثٌ مبغضٌ للطيّبِ وأهلهِ ، ومحبٌّ لاِتيانِ الخبيثِ وملازمةِ أهلهِ ومحلِّه ، فلا يأتي إلاّ خبيثاً ، ولاَ يصدرُ مَنهُ إلاّ الخبيثُ ، فيتفجّرُ الخبثُ من قلبهِ وجوارحهِ ، لاحكام المناسبةِ بينَهُ وبينَ الجّحيم ، لمَا سبقَ مَن جعلِ الخبيث بحذافيره فيها ، وإخلاصها للخبيث والخبائث ، قالَ تعالَى: ([2] الخَبِيثَاتُ للْخَبِيثِينَ ، والْخَبِيثُونَ

---

(1) سورة الزمر الآية : ٧٣ .
(2) سورة النور الآية : ٢٦ .

لِلْخَبِيثَاتِ ، والطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، والطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) ، وهي عامَّةٌ لِلذَّواتِ والأفعالِ والأقوالِ من الجنسين ، وإن فسَّرها بعضُهم ببعضِ ذلكَ ، فكُلٌّ ما ناسبهُ مِنْ ذلكَ إذ العبرةُ بعموم اللَّفظ ، وعمَّا قرَّرناهُ من أمرِ التَّناسب نشأ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم - كما في الصَّحيح - : ( الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا إئْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ منها إخْتَلَفَ )[1]، أي من أجلِ المناسبةِ المحكمةِ بينَ الفريقينِ ، فيميلُ الطَّيِّبُ الى الطَّيِّبِ ويألفُهُ ، والخبيثُ الى الخبيثِ ويألفُهُ كما يشيرُ اليهِ ما نقلهُ الامامُ النَّووي وغيرُهُ عن الامام الخطابي وغيرهِ من أنَّ ذلكَ من أجل[2] ما خلقَ اللهُ عليهِ الأرواحَ من السَّعادة والشَّقاوة ، فكانت الأرواحُ قسمين متقابلين ، فاذا تلاقت الأجساد في الدُّنيا إئتلفتْ ، واختلفتْ بحسبِ ما خُلقَتْ عليه ، فيميلُ الأخيارُ الى الأخيارِ ، والأشرارُ الى الأشرارِ .

ويشهدُ لذلكَ ما رواهُ العسكري[3] في الأمثالِ عن ابن مسعود مرفوعاً : ( الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ تلتقي [ ٣٩ظ ] فتَشَامُ كما تُشَامُ الخيلُ ، فما

---

(١) الحديث ورد في سنن محمد بن ادريس الشافعي ص١١٩ عن ابي هريرة ، صحيح البخاري ٤/١٦٢ عن عائشة ، صحيح مسلم ٨/٤١ عن أبي هريرة ، سنن أبي داود ٢/٥٥٩ .

(٢) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل ( أجمل ) وما ذكرناه أفضل .

(٣) هو ابو هلال العسكري صاحب كتاب جمهرة الامثال .

تعارفَ منها إئتلفَ ، وما تناكر منها إختلفَ )[1] . فلو أنَّ رجُلاً مؤمناً جاءَ الى مجلسٍ فيه مائةُ منافقٍ ، وليسَ فيه إلاّ مؤمنٌ واحدٌ ، لجاءَ حتَّى يجلس اليه . ولو أنَّ منافقاً جاءَ الى مجلسٍ فيه مائةُ مؤمنٍ ، وليسَ فيه إلاّ منافقٌ لجاءَ حتَّى يجلس اليه .

ويشهدُ لهُ ــ أيضاً ــ ما رواهُ أبو يعلي برجالِ الصَّحيح عن عمرة[2] بنت عبدالرحمن قالت : كانتْ إمرأةٌ بمكةَ مزَّاحة فنزلتْ على إمرأةٍ شبيهةٍ لها ــ أي بالمدينةِ ــ فبلغَ ذلكَ عائشةَ رضيَ اللهُ عنها فقالتْ : صدقَ حُبِّي [ سمعتُ ][3] رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم يقولُ : ( الأرواحُ جنودٌ مُجندةٌ ) الحديث . وفي روايةٍ لأبي يعلي وغيره ذكرَ السَّبب للحديث المذكور عن عائشة رضيَ اللهُ عنها انَّ إمرأةً كانتْ بمكة تدخلُ على نساءِ قريش تضحَّكهنَّ ، فلمَّا هاجرنَ ووسعَ اللهُ تعالى دخلت المدينةَ ، قالت عائشة : كانتْ تضحكَّكَ بالمدينة فدخلَتْ عليَّ ، فقلتُ لها : يا فلانةُ ، ما أقدمك ؟ قالتْ : إليكنَّ ، قلتُ : فأينَ نزلتِ ؟ قالتْ : علَى فلانة إمرأة كانت تضحِّكُ

(١) جمهرة الامثال ١/١٨٣ ، وهو في مسند ابن حنبل ٢/٢٩٥ عن أبي هريرة .

(٢) هي عمرة بنت عبدالرحمن بن سعد بن زرارة بن عدس النجارية ، سيدة نساء التابعين فقيهة عالمة بالحديث ، صحبت عائشة واخذت الحديث عنها ، توفيت سنة (٩٨هـ) ترجمتها في تهذيب التهذيب ٢/٤٣٨ ، دول الاسلام للذهبي ١/٥٠ ، طبقات ابن سعد .

(٣) ( سمعت ) : ساقطة من الاصل .

بالمدينة ، قالت عائشةُ : فدخلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم فقالَ : فلانةُ المُضحِكَةُ عندكم ؟ قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : نعم ، فقالَ : فعلى من نزلتْ[1] ؟ قالتْ : على فلانة المضحِكة ، قالَ : الحمدُ للهِ ( إنَّ الأرواحَ جنودٌ مجنَّدة )[2] ، الحديث كما في الصَّحيحِ . ومنشأ ذلكَ إحكام التَّناسب ، ولذا قالَ إمامنا الشَّافعي رحمهُ اللهُ كما في مناقبهِ للبيهقي : ( العلمُ جهلٌ عندَ أهل الجَّهلِ ، كما أنَّ الجَّهلَ جهلٌ عندَ أهل العِلم )[3] ثم أنشأ يقولُ :

[ ٤٠و ] ومنزلَةُ الفقيهِ من السَّفيهِ
كمنزلةِ السَّفيهِ منَ الفقيهِ

فهذا زاهدٌ في قربِ هذا
وهذا فيهِ أَزهَدُ منهُ فيهِ

ومن أجلِ هذا ذكرَ لي شيخنا الامام العلاّمة المحقق الشَّمس الشرواني أنَّ تَمُرْلنك[4] كَانَ يُحِبُّ شخصاً

---

(١) في (ب) : ( بزلت ) وهو تصحيف .

(٢) الحديث ورد في صحيح البخاري ٤/١٦٢ ، سنن ابي داود ٢/٥٥٩.

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٥١ ، عن الربيع بن سليمان ، النص والبيتان .

(٤) هو تمرلنك بن طرغاي الحفظاي الأعرج ، وهو اللنك بلغتهم ، فعرف بتمراللنك ثم خُفِّفَ فقيل تمرلنك ، وكان ابتداء ملكه انه لما انقرضت دولة بني جنكيز خان ظهر في اعقاب بني حفظاي بين كش وسمرقند تيمور هذا وتغلب على ملكهم محمود بعد أن كان اتابكه وتزوج امه بعد مهلك أبيه واستبد عليه ، وتمكن من القضاء

من الأكابر المعتمدين[1] ببلادِ العجم ، ويتردد تمر إليهِ ، قالَ : فوجدَ ذلكَ الرجلُ في قلبهِ ميلاً ومحبَّةً لتمر ، فتشوَّشَ لذلكَ تشويشاً عظيماً ، وقالَ : ما هذهِ المناسبةُ التي إقتضتْ ميلي لتمر ؟ فخافَ علَى نفسِهِ من ذلكَ ، فجاءَ اليهِ تمر فمنعهُ من الدّخولِ عليهِ ، فذكرَ لهُ ما خطرَ لهُ في أمرِ المناسبةِ في الميلِ اليهِ معَ ما اتَّصفَ تمر بهِ ممَّا هو معروفٌ من سيرتهِ وشرِّهِ ، فقالَ لهُ تمر : بيني وبينكَ مناسبةٌ أُخرى من أجلِ أنَّكَ تحبُّ آلَ النَّبي صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، وأنا واللهِ أحبُّهم ، وكذلكَ العلماءُ ، وأنتَ رجلٌ كريم ، وأنا أُحبُّ الكريمَ ، فهذهِ المناسبةُ هي المقتضيةَ للميلِ ، لا ما فيَّ من الشَّرِ ، فأعجبَ ذلكَ الرَّجُلُ ما قالَ تمر ، فإنَّهُ كانَ معروفاً بذلكَ واستدامَ صحبتهُ ٠

قلتُ : ومنشأُ ذلكَ إجتماعُ مادتي الطيب والخبث في الشَّخصِ الواحد ، فيميلُ اليهِ بعضُ الطَّيِّبينَ لطيبهِ ، وعكسهُ فإنَّهُ قد يكونُ في الشَّخصِ الواحدِ مادتانِ الطَّيبُ والخبثُ فيصدرانِ منهُ ، ويميلُ لكلٍّ منهما ، ويقعُ الميلُ اليهِ لأجلهما من أصحابِ الوصفينِ ، وهذا الشَّخصُ لهُ حالانِ :

---

على بقية الملوك ، ثم ملك العراق وحلب والشام وجنوب الانظول واسر بايزيد ، مات سنة ٨٠٧ قرب مدينة اترار ٠
ترجمته في الضوء اللامع ٣/٤٦ ـ ٥٠ ٠

(١) في (ب) : ( المعتمدين ) ساقطة ، وفي الاصل ، (م) : ( المعتقدين ) وهو تحريف ٠

الحالُ الأوَّلُ أنْ يريدَ اللهُ بهِ خيراً فيُطهِرَهُ من المادةِ الخبيثةِ قبلَ الموافاة حتَّى لا [ ٤٠ظ ] يَحتاجُ الى دخولِ النَّارِ لتُطهِرَهُ فيُلهِمُهُ عزَّ وجلَّ التَّوبةَ النَّصوحَ وفعلَ الخيرات ، أو يُصابُ بالمصائبِ المكفرات وأنواعِ البليَّات فيتطهرُ من مادةٍ خبيثةٍ مع كراهته لما نزلَ به ، واليه الاشارة بقوله تعالى : ( وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ )[1] فيكرهُ العبدُ ما يصيبهُ من البلايا معَ ما يترتبُ عليها من الثَّمراتِ والمزايا ، ولهذا كانَ الأبُ الشَّفيقُ يسوقُ لابنهِ الحجَّامَ والطَّبيبَ النَّاصحَ ليُعالجَهُ بالمراهم الجادة المؤلمة ، ولو أطاعَ الولدَ لمَا حصلَ الشِّفاء ، وقد رأى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم إمرأةً معها ولَدها ، فقالَ : أترونَ هذه طارحةً ولدَها في النَّارِ ؟ قالوا : لا يا رسولَ الله . فقالَ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّم : اللهُ أرحمُ بعبدهِ المؤمنِ من هذهِ بولدها . وقالَ تعالى : ( وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا )[2] . فكلُّ ما يُصيبُ المؤمنَ من أنواعِ البلاء في الحياةِ الدُّنيا ، وكذا بعدها من ضغطة القبر وعذابهِ وأهوالِ يومِ[3] القيامة جميعه لما إقتضتهُ الحكمةُ من التطهيراتِ ورفعة الدَّرجات ، ألا ترى أنَّ البلاءَ يُخمدُ النَّفس ويذُلها ويدهشُها عن طلبِ حظوظها ، ولَم يكن في البلاءِ إلاّ وجودُ الذِّلةِ ، ومعَ الذِّلةِ تكونُ

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٦ .
(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤٣ .
(٣) ( يوم ) : ساقطة من (م) .

النُّصرةُ ، قالَ تعالى : ( وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ )[1] • وهذا مِمَّا لا يفهمهُ إلاّ أُولو البصائر ـ جَعَلَنا اللهُ وإيَّاكم منهم ـ ومن تحققَ بعلمِ ذلكَ إنفتحَ لهُ بابُ الرِّضا والتَّسليم لربِّهِ عزَّ وجلَّ ، ولهذا قالَ بعضُ العارفين : لو كُشِفَ للمُبتلى عن سرِّ سريان الحكمةِ في البلاءِ لم يرضَ إلاّ بالبلاءِ •

وعن أنس رضي اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم [ ٤١و ] عن جبريل عليهُ السَّلام عن رَبِّهِ عزَّ وجلَّ قالَ : ( إنَّ من عبادي من لا يصلحهُ إلاّ السَّقَمُ ، ولو صححتهُ لأفسدَهُ ذلكَ ، وإنَّ من عبادي من لا يصلحهُ إلاّ الصحةُ ، ولو أسقمتهُ لأفسدَهُ ذلكَ ، إنِّي لأَبرُّ عبادي لعلمي بقلوبهم إنِّي بهم عليمٌ خبير )[2] •

وعن جابر مرفوعاً : ( ليودُّنَّ أَهْلُ العافيةِ أَنَّ جلودهم قُطِّعت بالمقاريضِ لِمَا يرونَ من فضلِ أهلِ البلاءِ )[3] ، رواهما أبو عبدالرحمن السَّلمي في سُنَن الصُّوفيَّةِ •

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٢٣ •

(٢) جاء في جامع السعادات ٣/٢٧٨ ما ورد في بعض الاحاديث القدسية : ( ان بعض عبادي لا يصلحه اِلاّ الفقر والمرض ، فاعطيه ذلك ، وبعضهم لا يصلحه اِلاّ الغنى والصحة فاعطيتُه ذلك ) •

(٣) الحديث ورد في صحيح الترمذي ٩/٢٤٥ عن جابر ، ولفظُه : ( يود أهل العافية يوم القيامة حين يُعطى أهل البلاء الثواب لو أنّ جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض ) ، المعجم الكبير للطبراني ٩/١٦٩ وفيه عن ابن مسعود •

والحال الثّاني أنّ [ من ][1] لا يريد بِهِ اللهُ خيراً فلا يُيَسِّر لَهُ موادَ التطهير ، فيلقاهُ يومَ القيامةِ بمادةٍ خبيثةٍ ومادةٍ طيبةٍ ، وحكمتهُ تعالى تأبى أنْ يجاورَهُ أحدٌ في دارِ كرامتهِ ، وهو مُتَّصِفٌ بخباثته ، فإنْ كانَ قابلاً للتطهير مِن غيرِ إدخاله النّارَ طهَّرَهُ اللّهُ عزَّ وجلَّ بما شاءَ بسببِ شفاعةٍ أو غيرها ، ثم يدخلهُ الجنَّةَ ، وإلاّ أدخلهُ النّارَ طهرةً لَهُ وتصفيةً ، ليميّزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ ، فإذا خلصتْ سبيكةُ إيمانهِ من الخبثِ ، وانفصلَ عنهُ خبثهُ في دارِ الخبثِ منزل الخبيثين ، صلح حينئذٍ لجوارهِ ومساكنةِ الطَّيِّبينَ من عبادهِ • وإقامةُ هذا النوعِ من النّاسِ في النّارِ على حسبِ سُرْعةِ زوالِ تلكَ الخبائث منهم وبُطؤها ، فأسرعهم زوالاً وتطهيراً أسرعهم خروجاً ، وأبطأهم أبطأهم جزاءً وفاقاً ، ( وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيد )[2] •

ثم أنَّ مادةَ الخبثِ إذا غلبت في شخصٍ واستحكمت ، فالميسر لَهُ عملُ أهلِ الخبثِ ، فكانَ مظهراً للأفعال الخبيثة التي هي عنوان الشَّقاوة ، وبضدِّهِ من غلبت واستحكمت فيه مادةُ الطهارةِ كما يشيرُ اليهِ قولهُ صلَّى عليهِ وآلهَ وسلَّم : [ ٤١ظ ] ( إعملوا فكلٌّ ميسرٌ لِما خُلِقَ لهُ )[3]، ولهذا ( لمَّا مَرَّ بجنازةٍ فأَثنوا عليها

---

(١) ( من ) : زيادة من (ب) وبها تكمل العبارة •

(٢) سورة فصلت الآية : ٤٦ •

(٣) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ٦/١ ، وفي صحيح مسلم بشرح النووي (اعملوا فكل ميسر) وقد كمله النووي في الحاشية ١٩٦/١٦•

خيراً ، قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : وجبت وجبت ـ أي الجنَّةَ ـ ولمَّا مَرَّ بالأُخرى فأثنوا عليها شـرَّاً ، قالَ : وجبت وجبت ، أي النَّار )[1] · وفي روايةٍ لأنس فسُئِلَ ـ يعني النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ـ عن ذلكَ فقالَ : ( إنَّ للهِ ملائكةً فـي الأرضِ ينطقونَ علَى ألسنةِ بني آدم بما في المرءِ من الخيرِ والشَّرِّ ) ، رواهُ الدَّيلمي وغيرهُ وأخرجهُ الحاكم فـي الجنائز مـن صحيحه ، وقالَ : صحيح على شـرط مسلم ، ولـم تزل سُنةُ اللهِ في عبادهِ جاريةً باطلاقِ الألسنةِ بالثَّنـاءِ والمدحِ للطَّيبين والأخيار ، وبالسب[2] والذَّمَ للخبيثينَ الأشرار ، ليميّزَ الخبيثَ من الطَّيِّبِ أيضاً في هـذهِ الدَّارِ ·

فعن ابن عمر رضي اللهُ عنهما قالَ : بعثَ رسـولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم معاذ بن جبل وأبا موسى الى اليمن ، قالَ : فخطبَ النَّاسَ معاذُ فحثَّهم على الاسلام والتفقه والقرآن ، وقالَ : ( أخبركم بأهلِ الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ ، إذا ذُكِرَ الرَّجلُ بخيرٍ فهو من أهلِ الجنَّةِ ، وإذا ذُكِـرَ بِشَـرٍّ فهو من أهلِ النَّـارِ )[3] ، رواهُ الطَّبراني فـي الأوسـط ، ورجالهُ موثوقونَ ، ومثلهُ لا يُقَالُ مـن قبـلِ الرَّأي ، فيكون مرفوعاً ، وحينئذٍ

---

(١) الحديث في رياض الصالحين للنووي ص٣٠٨ ، وفيـه ( وجبت ) مفـردة ·

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل و (م) : ( الثناء ) ولا يستقيم المعنى بهِ ·

(٣) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢١ ·

فاطلاقُ ألسنةِ الخلقِ التي هي أقلام الحقّ بشيءٍ في العاجلِ دليلٌ وعنوانٌ على ما يكونُ في الآجلِ ، ولـذا جاءَ في الحديثِ الصحيح : ( أرأيتُ الرجلَ يعملُ العملَ من الخيرِ ويحمده النَّاسُ عليه ، قالَ صلَّى اللهُ عليه وآلـهِ وسلَّم : تلكَ عاجـلُ بُشرى المؤمنِ )[1] ، قالَ العلماءُ : معناهُ أنَّ البُشرى المعجّلةَ بالخيرِ ، هي دليل البُشرى المؤخرة الى الآخرةِ بقولهِ تعالى : ( بُشْرَاكُمُ اليَوْمَ جَنَّاتٌ [ ٤٢و ] تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ )[2] • وهـذهِ البُشرى المعجّلةُ دليلٌ على محبَّـةِ اللهِ لعبده ، حيثُ حبَّبـهُ الى خلقه ، فانطلقت ألسنتهم بالثَّناء عليـه • ولذا جاءَ في روايةٍ فيحببـهُ النَّاسُ عليه ، فالطَّيِّبُ الصادرُ عنـهُ دليلٌ طيبـهِ المقتضي لمحبَّتهِ ، كما أنَّ من صدرَ عنهُ الخبيثُ كانَ دلكلَ خبثهِ المقتضي لبغضهِ •

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في مسنده ١٥٦/٥ ، ١٥٧ •

(٢) سورة الحديد الآية : ١٢ •

ولهـذا إختَصَّ الطَّيِّبُونَ بِمَحَبَّةِ المَولى عزَّ وجلَّ ، ثُمَّ بمحبَّةِ أهلِ السَّماءِ وأهلِ الأرضِ ، عَلى ما دلَّ عليه قوله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم في الحديث الصَّحيح : ( إذا أحبَّ اللهُ عبداً دعَا جبريل عليه السَّلامُ فقالَ : إنِّي أُحِبُّ فُلاناً فأحبُّه ، قالَ : فيحبُّه جبريلُ ثُمَّ يُنادي في السَّماءِ فيقولُ : إنَّ اللهَ يحبُّ فُلاناً فأحبُّوه ، فيحبُّه أهلُ السَّماءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القبُولُ في الأرْضِ . وإذا أبْغَضَ عَبْداً دَعَا جبريلَ عَلَيْه السَّلامُ ، فيقولُ : إنِّي أبغضُ فُلاناً فابغُضه ، فيبغضه جبريلُ ، ثم يُنادي في أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللهَ يَبغضُ فُلاناً فابغضوه ، فيبغضونهُ ، ثم يُوضَعُ لَهُ البَغْضاءُ في الأرْضِ ، أي فيبغضه أهلُ الأرضِ )[1] . كما أنَّ معنَى قوله في الأوَّل ، ثم يُوضَعُ لَهُ القبولُ في الأرضِ ، أي الحُبَّ في قلوبِ النَّاسِ ورضاهُمْ عَنْهُ فتحبه القلُوبُ وترضى عَنَهُ . وقَدْ جاءَ في روايةِ فتُوضَعُ لَهُ المحبَّةُ ، وزادَ الطَّبراني في روايته لَهُ : ثُمَّ قَرَأَ رسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم : ( إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدّاً )[2] ، أي فينظرُ لهم العبادُ بعينِ الحُبِّ والودِّ ، ويَنْشأُ عَنْ ذَلكَ هَيْبَتُهُمْ واعتزازهُمْ : ( وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ

---

(١) قد أخرجه الامام ابن حنبلَ بطرق مختلفة منه ما ذكرهُ المصنفُ ، المسند ٢/٢٦٧ ، ٣٤١ ، ٤١٣ ، ٤٨٠ ، ٥٠٩ ، ٥١٤ .

(٢) سورة مريم الآية : ٩٦ .

وَلِلْمُؤْمِنِينَ )[1] • وفي رواية لِلْبزَّار : ( مَا مِنْ عَبْدٍ إلاَّ وَلَهُ صيتٌ في السَّماءِ ، فإنْ كانَ حسناً وُضِعَ في الأرضِ ، وإنْ كانَ سَيِّئاً وُضِعَ في الأرضِ )[2] • ويُؤخذُ من ذلكَ كلِّه [ ٤٢ظ ] أنَّ محبَّةَ قلوبِ العبادِ علامةٌ على محبَّةِ اللهِ تعالى ، وأنَّ بغضَهم علامةٌ على بُغضِهِ •

## فصل

اعلم وفَّقَني اللهُ وإيَّاكَ إنَّ مَنْ تمحَّضَتْ فيه مادَّةُ الخُبْثِ فَقَدْ طُبِعَ عَلَى الأخلاقِ السَّيِّئَةِ المَذمُومَةِ التي لا مَطمعَ في تبدلِها ، كَمَا إنَّ مَنْ تمحَّضتْ فيهِ مادةُ الطيبِ ، فقد طُبِعَ على الأخلاقِ الحسنة المحمودة التي لا مطمعَ في تبدلِها • وعن هذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم : ( إذا حُدِّثْتَ أنَّ جبلاً زالَ عن مكانه فصدِّق ، وإذا حُدِّثتَ أنَّ رَجُلاً زالَ عن خلقهِ فلا تُصَدِّق )[3] ، رواهُ الامامُ أحمدُ من طريق الزُّهرِي عن أبي الدرداء بسندٍ صحيحٍ ، إلاَّ أنَّ الزُّهرِي لم يُدرِكْ أَبا الدرداءِ ، لكنَّ لَهُ شواهِدَ تُقَوِّيهِ •

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٨ •

(٢) ذكرهُ الامام ابن حنبل مع اختلاف في اللفظ • المسند ٢/٣٤١ •

(٣) مسند الامام ابن حنل ٦/٤٤٣ ، ونصه : ( إذا سمعتم بجبل زالَ عن مكانهِ فصدقوا ، واذا سمعتم برجل تغيَّر عن خلقهِ فلا تصدقوا به ، فانه يصير الى ما جُبِلَ عليهِ ) •

منها عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنهُ مرفوعاً : ( أنَّ مُغَيِّرَ الخُلُقِ كمُغيرِ الخَلْقِ إنَّكَ لا تستطيعُ أنْ تُغيِّرَ خُلُقَهُ حتَّى تُغَيِّرَ خَلْقَهُ )[1] ، أخرجهُ العسكري في الأمثالِ .

ومنها عن عبدِ اللهِ بن ربيعة قالَ : ( كُنَّا عندَ ابن مسعود ، فذكرَ القَومُ رجلاً فذكروا من خُلُقه ، فقالَ ابنُ مَسْعُود : أرأيتُمْ لَوْ قَطَعْتُمْ رَأسَهُ أكنتُم مُستطيعينَ أنْ تعيدوهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فَيَدَهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فرجلهُ ؟ قالوا : لا . قالَ : فإنَّكُمْ لا تستطيعونَ أنْ تُغَيِّرُوا خُلُقَهُ حتَّى تُغَيِّروا خَلْقَهُ )[2] ، رواهُ الطَّبراني في الكبيرِ ، وقد جرَّبْتُ مصداقَهُ في بعضِ أهلِ الزَّمانِ ، فكم أظهرَ الواحدُ منهم التَّوبةَ عن أخلاقه الذَّميمة بعدَ بذلِ الجهد في أسبابِ إزالتها ، ثم نقضَها ، ونكصَ على عقبيه راجعاً لما كانَ عليه مُحقِّقاً رفضَها ، لاقتضاءِ خُبْثهم المستحكمِ [ على ][3] عظيمِ بغضهم للعُلماء ، سيَّما من وُهِبَ منَ العُلَماء شَرَفُ النَّسَبِ لأهْلِ البَيت النَّبوي ، إذْ هُمْ [ ٤٣و ] الطَّيِّبُونَ ، وقد تقرَّرَ أنَّ بينَ الطَّيِّبِ والخبيثِ كمالَ الانقطاعِ والبُعد ، ومنعَ الاجتماعِ معَ شدَّةِ نفرةِ الخبيثِ منَ العالمِ

(١) لم أعثر عليه في جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٩/١٩٩ وفيه : ( لن تستطيعوا ) مكان ( لا تستطيعون ) .

(٣) ( على ) : زيادة من (ب) ، وبها يستقيم الكلام .

بطريقِ الميزِ بينَ الطيِّبِ والخبيثِ النّاهي عَنْ سلوكِ طرائقِ الأخلاقِ الخبيثةِ الصّارمِ لودادِ أهلِها • ألا ترى أنّ النّبيّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كانَ يُدعى بالأمينِ عندَ قريشٍ وأهلِ مكّةَ ؟ فلمّا أوحَى اللهُ تعالى إليهِ بالدّينِ الحنيفي المشتمل على طريقِ الميزِ بينَ الطَّيِّبِ والخبيث ، وأمره بالتحذيرِ والانذارِ ، وكانَ أعظمُ الخبائث إتّخاذَ آلهةٍ غيرَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأخذَ صلّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ يعيبُ آلهتَهُمْ ويُحذِّرُهُمْ قبيحَ أفعالِهِم ، ويحثُهُمْ على مكارمِ الأخلاقِ ، وينهاهُمْ عن ذميمِها ، فاشْتَدُّوا عليه وعابُوهُ بِما لَيْسَ فيه ، حَتّى أخرجوهُ من بينَ أظهُرِهم ، وكانَ الخبثُ إذ ذاكَ هو الغالبُ ، فلم يزلْ صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ يدعُو الى اللهِ حَتّى أظْهرَ اللهُ دِينَهُ ، وكَثُرَ الطَّيِّبُ وأهلُهُ ، وضعُفَ جانبُ الخبيثِ ، ثم أخبرَ صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ بأنَّ الدِّينَ بدأَ غريباً ، وأنَّهُ سيعودُ كما بدأ • وهذا أوانُ العَوْدِ الذي أخبرَ بهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم ، لغلبةِ الخبثِ والخبائثِ في هذا الزّمانِ ، وضعف النّاصرِ من أهلِ الايمانِ ، وغلبةِ أهلِ الطّغيان ، وكثرة أهلِ النّفاقِ • ألا ترى أنَّ في يومِ أُحدٍ إنخزلَ ابنُ أُبَي رأس المنافقينَ عن النّبيِّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ بنحو ثُلث النّاسِ ، فظهرَ نفاقُهُمْ وانكشفَ لأهلِ الايمانِ حالُهم معَ وجودِ النّبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم بينَ أظهرِهم ، وإشراقِ أنوارهِ عليهم ، ومشاهدةِ

آياته ومعجزاته وظهورها فيهم ، فما ذلكَ بزمانـنا لو إنكشفَ الحـالُ ؟ نســألُ اللهَ السـّلامَـةَ والعافـيَـةَ ، فـأَقـرَبُ الطـّرُقِ في هـذا الزّمانِ البُعْدُ [ ٤٣ظ ] والتّجنُبُ لأكثـر أهلـه ، وهـجْرانُ المُتَجاهرينَ [ منهم ][1] بالفجورِ على العُلمـاءِ ، ورميهـم بالبُهتانِ وسلوكهم طرق الطـّغيانِ وسُبُلَ العنادِ ، وسعيهم في الافسادِ بينهمْ وبينَ العـبادِ • وقـدْ عَظَّمَ اللهُ تعالى جرمَ مُتَعاطي ذلكَ مَعَ عامَّـةِ المُؤْمنينَ ، فكَيْفَ بخواصِّهم ؟ فَقَـدْ قالَ تعالى : ( وَالّذينَ يُؤْذُونَ المُؤْمنينَ وَالمُؤْمنَات بغَيْر ما أكْتَسَبُوا فَقَدْ إحْتَمَلوا بُهْتَانَا وَإثْمَاً مُبيْنَاً )[2] • وقالَ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّمَ : ( خيـارُ عِبَادِ اللهِ الّذينَ إذا رأوا ذُكِرَ اللهُ ، وشـرارُ عبـادِ اللهِ المشاؤُنَ بالنّميمـة ، المُفرِّقُونَ بينَ الأحـبـةِ ، الباغـونَ البُرأ الغُنَّبَ )[3] ، رواهُ الامامُ أحمد •

وعن العلاء بـن الحارث أنّ رسُولَ اللهِ صلّى اللهُ عليـه وآلـه وسلّم قالَ : ( الهمّازُونَ واللمّازُونَ والمشّـاؤُنَ بالنّميمـة ، والبَاغُونَ البُرأ الغُنَّبَ يحشرهُم اللهُ في وجـوهِ الكلابِ )[4] ، رواهُ أبو الشيخ

---

(١) ( منهم ) : زيادة من (ب) ، (م) •

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٥٨ •

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٤/٢٢٧ ، ٦/٤٥٩ •

(٤) ذكر الحديث في جامع السعادات ٢/٢٧٥ بحذف : ( يحشرهم الله في وجوه الكلاب ) •

ابن حِبَّان في كتابِ التويج • وفي بعضِ الأخبارِ : ( إنَّ تعالى أَوحَى الى موسى عليهِ السَّلامُ أنَّ في بلدِكَ ساعياً ـ أي يسعى بالنَّميمة ـ ولَستُ أمطِرُكَ ، وهو في أرضِكَ • فقالَ : يا رَبِّ دلَّني عليه حتَّى أُخرجه • فقالَ : يا موسى أَكرهُ النَّميمةَ وأنمُّ )[1] •

فأعظمُ بخصلةٍ تقضي مَعَ ما ذكر الى إحتباسِ مطرِ السَّماء عن العبادِ • وفي حديثِ ابنِ مسعود رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وَسلَّمَ : ( عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى الْبِرِّ ، والْبِرُّ يَهْدِي إلى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، وإيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ! فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الْفُجُورِ ، وإنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ حَتَّى [ ٤٤و ] يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً )[2] ، رواهُ البُخاري ومسلم وأبو داود ، والتِّرمذي صحَّحهُ واللَّفظُ لَهُ •

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ : ( آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ خَلَفَ ، وإذا

---

(١) جامع السعادات ٢/٢٧٧ •

(٢) الحديث ورد في صحيح مسلم ٨/٢٩ ، مسند ابن حنبل ١/٣٨٤ ، ٣٩٣ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، سنن أبي داود ٢/٥٩٣ ، صحيح الترمذي ٨/١٤٧ •

عاهَدَ غَدَرَ )[1] ، رواهُ البُخاري ومسلم ، وزادَ في روايةٍ لَـهُ : ( وإنْ صامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أنَّـهُ مُسْلِمٌ )[2] ٠

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها قالَتْ : ( مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ أَبْغَضُ إلى رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ مِنَ الكَذِبِ مَا اَطَّلَعَ عَلى أَحَدٍ مِنْ ذلكَ بِشَيءٍ فَيَخْرُجُ مِنْ قَلْبِه حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحْدَثَ تَوْبَةً )[3]،رواهُ أحمدُ والبزّارُ واللفظُ لَهُ ، وابن حِبَّان في صحيحه ، ولفظهُ : ( مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إلى رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّمَ مِنَ الكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكِذْبَةَ ، فَمَا زالَ في نَفْسِه حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ أَحدثَ فيها تَوْبَةً )[4] ، رواهُ الحَاكم ، وقالَ : صحيحُ الاسنادِ ، ولفظهُ : ( ما كانَ شَيءٌ أبغضَ الى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم من الكذبِ ، وما جرَّبَهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم من أحدٍ وإنْ قَلَّ فيخرجُ لَهُ مِنْ نفسهِ حتَّى يحدثَ توبةً ) ٠ وقد سبقَ أنَّ الكذبَ

---

(1) الحديث ورد في صحيح البخاري ١/١٥ ، سنن النسائي ٨/١٠٢ ، صحيح مسلم ١/٥٦ ٠

(2) صحيح مسلم ١/٥٦ ، وقال عن العلاء بن عبدالرحمن يحدث بهذا الاسناد ٠

(3) الحديث ذكره الامام ابن حنبل عن عائشة ٦/١٥٢ ٠

(4) الحديث رواه الترمذي في صحيحه بهذا اللفظ عن عائشة ٨/١٤٨٠

من علاماتِ النِّفاقِ ، وقَدْ كانَ إمامنا الشَّافعي لعلمهِ بالفراسةِ ، وَهيَ تَنْشأُ عمَّا قَدَّمناهُ مِنْ حكمةِ التَّناسُبِ يُحَذِّرُ ممَّنْ إتَّصفَ ببعضِ الصِّفاتِ الصُّوريةَ التي تقتضي الفراسَةُ التَّحذيرَ مِن المُتَّصفِ بِها ، ورُبَّما بالغَ في الزَّجْرِ عن ذلكَ بردِّ ما إطَّلعَ على أنَّهُ إشترى لَهُ ممَّن إتَّصفَ بذلكَ . فقد روى البيهقي عنهُ أشياءَ مِنْ ذلكَ بأسانيدَ خرَّجَها ، فروي عن الرَّبيعِ قالَ : ( وجَّهَ الشَّافعي [ ٤٤ظ ] رجُلاً ليشتري لهُ طِيباً ، فلمَّا جاءهُ قالَ : ـ يعني الشَّافعي ـ إشتريتهُ مِن أَشقر كَوْسَج ؟ فقالَ : نعم . قالَ : عُدْ فردَّهُ إليهِ )[1] .

وعن الربيعِ أيضاً قالَ : ( إشتهى الشَّافعي يَوْماً عنباً أبيضَ ، فأمرني فاشتريتُ لهُ منهُ بدرهم ، فلمَّا رَآهُ إستجادهُ ، فقالَ لي : يا أبا مُحَمَّدٍ ، ممَّنْ إشتريتَ هذا ؟ فسمَّيْتُ لَهُ البائعَ فنحَّى الطَّبَقَ من بينَ يديهِ وقالَ لي : أَرددهُ عليهِ ، واشترْ لي من غيرهِ . فقلتُ لهُ : وما شأنهُ ؟ قالَ : ألَمْ أَنهكَ أَنْ تصحبَ أشقرَ أزرقَ ؟ فانَّهُ لا ينجبُ ، فكيفَ آكُلُ من شيءٍ يُشترى ممَّنْ أَنهى عَنْ صُحبَتهِ ؟ قالَ الرَّبيعُ : فرددْتُ العنبَ على البائعِ ، واعتذرتُ إليهِ بكلامٍ حسنٍ ، واشتريتُ لَهُ عنباً من غيرهِ )[2] .

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٣ .

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٣ .

وعن حرملة[1] قالَ: (حضرتُ الشافعي واشتُرِيَ[2] لهُ طيبٌ فأُتِيَ بهِ ، فوقعَ فيهِ كلامٌ بينَ يديهِ ، فقالَ : ممن اشتريتَ هذا الطيبَ وما صفتهُ ؟ قالَ : أشقرُ • قالَ: أردده، فما جاءني خيرٌ قط من أشقر)[3] •

وعن حرملة أيضاً قالَ : ( سمعتُ الشَّافعي يقولُ : إحذرِ الأعورَ ، والأحولَ ، والأعرجَ ، والأحدبَ ، والأشقرَ ، والكَوْسَجَ ، وكُلَّ من بهِ عاهةٌ في بدنهِ ، وكُلَّ ناقصِ الخلقِ فاحذرهُ ، فإنَّهُ صاحبُ التواءَ ، ومعاملتهُ عسرةٌ • وقالَ مرة أُخرى : فإنَهم أصحابُ خبثٍ )[4] • ثم ذكرَ البيهقي : ( عن ابن أبي حاتم أنَّ هذا إذا كانَ ولادُهُمْ بهذهِ الحالةِ ، فأمَّا من حدثَ فيهِ شيءٌ من هذهِ العللِ وكانَ في الأصلِ صحيحُ التركيبِ فلم تضُرْ مخالطَتهُ )[5] •

---

(١) هو حرملة بن يحيى التجيبي مولاهم المصري ، ولد في مصر سنة (١٦٦هـ) وصحب الشافعي ، فكان حافظاً للحديث ثقة ، توفي في مصر سنة (٢٤٣هـ) •
ترجمته في وفيات الاعيان ١/١٢٨ ، ميزان الاعتدال ١/٢١٩ ، الاعلام ٢/١٨٥ •

(٢) في (ب) : (واشتريتُ لهُ طيباً) ، وهو خطأ لمخالفته لنص البيهقي •

(٣) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ •

(٤) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ •

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٣٢ •

وقالَ الحميدي[1] : ( قالَ الشافعي : خرجنا[2] الى اليمنِ في طلبِ كتبِ الفراسةِ حتَّى كتبتُها وجمعتُها ، ثم لمَّا كانَ إنصرافي مررتُ في طريقي برجلٍ ، وهو مُحْتَبٍ بفناءِ داره [ ٤٥و ] أزرقُ العينينِ ناتيءُ الجبهةِ سناط"[3] ، فقلتُ لَهُ : هَلْ من منزلٍ ؟ قالَ : نعم ـ قالَ الشَّافعي : وهذا النعتُ أخبثُ ما يكونُ في الفراسةِ ـ فأنزلني فرأيته‘[4] أكرمَ رجلٍ : بعثَ لي بعشاءٍ وطيبٍ وعلفٍ لدابَّتي وفرشٍ ولحافٍ ، قالَ : فجعلتُ أتقلَّبُ الليلَ أجمعَ[5] ما أصنعُ بهذهِ الكتبِ ؟ فلَمَّا أصْبَحتُ قُلْتُ للغُلامِ : أسرجْ ، فأسرجَ فركبتُ ، ومررتُ عليه ، وقلتُ له : إذا قدمتَ مكةَ ومررتَ بذي طوىً فَسَلْ عَنْ منزلِ محمد بن إدريس الشَّافعي • فقالَ لي الرجُلُ : أمولىً لأبيكَ أنا ؟ فقلتُ : لا • قالَ : فهل كانتْ لكَ عندي نعمة" ؟ قلتُ : لا • قالَ : فأينَ ما تكلَّفْتُ لكَ البارحةَ ؟ قلتُ : وما هو ؟ قال : إشتريتُ لكَ طعاماً بدرهمينِ ، وأَداماً وعطراً بثلاثةِ دراهم ، وعلفاً لدابتِكَ بدرهمينِ ،

(١) هو ابو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي الاسدي ، أحد الأئمة من أهل مكة المكرمة ، رحل منها مع الامام الشافعي الى مصر ولازمه طيلة حياته في مصر ، وبعد وفاة الشافعي عاد الى مكة وتوفي فيها سنة (٢١٩هـ) • ترجمته في تهذيب التهذيب ٥/٢١٥ ، الاعلام ٤/٢١٩ •

(٢) في مناقب الشافعي : ( خرجتُ ) •

(٣) السناط : الشخص الذي ليس له لحية •

(٤) في مناقب الشافعي : ( فرأيت ) •

(٥) ( اجمع ) : ساقطة من (م) •

وكـراءُ الفراشِ واللّحـافِ درهمين . قالَ : فقلتُ يا غلامُ ، إعطهِ ، فهل بقيَ من شيءٍ ؟ قالَ : نعم كـراءُ المنزلِ ، فإنّي وسّعتُ عليكَ وضيّقتُ عَلَى نفسِي بتلكَ الكتبِ . فقلتُ لهُ بَعْدَ ذلكَ : فهلْ بقيَ من شـيءٍ ؟ قـالَ : إمضِ أخزاكَ اللهُ ، فمـا رأيتُ شـراً منكَ )(1) .

قُلْتُ : لمّـا إقتضت حكمـةُ التّناسُبِ نفـرةَ الأشرارِ مـن الأخيارِ عبّرَ هـذا الشّريرُ فـي مثـلِ الشّافعي رحمهُ اللهُ بهذهِ العبارة . ويشهدُ لمـا قالهُ الشّافعي ، الحديثُ الذي ذكرهُ الديلمي ولـم يُسندهُ ولدهُ عن ابن عمر مرفوعاً : ( إيّاكَ والأشقرَ والأزرقَ فإنّهُ من تحتِ قرنهِ الى قدمهِ مكرٌ وخديعةٌ وغدرٌ ) .

وممّا يدخلُ في هـذا البـابِ حديثُ ابـن عباس مرفوعاً : ( إحذرُوا صفرَ الوجـوهِ ، فإنّهُ إنْ لَـمْ يكُنْ من علّـةٍ أو سقمٍ ، فإنّـهُ من غلٍّ فـي قلوبهم للمسلمينَ )(2) ، أخرجهُ الديلمي [ 45ظ ] في مسنده ، ولـهُ بلا سندٍ عـن أنس مرفوعاً : ( إذا رأيتُم الرجُلَ أصفرَ الوجهِ من غيرِ مرضٍ ولا عبادةٍ فذلكَ من غشَّ الاسلامَ في قلبهِ )(3) .

---

(1) مناقب الشـافعي للبيهقي 2/134 .

(2) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص11 .

(3) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص13 .

وذكر ابن القيم[1] في الطب النَّبوي[2] بغيرِ إسنادٍ أيضاً ، لكن أسنده' أبو نعيم في الطِّبِ من حديثِ حمادٌ بن المبارك عن السندي بن شاهك عن الأوزاعي عن رجلٍ عن أنس رفعه' مثله' سوَاء ، فا ذا كانَ هـذا التحذير' ممن إشتملَ عـلى شـيءٍ مما ذُكِـرَ مـن الأوصاف الصُّوريَّةِ فقط[3] فما ذاكَ بمن ظهرَ في أفعاله ما يؤثر' من أفعالِ المنافقينَ وأخلاقهم ، بالجملة فجمـاعُ أخلاقِ المنافقينَ والعلامات التي تميَّزَ بها أهلُ النِّفاقِ ، وقد إجتمعتْ فيمن رأيناَ من مُبغضـي العلماءِ وأهلَ البيت النَّبوي ، فكيفَ لا يتعيَّنُ بغضهم وطردهم ورفضهم ؟ إذْ مِـنَ الأعمـالِ التي إجتمعتْ عَلى حسنـها الفطر' السـليمة' والشَّـرائع' القديمـة' ، وزكَّتهـا العقـول' الصَّحيحة' وأشـارَ بسلوكِ طريقها كـلُّ ذي نصيحة التَّواضع' وخفض' الجنَّاحِ لأهـلِ الايمـانِ ، والعـزَّةَ والغلظـة' والتَّكبُّر' عَلَـى أهْـلِ البَغي والطِّغيـان سيما إذا كانَ الباغي وقحاً لا يتستَّر'[4]،وبجورهِ وبغيهِ يجهر' ، لا ينفع' فيه التلطيف' ، ولا الصفو' والمَسامحة' والعطف' ، بل يزيده' ذلكَ عناداً وسعياً في إطفـاءِ نورِ العِلمِ وإجتهاداً .

---

(١) هو شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيـوب الـزرعي الدمشقي ابن القيم الجوزية ، (ت ٧٥١هـ) .

(٢) ذكر ابن القيم مجموعة احاديث شريفة في الطب النبوي في كتابه الطب النبوي ص٨ـ٩ .

(٣) ( فقط ) : ساقطة من (ب) .

(٤) ( لا يتستر ) : ساقطة من (ب) .

هـذا : ( والحبُّ فـي اللهِ ، والبغضُ في اللهِ مـن الايمانِ )[1] ، وفي الحـديث : ( لا يجـدُ العبدُ صريح الايمانِ حتَّى يحبَّ للهِ ويبغضَ للهِ )[2] ، رواهُ أحمـدُ والطَّبراني • وفي روايتـه : ( أوثقُ عُـرَى الايمـانِ الحبُّ في اللهِ ، والبغضُ في اللهِ ) ، وفي روايـة : ( فا ذا أحبَّ في اللهَ ، وأبغضَ [ ٤٦و ] للهِ فقد إستحقَّ الولايَةُ للهِ )[3] •

وعن أَنس مرفوعاً : ( الحبُّ فـي اللهِ فريضـةٌ ، والبغضُ في اللهِ فريضةٌ )[4] ، رواهُ أبو عبدالرحمـن السلمي •

وعن مجاهد قالَ : قالَ لي ابن عمر : ( أحبَّ في اللهِ وأبغضْ في اللهِ ، وعادِ في اللهِ فا نَّكَ لا تنالُ ولايةَ اللهَ إلاَّ بذلكَ ولا يجدُ رَجُلٌ طَعمَ الايمانِ ، وإنْ كثرتَ صَلاتهُ وصيامهُ حتَّى يكونَ كذلكَ )[5] •

---

(١) هذا كلام البخاري انظر ٨/١ •

(٢) مسند الامام ابن حنبل ٤٣٠/٣ مع اختلاف في الالفاظ •

(٣) مسند الامام ابن حنبل ٤٣٠/٣ •

(٤) في كشف الغمة للشعراني ٢٢٩/٢ : ( افضل الاعمال الحب في الله والبغض في الله ) •

(٥) لقد أورد القسم الاول من الحديث صاحب كتاب جامع السعادات ١٨٣/٣ •

قلتُ : فكيفَ بمن ضمَّ الى إرْتكابِ ما يستحقُّ بهِ العداوةَ في اللهِ تعالى بغضهُ للعلماءِ ؟ وكيفَ يُصحبُ مثلُ هذا معَ ما جاءَ في الحديثِ من قولهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : ( المرءُ على دينِ خليلهِ ، فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلْ )[1] ، رواهُ أبو داود والترمذي ، وحسَّنهُ ، والطيالسي ، والبيهقي فذكرهُ في الموضوعات خطأً وللهِ درُّ القائلِ[2] :

عَنِ المرءِ لا تسألْ وَسَلْ عَنْ قرينهِ
فكُلُّ قرينٍ بالمُقارنِ مُقْتَدي

وهذا يرجعُ الى شيءٍ مما قرَّرناهُ في الفصلِ قبلهُ من الحكمةِ المقتضيةِ للتناسبِ ، فلذا قالَ بعضهُمْ : ( من سفهِ الأحلامِ مودَّةُ اللئامِ ) . وأسندَ البيهقي عن يونس بن عبدالأعلى قالَ الشافعي رحمهُ اللهُ : ( عاشرْ كرامَ النَّاسِ تعشْ كريماً ، ولا تعاشرِ اللئامَ فتُنسبُ الى اللؤمِ )[3] ، وقلْ مخالطةُ الأشرارِ خطرٌ ، ومن صحبهم فقد بالغَ في الغررِ ، وإنَّما مثلهُ كمثلِ راكبِ البحرِ إنْ سلمَ بدنهُ من التَّلفِ لم يسلمْ قلبهُ من الحذرِ ، والنَّاسُ ثلاثةُ أصنافٍ : صنفٌ

---

(١) الحديث في صحيح الترمذي ٩/١٢٣ ، وسنن أبي داود ٢/٥٥٩ ، وفيهما : ( الرجل على دين خليله ... الخ )

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي ، ذكرهُ صاحب العقد الفريد ٢/٣٣٠، وصاحب عيون الاخبار ٣/٧٩ ، وصاحب بهجة المجالس ص٧٠٣ ، ادب الدنيا والدين ص٦٣ .

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٩٣ .

كالغذاءِ لا يُستغنى عنهم ، وصنفٌ كالدّواءِ يُحتاجُ إليهم في الأحايينِ ، وصنفٌ كالداءِ يجبُ الاحتماء منهم .

وعن المزني[1] أنّهُ قالَ : ( سمعتُ الشّافعي [ ٤٦ظ ] رحمهُ اللهُ يقولُ : من لا يحبُّ العلمَ فلا خير فيهِ ، فلا يكن بينكَ وبينهُ معرفةٌ ولا صداقةٌ )[2] .

وعن الربيعِ بن سليمان قالَ : ( سمعتُ الشّافعي يقولُ : صحبةُ من لا يخافُ العارَ عارٌ يوم القيامةِ )[3] . قالَ : ( وسمعتهُ يقولُ : إنّي إذا أبغضتُ الرّجُلَ ، أبغضتُ شقي الذي يليهِ )[4] .

وعن ابن عفير قالَ : سمعتُ الشافعي يقولُ : ( من علامةِ الصديقِ أن يكونَ لصديقِ صديقهِ صديقاً )[5] .

---

(١) هو ابو ابراهيم اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المزني ، ونسبه الى قبيلة مزينة ، ولد في مصر سنة ١٧٥هـ) ودرس فيها ، ولما قدم الشافعي كان من اصحابه ، وقال الشافعي في حقه : المزني ناصر مذهبي، وقال : لو ناظر الشيطان لغلبه ، توفي في مصر سنة (٢٦٤هـ). ترجمته في وفيات الاعيان ١/ ٧١ ، الاعلام ١/ ٣٢٧ .

(٢) مناقب الشافعي ٢/ ١٤٤ .

(٣) مناقب الشافعي ٢/ ١٩٣ .

(٤) مناقب الشافعي ٢/ ١٩٥ .

(٥) مناقب الشافعي ٢/ ١٩٦ .

قلتُ : يوخذُ من طريقِ المفهومِ إنَّ من علامةِ العدوِّ أنْ يكونَ لصديقِ صديقكَ عدوّاً ، فمن بابِ أَوْلى إذا كانَ لصديقكَ عدوّاً • ومنهُ قولُ الامامِ الجليل عبدُالله (١) بن الحسن بن الحسن رضوانُ اللهِ عليهم فيما سيأتي عنهُ أواخر العاشر من القسم(٢) الثاني : كفى بالمبغضِ لنا بغضاً أنْ نسبهُ الى من يبغضنا ، وقد قدمناهُ في أَوائلِ الفصلِ الثاني من البابِ الأَوَّلِ عندَ ذكرِ التَّحذيرِ من موالاةِ مَنْ عادَى العلماءَ ، لأنَّهُ بذلكَ متعرِّضٌ لموالاةِ من عادَى اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن كانَ كذلكَ فهو مستحقٌ لدوامِ الهجرانِ حتّى تظهرَ توبتُهُ وإنابتُهُ •

## فصـــل

فانْ قيلَ قد وردَ النَّهيُ عن هجرانِ المسلمِ ، ففي الصَّحيحينِ وغيرهما عن أبي أيوب رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ قالَ : ( لاَ يَحلُ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فوقَ ثلاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هذا وَيُعْرِضُ هذا ، وخيرهما الذي يبدأُ بالسَّلامِ )(٣) • قُلنا : قَدْ

(١) مرت ترجمته في صفحة ٨٠ من هذا القسم •

(٢) ينظر القسم الثاني ٨٠و •

(٣) الحديث ورد في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، مسند ابن حنبل ١/١٧٦ ، ١٨٣ ، ٣/١١٠ ، ١٦٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٩ ، ٢٢٥ ، صحيح مسلم ٨/٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ٨/١٨٠ ، سنن أبي داود ٢/٥٧٦ ، سنن ابن ماجة ١/١٨ •

قـال العلمـاءُ : إنَّ هـذا فـي الهجرانِ لغيرِ مصلحةٍ دينيَّـةٍ ، فإنْ كانَتْ مصلحـةٌ دينيَّـةٌ ، بأنْ كانَ المهجورُ مذمومَ الحالِ لفسقٍ ، أو بدعةٍ ، أو نحوهما ، أو كانَ فيـهِ صلاحٌ لدينِ الهاجرِ ، أو المهجـورِ ، أو قُصـدَ بـهِ زجرهُ عن قبيحٍ [ ٤٧و ] فعلهُ ، أو إصلاحهُ لم يُحَـرَّمْ . قالَ النَّووي في [ زيادةِ ][1] الرَّوضَـةِ : هذا في الهجرانِ [2] لغيرِ عذرٍ شرعيٍّ ، فإنْ كانَ عذرٌ ككونِ المهجورِ : ( مذمومَ الحالِ ، لبُدعةٍ ، أو فُسقٍ ونحوهما ، أوْ كانَ فيـهِ صـلاحٌ لديـنِ الهاجـرِ أوْ المهجورِ ، أوْ يُحـرَمُ )[3] . وعلى ذلـكَ يُحْمَلُ مـا ثَبُتَ من هجرانِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم لكعب [4]بن مالك وصاحبيه ونهي الصحابةِ عن كلامهم ، وكـذا مـا جَرى من هجرانِ السَّلفِ بعضهُم بعضاً ، إنتهى .

وقالَ العراقي[5] في شرحِ التقريبِ : هذا التحريمُ محلهُ في هجرانٍ ينشأُ عن غضبٍ لأمرٍ جائزٍ لا تعلّقَ لَـهُ بالدِّيـنِ ، فأمَّـا الهجرانُ لمصلحةٍ دينيَّةٍ مِـنْ

---

(١) ( زيادة ) : ساقطة من الاصل ، وهي في (م) ، (ب) .

(٢) في (م) : ( الهجر ) ، وما أثبتناه أحسن .

(٣) النص من روضة الطالبين للنووي ٦٤/١١ .

(٤) ينظر صحيح البخاري باب ما يجوز من الهجران لمن عصى ٢٦/٨ .

(٥) العراقي هو احمد بن عبدالرحيم ابو زرعة وليالدين ابن العراقي مرت ترجمته . ( وشـرح التقريب ) هو ( شـرح ترتيب المسانيد وتقريب الاسانيد ) .

معصيةٍ ، أو بدعةٍ ، فلا منعَ منهُ ، وقد أمرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ وسلَّمَ بهجرانِ كعبِ[1] بن مالك ، وهلال[2] بن أُمية ، ومرارة[3] بن الربيع رَضي اللهُ عنهم • قالَ بن عبدالبرِّ : وفي حديث كعبٍ دليلٌ علَى أنَّهُ جائزٌ أنْ يهجرَ المرءُ أخاهُ إذا بدتْ لهُ منهُ بدعةٌ ، أو فاحشةٌ حتَّى أنْ يكونَ هجرانُهُ تأديبياً لهُ وزجراً عنها •

وقالَ أبو العباس[4] القرطبي : فأمَّا الهجرانُ لأجلِ المعاصي والبدعِ ، فواجبٌ إستصحابهُ الى أنْ يتوب من ذلكَ ، ولا يُخْتلَفُ في هذا • وقالَ ابنُ عبدالبرِّ - أيضاً - : أجمعَ العلماءُ عَلى أنَّهُ لا يجوزُ لمسلمٍ أنْ يهجرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ إلاَّ أنْ يخافَ من مكالمتهِ وصلتهِ ما يفسدُ عليهِ دينَهُ ، أوْ يولِّدُ بهِ عَلى نفسهِ مضرَّةً في دينهِ أو دنياهُ ، فإنْ كانَ كذلكَ

---

(١) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن لقين بن سواد بن غنم بن سلمة من الخزرج • المحبر لمحمد بن حبيب ص٢٨٤ - ٢٨٥ •

(٢) هو هلال بن امية بن عامر بن قيس بن عبدالاعلم بن كعب بن واقف من الاوس ، المحبر ص٢٨٤ •

(٣) هو مرارة بن الربيع بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن مالك من الاوس • المحبر ص٢٨٤ •

(٤) هو ابو العباس احمد بن عمر بن ابراهيم الانصاري القرطبي ، ولد بقرطبة سنة (٥٧٨هـ) ، هاجر الى مصر وسكن الاسكندرية ، ودرّس الحديث فيها توفي بالاسكندرية سنة (٦٥٦هـ) •

ترجمته في البداية والنهاية ٢١٣/١٣ ، نفح الطيب ٦٤٣/٢ ، الاعلام ١٧٩/١ •

رُخِّصَ لَـهُ في مجانبتهِ ، ورُبَّ صرمِ حبلٍ خيرٌ مـن مخالطةٍ مؤذيةٍ إنتهى ·

وقد بَوَّبَ البخاري في صحيحه لِمـا يجوزُ مـن[1] الهجرانِ لمـن عصَى ، ثم أوردَ قـولَ كعبِ بـن مالك الأنصاري في قصـة تخلّفه مـعَ صاحبيه عن غزوةِ تبوك : ( نهَى النَّبيُّ [ ٤٧ظ ] صلَّى اللهُ عليهِ وآلِـه وسلَّم عن كلامِـنا ، وذكرَ خمسينَ ليـلةً )[2] ، وهـو طرفٌ من حديثه الطويلِ في هـذه القصةِ ، ولفظهُ : ( ونَهى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسَـلَّمَ المسلمينَ عن كلامِـنا أيُّهـا الثلاثـة من بينَ من تخلَّفَ عنهُ ، قالَ فاجتنبنا النَّاسُ ، أو قالَ : تغيَّروا لَـنـا حتَّى تنكَّرتْ لي في نفسي الأرضُ ، فما هي بالأرضِ التي أعرفُ ، فلبثنـا علَى ذلـكَ خمسينَ ليـلةً )[3] ، الحديثُ كما في الصَّحيحينِ وغيرهـما · قالَ المهلَّبُ : غرضُ البخاري من هذا البابِ بيانُ الهجرانِ الجائزِ ، وأنَّـهُ يتنوَّعُ بقـدرِ الجُرمِ ، فمن كانَ مـن أهـلِ العصيانِ يستحقُّ الهجرانَ بتركِ المكالمةِ ·

---

(١) صحيح البخاري باب ما يجوز الهجران لمن عصى ٨/٢٦ ·

(٢) صحيح البخاري غزوة تبوك ٦/٢ ، ٣ ·

(٣) صحيح البخاري ٦/٦ ·

وقالَ الطَّبري : قصةُ[1] كعبِ بنِ مالك أصلٌ في هجرانِ أهلِ المعاصي ، وقد إستشكلَ كونُ هجرِ الفاسقِ والمُبدعِ مشروعاً ، ويُشرعُ هجرانُ الكافرِ ، وهو أشدُّ جرماً منهما ، لكونِهما من أهلِ التوحيدِ في الجُملةِ .

وأجابَ ابنُ بطال[2] بأنَّ للهِ تعالى أحكاماً فيها مصالحٌ للعبادِ وهو أعلمُ بشأنِها ، وعليهم التَّسليمُ لأمرهِ فيها ، فيحتجُّ الى أنَّه تعبُّدٌ لا يُعقلُ معناهُ .
وأجابَ غيرُهُ بأنَّ الهجرانَ قلبيٌّ ولسانيٌّ ، فهجرُ الكافرِ بالقلبِ ، وكذا بتركِ التوددِ والتعاونِ والتَّناصرِ ، لا سيما إذا كانَ جريئاً ، وإنَّما لم يُشرَّعْ هجرانُه بالكلامِ لعدمِ إرتداعهِ به عن كفرهِ ، بخلافِ العاصي المسلمِ فإنَّهُ ينزجرُ بذلكَ غالباً . وفي الصَّحيحِ ـ أيضاً ـ قولُ عائشةَ رَضيَ اللهُ عنها : ( عليَّ نذرٌ ألاَّ أُكلِّمَ ابنَ الزبيرِ أبداً )[3] . قالَ ابنُ عبدالبر[4] : التقديرُ : عليَّ نذرٌ إن كلمتهُ إنتهى .

---

(1) ينظر تاريخ الطبري ١٠٣/٣ ـ ١١١ .

(2) هو ابو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال ، من علماء الحديث اندلسي من أهل قرطبة ، له شرح صحيح البخاري ، توفي سنة (٤٤٩هـ) . ترجمته في شذرات الذهب ٢٨٣/٣ ، الاعلام ٩٦/٥ .

(3) صحيح البخاري ٢٥/٨ ، وفيه : ( للهِ علي نذرٌ ألاّ اكلّمَ ابن الزبير ابداً ) .

(4) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : ( ابن التين ) ، وهو خطأ .

وهو موافقٌ للروايةِ الأخرى : ( للهِ عليَّ [ ٤٨و ] نذرٌ إن كلمتهُ )[1] ، فالنِّذرُ معلّقٌ على كلامهِ ، لأنّها نذرتْ تركَ كلامهِ ، وجعلت التّركَ قربةً تلتزمُ بالنِّذرِ ، وقصّتُها في ذلكَ أنّها رأتْ أنَّ ابن الزّبير قد إرتكبَ أمراً عظيماً ، حيثُ قالَ : ( أمَا واللهِ لتنتهينَّ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها عن بيعِ رباعِها أو لأحجرنَّ عليها )[2] • وكانتْ لا تمسكُ شيئاً ممَّا جاءَها من رزقِ اللهِ ، بل تتصدّقُ بهِ ، فرأتْ أنَّ في قولهِ ذلكَ جرأةً عليها وتنقيصاً لقدرِها ، بنسبتِها الى إرتكابِ التبذيرِ الموجبِ لمنعِها من التّصرّفِ مَعَ كونِها أُمَّ المؤمنينَ وخالتَهُ أُختَ أُمهِ ، ولم يكُنْ أحدٌ عندها في منزلتهِ ، فرأتْ أنَّ ذلكَ منهُ نوع عقوقٍ ، فجعلتْ مجازاتهُ تَركَ مكالمتهِ ، كما نهَى النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ المسلمينَ عن كلامِهم كعبَ بن مالك وصاحبيهِ عقوبةً لهم على تخلّفهم عن غزوةِ تبوك بغيرِ عذرٍ ، ولم يمنعْ من كلامٍ من تخلّفَ من المنافقينَ مؤاخذةً للثلاثةِ ، لعظيمِ منزلتهِم ، وازدراءً بالمنافينَ لحقارتهِم ، وقد صدرَ من كثيرٍ من السّلفِ إختيارُ تركِ مكالمةِ بعضِهم بعضاً مع علمهم بالنهي عن المهاجرةِ

---

(1) صحيح البخاري ٨/٢٥ •

(2) صحيح البخاري ٨/٢٥ وفيه : ( ان عبدالله بن الزبير قال في بيع او عطاء اعطته عائشة : والله لتنتهينّ عائشة أو لاحجُرَنّ عليها )•

لمصالح رأوهَا . فقــد قالَ الكمال[1] الدميري : رأيْتُ بخطِّ ابن الصَّلاح[2] أنَّ سعدَ بن أبي وقاص هاجرَ عمّارَ ابن ياسر حتَّى ماتَ ، وأنَّ عائشــةَ كانتْ مُهاجرةً لحفصةَ رَضيَ اللهُ عنهما، وعثمانُ هَجَرَ عبدالرَّحمن ابن عوف الى أنْ ماتَ رَضِيَ اللهُ عنهُما ، وطاوُوس[3] هاجرَ وهبَ بن منبــه الى انْ ماتــا ، وكذلكَ الحسنُ وابن سيرين[4] ، وهجرَ سعيد[5] بــن المسيّب أباهُ فلم

(١) هو ابو البقــاء محمد بن موســى بن عيســى بن علي الــدميري ، كمال الدين ، اسرته من اهل دميرة في مصر ، ولد في القاهرة سنة (٧٤٢هـ) ، ونشأ يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم ، وكانت له حلقة بالازهر ، توفي سنة (٨٠٨هـ) .
ترجمته في مفتاح السعادة ١/١٨٦ ، كشف الظنون ٦٩٦ ، الاعــلام ٧/٣٤٠ .

(٢) هو الامــام المحــدث الحــافظ أبو عمرو عثمان بن عبدالرحمــن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح ، توفي سنة (٦٤٣هـ) .

(٣) هو ابو عبدالرحمن طاووس بن كيسان الخولاني بالولاء ، ولد في اليمن سنة (٣٣هـ) ، وكان من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية للحديث وتقشفاً في العيش ، توفي سنة (١٠٦هـ) في مكة بالمزدلفة .
ترجمته في حلية الاولياء ٤/٣ ، تهــذيب التهذيب ٥/٨ ، الاعــلام ٣/٣٢٢ .

(٤) هو ابو بكر محمد بن سيرين البصري الانصاري بالولاء ، ولــد في البصرة سنة (٣٣هـ) ، نشأ بزازاً في اذنــه صمم ، وتفقــه وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، توفي في البصرة ســنة (١١٠هـ) . ترجمته في تهذيب التهذيب ٩/٢١٤ ، حليــة الاوليــاء ٢/٢٦٣ ، تاريخ بغداد ٥/٣٣١ ، الاعلام ٧/٢٥ .

(٥) هو ابو محمد سعيد بن المسيب بن حَزْن بن ابي وهب المخزومي القرشي : سيد التابعين واحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بــين الحديث والفقه والزهر والورع ، وكان كأبيه يعيش بتجارة الزيت ، ولا يقبل العطاء ، توفي في المدينة سنة (٩٤هـ) . ترجمته في حليــة الاولياء ٢/١٦١ ، صفة الصفوة ٢/٤٤ ، الاعلام ٣/١٥٥ .

يكلمْـهُ الى أنْ مـاتَ ، وكانَ أبـوهُ زيّاتاً ، وكـانَ الثَوري يتعلّمُ مـن ابن أبي ليلى ، ثم هجرهُ ، ومـاتَ ابنُ أبي ليلى ، ولم يشـهدِ الثّوري [ ٤٨ظ ] جنازتَهُ إنتهى .

ولمّا امتنعَ اللّيثُ[١] بن سعد من قبـولِ القضـاء حينَ ولاّهُ أبو جعفر المنصور ، فاستشارهُ في رَجُـلٍ يولّيه ، فأشارَ بعثمان بن الحكم الجذامي ، فلمّا بلَغهُ ذلـكَ عاهـدَ اللهَ أنْ لا يكلـمَ اللّيث أبـداً ، ذكـرهُ البيهقي .

وفي الفروعِ للعلاّمةِ ابن مفلح[٢] مـن الحنابلة أنّ الامامَ أحمد بن حنبل هجرَ أولادَهُ ، وعمّـهُ ، وابـن عمهِ لما أخذُوا جائزةَ السلطانِ ، قالَ القاضـي : وهـو يقتضي جواز الهجرِ بأخـذِ الشبهَةِ ، وإنّما أجازهَ ، لأنّ الصحابةَ رَضـيَ اللهُ عَنهم هجرَوا بِمَا في معناهُ ، كهجرِ ابن مسعود من ضحكَ في جنازةٍ ، وحذيفة بشدِّ الخيـطِ للخمي ، وعمر رَضـيَ اللهُ عنـهُ أمرَ بهجـرِ

---

(١) هو ابو الحارث الليث بن سعد بن عبدالرحمن الفهمي بالـولاء ، امام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، ولد في قلقشندة سنة (٩٤هـ)، قال الامام الشافعي فيه : الليث افقه من مالك ، توفي في القـاهرة سنة (١٧٥هـ) ، ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/ ٤٥٠ ، النجوم الزاهرة ٢/ ٨٢ ، تاريخ بغداد ١٣/ ٣ .

(٢) هو ابو عبدالله محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج ، شمس الدين المقدسي ، اعلم أهل عصره بمذهب ابن حنبل ، ولد في بيت المقدس سنة (٧٠٨هـ) ، وتوفي بدمشق سنة (٧٦٣هـ) ، من تصانيفه كتاب الفروع في الفقه ، ترجمته في الدرر الكامنة ٤/ ٢٦١ ، الاعلام ٧/ ٣٢٧ .

ضُبَيع بسؤاله عن الذاريات والمرسلات والنَّازعات ، وقالَ الخلاَّل : كانَ أحمد يُوسعُ على مَن أخذَ جائزةَ السلطان لحاجته ، فلمَّا أخذوها مع الاستغناء هجرهم ثم كلَّمهم ، وهو عندي على غير قطع المصارمة ، لأنَّهم وإنْ استغنوا فلهم حجةٌ قويةٌ انتهى .

وفي مسند الدارمي عن خراش بن جبير قالَ : ( رأيتُ في المسجد فتىً يحذفُ ، فقالَ لهُ شيخٌ : لا تحذفْ فإنِّي سمعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ينهَى[1] عن الحذف ، فغفلَ الفتَى وظنَّ أنَّ الشَّيخَ لا يفطنُ لهُ ، فحذفَ ، فقالَ[2] الشيخُ : أُحدِّثُكَ أنِّي سمعتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ ينهَى عن الحذف ثم تحذفُ ، واللهِ لا أَشهدُ لكَ جنازةً ولا أَعودكَ في مرضٍ ، ولا أكلمكَ أبداً )[3] . ثم روى الدارمي أنَّ عبدَ اللهِ بنمغفل رَضيَ اللهُ عنهُ : ( رأى رجلاً من أصحابه يحذفُ فقالَ : لا تحذفْ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ كانَ ينهَى عن الحذف ، وكانَ يكرههُ ، وانَّهُ لا يُنكَا به عدوٌّ ، [ ٤٩و ] ولا يُصادُ به صيدٌ ، ولكنَّهُ قد يفقأُ العينَ ويكسرُ السِّنَّ . ثُمَّ رآهُ[4] بعدَ ذلكَ يَحذفُ ، فقالَ[5] : ألم أُخبرْكَ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه

(١) كذا في النسخ المخطوطة وفي سنن الدارمي : ( نهَى ) .
(٢) في سنن الدارمي : ( قال له الشيخ ) .
(٣) سنن الدارمي ١/٩٦ .
(٤) كذا في الأصل ، وفي ب ، م : نراُ ، وهو تحريف .
(٥) في سنن الدارمي : ( فقال له ) .

وآلــه وسلَّمَ كانَ ينهَى ، ثم أراكَ تَحـذفُ ؟ والله لا أُكلِّمكَ أبداً )[1] .

وقَـد أخرجـهُ الشيخانِ بنحوهِ ، وروى الدَّارمي أيضاً ( أنَّ ابن سيرين حدَّثَ رجلاً بحديثٍ عن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم ، فقالَ الرجلُ : قالَ فلانٌ كذا وكذا . فقالَ ابن سيرين : أُحدِّثُكَ عَـنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ ، وتقـولُ : قالَ فلانٌ ، لا أكلِّمُكَ أبداً )[2] .

وأخرجَ البيهقي عن عطا بن يسار : ( إنَّ معاويـةَ بن أبي سفيان باعَ سقايةً من ذهبٍ ، أو ورقٍ بأكثرِ من وزنـها ، فقالَ لهُ أبو الدرداء : سمعتُ رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ نَهَى عن مثلِ هـذا إلاَّ مثلاً بمثلٍ . فقالَ لهُ معاويةُ : ما أرى بأساً . فقـالَ أبو الدرداء : مَنْ يعذرني مِنْ معاويـة ، أُخبرهُ عـن رسولِ الله صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسلَّمَ ، ويخبرني عن رأيهِ ، لا أُساكنكَ بأرضٍ أنْتَ بـهـا )[3] . قالَ البيهقي : قـالَ الشَّافعي : فرأى أبـو الدرداء الحجـةَ

---

(1) سنن الدارمي ١/٩٦ ـ ٩٧ .

(2) سنن الدارمي ١/٩٧ .

(3) السنن الكبرى للبيهقي ٥/٢٨٠ ، وفيه : ( ثم قدم أبو الدرداء على عمر فذكر له ذلك ، فكتب عمر رضي الله عنه الى معاوية الا يبيع ذلك الا مثلاً بمثل ووزناً بوزن ) ، وهو بكامله في سنن الشافعي ص٢٤٣ .

تقومُ بخبرهِ ، ولمّا لم يرَ معاويةُ ، فارقَ أبو الدرداء الأرضَ التي هو بها إعظاماً ، لأنَّهُ تركَ خبراً عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ٠

قالَ الشافعي : وأُخبِرْنا أنَّ أبا سعيدٍ الخُدري لقيَ رجلاً فأخبرهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهِ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، فخالفهُ ، فقالَ أبو سعيد : واللهِ لا آواني وإيَّاكَ سقفُ بيتٍ أبداً ٠ قالَ الشافعي : فرأيَ أنْ أضيفَ على الخبرِ أنْ لا يُقبلَ خبرهُ ٠ قلتُ : فهذا كلهُ هجرانٌ للهِ ولرسولهِ ، معَ أنَّ الهجرانَ يزولُ [ ٤٩ظ ] عندَ مالكٍ والشافعي والجمهور بمجرَّدِ السَّلامِ ، كما يشيرُ اليهِ قولهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( وخيرهما الذي يبدأ بالسَّلام )[1] ٠ ولذا قالَ النَّووي وغيرهُ من العلماءِ : إنَّ المبدعَ ومن اقترفَ ذنباً عظيماً ولم يتبْ منهُ ، لا يُسلَّمُ عليهم[2] ، ولا يُردُّ عليهم السَّلامُ ، وقالَ في شرحِ المهذبِ : ( إنَّ في السَّلامِ على المبتدعِ والفاسقِ المجاهرِ بفسقه ، ومن إرتكبَ ذنباً عظيماً ، ولَمْ يتبْ منهُ وجهانِ حكاهما الرَّافعي أحدهما يُستَحبُّ ، لأنَّهُ مسلمٌ ، وأصحها لا يُستَحبُّ ، بل يُستَحبُّ أنْ لا يُسلَّمَ عليهِ ، وهذا مذهبُ ابن عمران والبُخاري صاحب الصحيح ، واحتجَّ البخاري في صحيحهِ بحديثِ

---

(١) الحديث في موطأ مالك ٢/٩٠٧ ، مسند الامام ابن حنبل ١/١٧٦ ، ١٨٣ ، صحيح مسلم ٨/٩ ، ٢٥ ، ٢٦ ، صحيح الترمذي ٨/١٨٠ ٠

(٢) ينظر شرح المهذب للنووي ٤/٤٦٨ ٠

كعب بن مالك[1] ، أي المتقدم في قصة تخلفه ، ثم قال البخاري وقال عبد الله بن عمر : ( لا تسلموا على شربة الخمر )[2] ، قال البخاري وغيره : ولا يرد السلام على هؤلاء ، ودليله حديث كعب فان اضطر الى السلام على الظلمة ، بأن دخل عليهم وخاف ترتب مفسدة في دين ، أو دنيا إن لم يسلم عليهم سلم عليهم . قال ابن العربي : ( وينوي حينئذ أن السلام من أسماء الله تعالى ، ومعناه : الله رقيب عليك )[3] . انتهى كلام شرح المهذب .

وفي باب ترك السلام على أهل الأهواء من مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري ، عن عمار بن ياسر قال : ( قدمت على أهلي وقد تشققت يداي فخلقوني بزعفران ، فغدوت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فسلمت عليه فلم يرد علي ، وقال : إذهب فاغسل عنك هذا )[4] . وقال المهلب : ترك السلام على أهل المعاصي سنة ماضية ، وبه قال كثير من أهل العلم [ ٥٠و ] في أهل البدع[5] .

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ٧٠ .
(٢) صحيح البخاري ٨/ ٧٠ .
(٣) شرح المهذب ٤/ ٤٦٨ .
(٤) سنن أبي داود ٢/ ٣٩٨ ، وتكملة الحديث : ( فذهبت فغسلته ، ثم جئت فسلمت عليه فرد علي فرحب بي ، وقال : إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بخير ، ولا المتضمخ بالزعفران ولا الجنب ) .
(٥) ينظر شرح المهذب ٤/ ٤٦٨ .

قلتُ : وهو محمولٌ على المتجاهرِ ببدعته كما قيَّدَ به الفاسق في شرحِ المهذبِ كما أوضحناهُ في كتابِ طبٍّ الكلامِ بفوائدِ السَّلامِ ، وألحقَ بعضَ الحنفيةِ بذلكَ من تعاطى حوارمَ المروةِ ، قالَ بنُ دقيق[1] العيد : ويكونُ ذلكَ على سبيلِ التأديبِ لهم ، والتبري منهم ، أي لا لقصد مجرَّد الايذاءِ ، ولذا قالَ العلماءُ : إنَّهُ يجوزُ أنْ نقولَ للفاسقِ : أنْتَ فاسقٌ ، أو مفسدٌ ، إذا كانَ يفسدُ بينَ النَّاسِ ، وكذا يقولهُ لغيره في حضوره ، أو غيبته ، بشرط قصد النصيحة لَهُ ولغيرهِ ببيانِ حاله ، أو قصد الزَّجرِ والرَّدعِ عن صنيعهِ ، ولا يقصدُ الوقيعةَ والتعبيرَ ، ويُشترطُ هذا أيضاً في جميعِ المواضعِ التي تُباحُ فيها الغيبةُ ، بأنْ يتعيَّنَ طريقاً الى الوصولِ لغرضٍ صحيحٍ شرعيٍّ على ما بُسِطَ في محلهِ .

وعن معاوية بن حيدة قالَ : ( خطبهم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ فقالَ : حتَّى متى ترعونَ عن ذكرِ الفاجرِ ؟ هتكوهُ حتَّى يُحذرَهُ

---

(١) هو ابو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع ، تقي الدين القشيري المعروف بابن دقيق العيد ، ولد في مصر سنة (٦٢٥هـ) ، اكمل تعليمه في الاسكندرية ودمشق والقاهرة ، واصبح من كبار العلماء ، ولي القضاء في الديار المصرية واستمر الى أن تُوفيَ في مصر سنة (٧٠٢هـ) . ترجمته في الدرر الكامنة ٩١/٤ ، مفتاح السعادة ٢١٩/٢، الطالع السعيد ص٣١٧ ، شذرات الذهب ٥/٦ ، الاعلام ٨٧٣/٧ .

النَّاسُ )[1] ، رواهُ الطَّبراني فـي الثلاثـةِ وإسـنادُ الأوسطِ والصَّغيرِ حسنٌ رجالُهُ موثوقونَ • وقـدْ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلـهِ وسَلَّمَ لأبي ذرٍّ الغفاري رَضِيَ اللهُ عنهُ ، في قصَّتهِ المشهورةِ في الصَّحيحِ : ( إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليةٌ )[2] • وقد بوَّبَ البُخاري لما يجوزُ من إغتيابِ أهلِ الفساد ، وأوردَ فيهِ حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عنهـا : ( انَّ رجـلاً إستأذنَ علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ فلمَّا رآهُ قالَ : بِئسَ أَخُو الْعَشَـيرةِ ، وبئسَ ابنُ العشيرة • فلمَّا جلسَ تطلَّقَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ في وجههِ وانبسطَ • فلمَّا إنطلقَ الرجلُ قالتْ [ ٥٠ظ ] لَهُ عائشة : يـا رسولَ الله ، حينَ رأيتَ الرجلَ قلتَ لَهُ : كـذا وكذا ، ثُمَّ تطلَّقتَ فـي وجهه وانبسطتَ إليه ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم : يا عائشةُ متَى عهدتيني فحَّاشاً ؟ انَّ شرَّ النَّاسِ عندَ اللهِ منزلةً يـومَ القيـامةِ مـن تركهُ النَّاسُ إتقـاءَ

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ١/٢١٥ ، وفيه الحديث عن معمر بن بهز ابن حكيم عن ابيه عن جده •

(٢) الحديث في صحيح البخاري ١/١٤ ، ولفظهُ عن المعرور بن سويد قال : ( لقيت ابا ذرٍ بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك ، فقال : اني ساببتُ رجلاً فعيرته بأمه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابا ذر عيرته بأمه إنّك امرؤٌ فيك جاهلية) •

شَــرِّهِ )[1] ، فتبيَّنَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليــهِ وآلــهِ وسَلَّمَ أوَّلاً أمــرَ هــذا الرَّجُلِ ، وتعريفَ النَّاسِ بحاله مــن بابِ النَّصيحة ، والشَّفقة علَى الأمــةِ ، لئلا يغترُّوا بِما سيقعُ لهُ من البشاشةِ ، فيحسنونَ قبيحَ حاله ، وقد جُبِلَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ على الكرمِ وحسنِ الخلُقِ يَجْبَهُهُ بالمكروهِ ، وتألفهُ بما أبداهُ من طلاقةِ وجهــه ، لتقتدي بهِ الأمةُ في إتقاءِ شرٍّ من هذا سبيلهُ ، وفي مداراته للسلامةِ من شرِّهِ وغائلته ، وفي تأليفــه إنْ كانَ مــن أهله مــعَ تبيِّنِ حالهِ ، فكُلٌّ من إطَّلعَ من حالِ شخصٍ علَى شــيءٍ ، وخشَى أنَّ غيرَهُ يغتــرُّ بجميلِ ظاهــره ، فعليه أنْ يطلعَ ذلــكَ الغيرَ على مــا يُحذَرُ مــن ذلــكَ قاصداً نصيحتهُ •

وقالَ القرطبيُّ[2] في هــذا الحديثِ : جوازُ غيبةِ المُعلِن بالفسقِ والفحشِ ونحــو ذلــكَ مَــعَ جــوازِ مداراتــهم إتقاءَ شرِّهم ما لَم يُؤَدِ ذلكَ الى المداهنةِ في دينِ اللهِ تعالى ، إنتهى • وقالَ غيرُهُ : مــا وقعَ منــهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ في حقِّ ذلــكَ الرَّجُلِ مخضُ النَّصيحةِ ، ليَحذرَهُ السَّــامِعُ ، وإنَّمــا لــم

---

(1) الحديث في صحيح البخاري ٨/١٥ ، وفي صحيح الترمذي ٨/١٦٢ ، موطأ مالك ٢/٩٠٣ ، صحيح مسلم ٨/٢١ ، سنن ابي داود ٢/٥٥١، مســند ابن حنبل ٦/٣٨ ، ٨٠ ، ١٥٨ ، ١٧٣ • في كتب الحــديث جميعها اختلاف في اللفظ ما عدا صحيح البخاري فانه موافق لرواية المصنف •

(2) سبقت ترجمته •

يواجهه صلى الله عليه وآله وسلم القول فيه بذلك لحسن خلقه ، ولو واجهه في ذلك كان حسناً ، لكن حصل القصد بدون مواجهة ، والمداراة مندوب إليها بخلاف المداهنة فإنها محرمة ، وليست المداراة مطلوبة في كل مقام ، وكل حال ، بل حيث يكون لجلب نفع [ ٥١و ] ودفع ضرر ، فربما كان المستعمل لما بطن مداراة في غير موضعها مداهناً حيث لم يظهر منه ما يدل على عدم الرضا بذلك[1] الحال ، ولذا قال ابن بطال[2] : ظن بعضهم أن المدارة هي المداهنة ، فغلط ، لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة ، والفرق إن المداهنة من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء : بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ، والمداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الاغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو عليه بلطف القول والفعل ، أي : في المحل الصالح له اللطف ، سيما إذا دعت الحاجة الى تأليفه ، أو كان لا ينجح فيه إلا مثل ذلك ونحوه ، قال ابن بطال : والرجل المذكور في حديث عائشة هو عيينة[3] بن حصين الفزاري ، وكان يقال له ( الأحمق

---

(1) لو قال ( بتلك الحال ) لكان اصح لأن الحال مؤنثة .

(2) سبقت ترجمته .

(3) هو عيينة بن حصن بن حذيفة الغزاري . ينظر المحبر ص٢٤٩ ، ٣٨٠ .

المطاعُ )[1] ، ورجا النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم باقباله عليه تألفَهُ ليسلمَ قومهُ ، لأنَّهُ كانَ رئيسَهُم ، وكذا فسَّرَهُ ابنُ عياض ، ثم القرطبي والنَّووي جازمين[2] بذلكَ ، ونقلهُ ابنُ البين عن الداودي إحتمالاً لا جرماً .

قالَ الحافظُ ابن حجر : وقد أخرجهُ عبدالغني[3] بن سعيد في المبهمات من طريقِ عبدالحكم عن مالك انَّهُ بلغهُ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنها أنَّها قالَتْ : ( إستأذنَ عيينةُ بن حصينٍ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ فقالَ : بئسَ ابنُ العشيرةِ الحديث ) ، وأخرجهُ ابنُ بشكوال[4] في المُبهَمات مِنْ طَريقِ الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنَّ عيينةَ إستأذنَ ، فذكرهُ مرسلاً ، وأخرج عبدالغني أيضاً من طريقِ أبي عامر الخزاعي عن أبي يزيد المدني عن عائشة قالَتْ :

---

(1) المحبر ص٣٨٠ .

(2) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٤٤ .

(3) هو ابو محمد عبدالغني بن سعيد الازدي ، شيخ حفاظ الحديث في مصر في عصره ، ولد في القاهرة سنة (٣٣٢هـ) ، كان عالما بالانساب، توفي في القاهرة سنة (٤٠٩هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٣٠٥ ، الاعلام ٤/١٥٩ .

(4) هو ابو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الانصاري الاندلسي ، ولد في قرطبة سنة (٤٩٤هـ) درس فيها واصبح مؤرخاً وقاضياً حيث ولي القضاء في بعض جهات اشبيلية ، توفي في قرطبة سنة (٥٧٨هـ) .
ترجمته في الديباج المذهب ص١١٤ ، وفيات الاعيان ١/١٧٢ ، الاعلام ٢/٣٥٩ .

( جاءَ مخرمةُ بن نوفل يستأذنُ ، فلمَّا سمعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ [ ٥١ظ ] عليهِ وآلهِ وسلَّمَ صونهُ قال : بئسَ أخو العشيرة الحديث ) .

قالَ الحافظُ ابنُ حجر عقبهُ : فيُحمَلُ ذلكَ علَى التعددِ ، وقد حكَى المنذري[1] في مختصرهِ القولينِ ، فقالَ : هو عيينةُ وقيلَ مخرمةُ ، وقالَ عياضُ[2] : ( جرياً على كونهِ عيينة ، ولم يكن عيينة واللهُ أعلمُ أسلمَ حينئذٍ ، أوَ كانَ أسلمَ ولم يكن إسلامهُ ناصحاً ، وقد كانتْ منهُ في حياةِ النَّبيِّ صلَّى للهُ عليه وآله وسلَّمَ وبعدَهُ أمورٌ تدلُّ على ضعفِ إيمانه ، فيكونُ هذا الوصفُ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ منْ علاماتِ النبُّوةِ ، وإلانهُ القولِ بعدَ أنْ دخلَ على سبيلِ التألفِ لَهُ )[3] إنتهى .

---

(١) هو ابو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبدالله المنذري ، عالم بالحديث والعربية ، وكان حافظاً ومؤرخاً ، من كتبه مختصر صحيح مسلم ، ومختصر سنن أبي داود ، توفي في مصر سنة (٦٥٦هـ) . البداية والنهاية ٢١٢/١٣ ، فوات الوفيات ٢٩٦/١ ، الاعلام ١٥٥/٤ .

(٢) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، ولد في سبتة سنة (٤٧٦هـ) ، كان محدثاً واماماً وعالماً بكلام العرب وانسابهم ، ولي القضاء في سبتة ثم في غرناطة ، وتوفي في مراكش سنة (٥٤٤هـ) .
ترجمته في وفيات الاعيان ٣٩٢/١ ، مفتاح السعادة ١٩/٢ ، الاعلام ٢٨٢/٥ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤٤/١٦ .

وقد جاء في روايـةِ عبدالحارث بـن اسامة ، فقـالَ صلـَّى اللّهُ عليهِ وآلهِ وسَلـَّمَ : إنـَّهُ منافقٌ أُداريه عن نفاقهِ ، وأخشى أنْ يُفْسِدَ عليَّ غيرَهُ . وقدْ كانَ عُيينةُ إرتـدَّ في زمنِ أبي بكـرٍ رَضِـيَ اللّهُ عنـهُ ، وحاربَ ثم رجعَ وأسلمَ[1] وحضرَ بعضَ[2] الفتوحَ في زمنِ عمر رَضِـيَ اللّهُ عنهُ ، ولهُ معَ عمر قصـَّةَ فيها ما يدلُّ على جفائهِ ، وحديثُ ( إنـَّهُ أحمقُ مُطـاع )[3] أخرجهُ سعيد بن منصور منقطعاً ، ووصلهُ الطبراني من حديث جرير .

وقالَ القرطبي ـ عقيب قولهِ فيما سبقَ ما لم يؤدِّ ذلكَ الى المداهنةِ في دينِ اللّهِ ـ والفَرقُ بينَ المداراةِ والمداهنةِ إنَّ المداراةَ بذلُ الدُّنيـا لصـلاحِ الدُّنيـا والدِّين ، أو هما معاً ، وهي مباحةٌ ورُبـَّما استُحِبـَّتْ ، والمداهنةُ : تركُ الدِّين لصلاحِ الدُّنيا ، والنـَّبيُّ صلـَّى اللّهُ عليهِ وآلـهِ وسَلـَّمَ بذلَ لـهُ من دُنيـاهُ حسنَ عشـرته[4] ، والرفقَ في مكالمته ومَـعَ ذلـكَ فلَمْ يمدحْهُ بقولٍ ، فلمْ يناقضْ قولَهُ فيهِ فعلَهُ ، فإنَّ قولَهُ فيه قولُ حَـقٍّ ، وفعلَهُ معـهُ حسنُ عشرةٍ ، إنتهى . وقولهُ صلـَّى اللّهُ عليهِ وآلهِ وسَلـَّمَ : ( إتقاءَ شرِّهِ ) أي قبيح كلامهِ ، أوْ فعالهِ ، لأنـَّهُ [ ٥٢و ] كانَ

---

(١) كذا في الاصل ، و (م) ، وفي (ب) : ( فأسلم ) .

(٢) كذا في (م) ، (ب) ، وفي الاصل : ( بعد ) ، وهو تحريف .

(٣) المعجم الكبير للطبراني ٢/٣٤٥ ، وفيه : ( هذا احمق متبع ) .

(٤) في الاصل : ( عشيرته ) ، وهو تحريف .

من جفاةِ الأعرابِ الّذينَ ينفعُ في إتقاءِ ذلكَ منهم مثلُ ذلكَ ، فيوخذُ منهُ انَّ من لا تنجعُ[1] فيهِ المداراةُ لا تُستَعمَلُ معَهُ ، لأنّها لا تقي شَرَّهُ ، سيما إذا فُهِمَ من حالهِ أنّها تزيدُهُ إغراءً وطمعاً كما هوَ مستقرٌّ من أحوالِ بعضِ ذوي اللؤمِ ، فما كُلُّ جانٍ يُعذَرُ ولا كُلُّ ذنبٍ يُغفَرُ ، وللهِ درُّ أبي الطّيبِ[2] حيثُ يقولُ[3] :

إذا أنتَ أكرَمتَ الكَريمَ مَلَكتَهُ
وإنْ أنتَ أكرَمتَ اللّئيمَ تَمَرّدا

وَوضعُ النّدَى في مَوضِعِ السَّيفِ بِالعُلَى
مُضرٌّ كَوَضعِ السَّيفِ في مَوضِعِ النّدا

واللاّئقُ بالعلماءِ وغيرِهم من أهلِ البيتِ الكرامِ في مثلِ هذا النّوعِ منَ النّاسِ الاعراضُ عنهم وتجنّبُهم . قالَ اللهُ تعالى : ( ثُمَّ ذَرْهُمْ في

---

(1) في (ب) : ( تنفع ) ، وما اثبتناه احسن .

(2) هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبدالصمد الجعفي الكوفي الكندي الشاعر المشهور ، ولد في الكوفة سنة (٣٠٣هـ) ، وتنقل بالبادية لمعرفة اللغة والادب وسافر الى الشام وفلسطين ومصر ، وقتل في العراق سنة (٣٥٤هـ) . ترجمته في ابن خلكان ٣٦/١ ، لسان الميزان ١٥٩/١ ، تاريخ بغداد ١٠٢/٤ .

(3) البيتان في شرح ديوان المتنبي ص٥٣٣ .

خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ )[1] ، وقد جرَّبْتُ هذا النَّوع مِنَ النَّاسِ ، حيثُ لم أحترسْ منهم بكمالِ التَّوقِّي والاِجتنابِ تكرَّرَ لي الأذَى منهم ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ )[2] ، رواهُ البخاري ومسلم . قالَ النَّووي في شرحِ مسلم في هذا الحديث : ( إنَّهُ ينبغي لِمَن نالهُ الضَّررُ من جهةٍ أنْ يجتنبَها لئلا يقعَ فيها ثانيةً )[3] ، إنتهى .

وقالَ أبو عبيدة[4] : معناهُ لا ينبغي للمؤمنِ إذا نُكِبَ من وجهةٍ أنْ يعودَ إليهِ ، وهذا ما فهمهُ أكثرُ العلماءِ من الحديثِ ، ومنهم الزُّهري ، قيلَ والمرادُ بالمؤمنِ في هذا الحديث : الكاملُ الذي قدْ وقَّفتهُ[5] معرفتهُ على غوامضِ الأمورِ حتَّى صارَ حازماً يحذرُ مِمَّا سيقعُ فلا يُؤتَى من ناحيةِ الغفلةِ ، وأمَّا المؤمنُ المغفلُ فقد يُلْدَغُ مراراً .

---

(١) سورة الانعام الآية : ٩١ .

(٢) الحديث في صحيح مسلم ٢٢٧/٨ ، مسند ابن حنبل ١١٥/٢ ، سنن أبي داود ٥٦٥/٢ ، سنن ابن ماجة ١٣١٨/٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٥/١٨ .

(٤) هو ابو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري النحوي ، ولد في البصرة سنة (١١٠هـ) ، وتوفي فيها سنة (٢٠٩هـ) .
ترجمته في تاريخ بغداد ٢٥٢/١٣ ، مفتاح السعادة ٩٣/١ ، الاعلام ١٩١/٨ .

(٥) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : (أوقفته) .

قالَ ابن بطّال : فيه أدبٌ شريفٌ أدَّبَ بهِ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ أُمَّتَهُ ونبَّههُم كيفَ يحذرونَ [ ٥٢ظ ] ممَّا يخافونَ سوءَ عاقبتهِ ، وفي معناهُ حديثُ : ( المؤمنُ كيِّسٌ حَذِرٌ )[1] ، أخرجهُ صاحبُ مسند الفردوس .

وقولهُ : ( لا يُلْدَغُ المؤمنُ الحديثُ ) ممَّا لَمْ يُسبَقْ إليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وأوَّلُ ما قالَهُ لأبي غرة الجمحي[2] ، وكانَ شاعراً[3] فأُسرَ ببدرٍ فشكَى للنَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ عائلةً وفقراً ، فمنَّ صلى الله عليهِ وآلهِ وسلَّمَ وأطلقهُ بغيرِ فداءٍ ، وأخذَ عليهِ أنْ لا يُظاهرَ عليهِ أحداً ، ولا يهجوهُ ، فلمَّا كانَ عندَ مسيرِ كفَّارِ قريشٍ لغزوةِ أُحُد قالَ لهُ صفوانُ[4] بنُ أُميةَ : إنَّكَ إمْرؤٌ شاعرٌ ، فأعنَّا بلسانكَ ولم يزلْ بهِ حتَّى خرجَ معهم ، فلمَّا أخذهُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ حينَ خرجَ لحمراءِ الأسد مرهباً لعدوِّهِ مرجعَهُ مِنْ أُحُد ، قالَ : يا رسولَ اللهِ أقلني ، وذكرَ فقرَهُ

---

(١) المغير على الاحاديث الموضوعة في الجامع الصغير ص٩٨ ، عن أنس .

(٢) في (ب) : ( أبي عروة ) ، وهو خطأ .

(٣) جمهرة الامثال للعسكري ٢/٣٨٧ ، ذُكرت القصة والحديث عن أبي هريرة ، وذكرها النووي بشكل موجز في شرح صحيح مسلم ٨/١٢٥ .

(٤) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحي القرشـي المكي ، كان مع المشركين في غزوة بدر ، واسلم وكان مـن المؤلفة قلوبهم ، وشهد اليرموك ، ومات بمكة سنة (٤١هـ) ، ترجمته في المحبر ص١٤٠ ، تهذيب التهذيب ٤/٤٢٤ ، الاعلام ٣/٢٩٦ .

وعيالَه . فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( لا يُلْدَغُ المؤْمنُ مِن جحرٍ مرتينِ ) اضربْ عنقَه يا عاصمُ بن ثابت ، فضربَ عنقَه . وفي روايةٍ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( لا تمسحْ عارضيكَ بمكةَ تقولُ : خدعتُ محمداً مرتينِ )[1] اضربْ عنقَه يا زبيرُ ، فضربَ عنقَه . فيؤخذُ منه تقوية ما سبقَ عن الأكثرِ في معنَى الحديث إلاَّ ما قالَ بعضهم : من أنَّ معناه أنَّ المؤْمنَ لا يُعاقَبُ علَى ذنبٍ في الدُّنيا ، ثم يُعاقَبُ عليه في الآخرةِ ، ويُؤخذُ منه أيضاً أنَّ الغادرَ لا ينبغي أنْ يُستعملَ معَه الحلمُ ، بل يُنتقمُ منه ، فالحلمُ ليسَ محموداً مطلقاً ، وفيهِ تحذيرٌ من التغفُّلِ ، وإشارةٌ الى إستعمالِ الفطنةِ ، ولذا جاءَ في حديثٍ : ( إحترسُوا من النَّاسِ بسوءِ الظنِّ )[2] ، أخرجَه الطَّبراني في الأوسط ، وأخرجهما في فوائده بسند فيه ضعيف [ ٥٣و ] أيضاً ، قد صحَّ من قولِ مطرف التَّابعي الكبير . ولعلَّ المرادَ منه أنْ يحترسَ من النَّاسِ إحتراسَ مَن أساءَ الظنَّ بهم ليسلمَ منهم ، وقد أخرجَ تمامُ[3] في فوائده أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً : ( مَنْ حَسُنَ ظَنُّه بالنَّاسِ

---

(١) جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ٢/٣٨٨ .

(٢) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٣/١ ، وفيه عن مطرف .

(٣) هو ابو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر البجلي الرازي ، من حفاظ الحديث ، كان محدث دمشق في عصره ، له كتاب الفوائد ، يتكون من ثلاثين جزءاً في الحديث ، توفي سنة (٤١٤هـ) . ترجمته في شذرات النهب ٣/٢٠٠ ، كشف الظنون ١٢٩٦ .

كَثُرَتْ نَدامَتُهُ ) . ولأبي الشيخ والدَّيْلَمي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ مِن قولِه : ( الحزمُ سوءُ الظَّنِّ )[1] . ونظمَ بعضُهم هذا فقالَ[2] :

لا يَكُنْ ظَنُّكَ إلاَّ سَيِّئاً
إنَّ سوءَ الظَّنِّ مِنْ أَقوَى الفِطَنْ
مَا رَمَى الأَنفُسَ فِي مَكْرُوهِهِ
أَسَفاً أَقوَى مِنَ الظَّنِّ الحسَنْ

وكلهُ محمولٌ على ما أشرنا إليهِ ، مَعَ أنَّ إساءَةَ الظَّنِّ بأهلِ الشَّرِّ والفجورِ جائزةٌ . فقد قالَ الكمالُ الدميري في شرحِ المنهاجِ : الظَّنُّ في الشَّرعِ ينقسمُ الى : واجبٍ ، ومندوبٍ ، وحرامٍ ، ومباحٍ . فالواجبُ : حسنُ الظَّنِّ باللهِ عزَّ وجلَّ ، والحرامُ : سوءُ الظَّنِّ بهِ سبحانهُ ، قالَ تعالى : ( وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ )[3] ، وبكلٍّ من ظاهرِه العدالةُ من المسلمينَ ، وعلى هذا يُحمَلُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( إيَّاكُمْ والظَّنَّ فأنَّ الظَّنَّ

---

(١) الحديث في عقود الجمان في عدم صحبة ابناء الزمان ورقة ٢ظ .

(٢) البيتان في كتاب الف ليلة وليلة ٣١٣/١ ، عقود الجمان في عدم صحبة ابناء الزمان ٢ظ .

(٣) سورة فصلت الآية : ٢٣ .

أَكْذَبُ الحَدِيثِ )[1] ، أي الظَّنَّ بالمسلمِ مِن غيرِ سببٍ ، والمندوبُ حسنُ الظَّنِّ بِمَنْ ظاهرهُ العدالةُ من المسلمينَ ، والجائزُ كقولِ الصدِّيقِ لعائشة رضي اللهُ عنهما : إنَّما هو أَخواكِ وأُختاكِ ، فاستجازَ الظنَّ لمَّا وقعَ في قلبهِ انَّ ما في بطنِ[2] إمرأته أُنثى ، ومن هـذا القسمِ الظَّنُّ بمن إشتهرَ بينَ النَّاسِ بمخالطةِ الرِّيبِ والمجاهرِ بالخبائثِ ، فلا يُحرَمُ ظَنُّ السوءِ[3] بهِ ، لأنَّهُ قد دلَّ على نفسهِ ، فمن سترَ على نفسهِ لَمْ يُظَنَّ بِهِ إلاَّ خيراً ، ومَنْ دخلَ مداخلَ السوءِ إتُّهِمَ ، ومن هتكَ نفسهُ [ ٥٣ظ ] ظَنَنَّا بهِ السُّوءِ إنتهى .

وروى التَّرمذي بأثرِ حديثِ : ( إيَّاكُمْ والظَّنَّ فانَّ الظَّنَّ أكذَبُ الحديثِ )[4] . عن سفيان أنَّهُ قالَ : ( الظَّنُّ ظَنَّان : فَظَنٌّ إثْمٌ ، وظَنٌّ لَيْسَ بإثْمٍ ، فأمَّا الظَّنُّ الَّذي هُوَ إثْمٌ ، فالَّذي يَظُنُّ ظَنَّاً ويَتَكَلَّمُ بهِ ، وأمَّا الظَّنُّ الذي لَيْسَ بإثْمٍ ، فالَّذي يَظُنُّ ولا يَتَكَلَّمُ بِهِ )[5] إنتهى .

---

(١) الحديث ورد في موطأ مالك ٩٠٨/٢ ، صحيح الترمذي ١٥٦/٨ ، سنن ابي داود ٥٧٧/٢ ، صحيح مسلم بشرح النووي ١٢٠/١٦ .

(٢) كذا في (ب) ، وفي الاصل ، (م) : ( ان ذا يظن ) ، وليس له معنى .

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : ( سوء الظن ) .

(٤) صحيح الترمذي ١٥٦/٨ .

(٥) صحيح الترمذي ١٥٦/٨ .

قُلْتُ : وليُحمَلُ ما ذكرَهُ في الظَّنِّ الجائزِ على ما إذا تعاطَى المَظْنُونَ بِهِ ما يقتضِي إساءةَ الظَّنِّ بِهِ . ولهذا قالَ القرطبي في الحديثِ المذكورِ : الظَّنُّ هُنَا هو[1] التُّهْمَةُ ، ومحملُ التَّحذيرِ والنَّهي إنَّما هو تُهمةٌ لا سببَ لَها يوجبُها ، كمن يُتَّهمُ بالفاحشةِ ولَم يظهرْ عليه ما يقتضِي ذلكَ ، إنتهى . وصوَّبَ النَّووي قولَ الخطَّابي[2] انَّ المرادَ : ( وإيَّاكُمْ وسوءَ الظَّنِّ ) ، وتحقيقهُ دونَ مبادىء الظُّنُونِ الَّتي لا تُملَكُ ، قالَ : ( فالمحرَّمُ مِنَ الظَّنِّ ما يُصِرُّ صاحبُهُ عليه ، ويستمرُّ في قلبِهِ دونَ ما يعرضُ في القلبِ ولا يَستقِرُّ )[3] ، إنتهى .

وقولهُ : ( ما يصرُّ صاحبهُ عليهِ )[4] ، يعني مِنَ الظَّنِّ الذي ما يستندُ الى ما يقتضِي جوازهُ ، فأمَّا من ظهرَ خبثهُ وسوءُ طويته ، فا نَّا نظنُّ بِهِ ما هو أهلُهُ ، فيُحذَرُ منهُ بكمالِ الحذرِ ، وبالجملةِ فهذا زمانُ العزلةِ والبُعْدِ عَنِ النَّاسِ لفسادِ حالِهِم وعظيمِ مفسدةِ الخلطةِ بهم . وقد روَى بعضُهم عَنْ أبي ذَرٍّ الغفاري رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : ( كانَ

---

(١) ( هو ) : ساقطة من (ب) .

(٢) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي ، من نسل زيد بن الخطاب ، محدث أهل بست وفقيههم ، ولد سنة ٣١٩ ، وتوفي سنة (٣٨٨هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١٦٦/١ ، انباه الرواة ١٢٥/١ ، الاعلام ٣٠٤/٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١١٩/١٦ .

(٤) أي قول الخطابي .

النَّاسُ ورقــاً لا شوكَ فيهِ ، فصارُوا اليــومَ شوكاً لا ورقَ فيهِ )[1] .

قُلْتُ : فهــذا زمــانُ أبي ذرٍّ ، فما ذاكَ بزمانِنا وبأشرارهِ ، وقد روَى سبط[2] بن الجوزي فــي فَضلِ أهلِ البيتِ النَّبويِّ بسندهِ الى سفيان الثَّوري قالَ : قلتُ لجعفر [ ٥٤و ] ــ يعني الصَّادقَ بن محمد الباقر ــ : يــا بــنَ رسولِ الله ، إعتزلتَ النَّاسَ ؟ فقالَ : ( يــا سفيانُ ، فَسَدَ الزَّمــانُ وتغيَّرَ الاخوانَ ، فرأيتُ الانفرادَ أسكنَ للفؤادِ ، ثم قالَ :

ذَهَبَ الوفاءُ ذهابَ أَمسِ الذَّاهبِ
فالنَّاسُ بَيْنَ مُخــاتِلٍ ومُوَارِبِ
يَفْشُونَ بَيْنَهُمُ المُوَدَّةِ والصَّفا
وقلُوبهُمْ مَحْشُوَّةٍ بِعَقَارِبِ )[3]

---

(١) الكلام لأبي الدرداء كما ذكر ذلك الزمخشري في ربيع الابرار ٢/١٨٥ .

(٢) هو سبط شمس الدين ، ابو المظفر يوسف بن قز أو غلو حفيــد عبدالرحمن بن علي الجوزي من جهة أمه ، كان أبوه مملوكاً تركياً للوزير ابن هبيرة ، ولد في بغــداد سنة (٥٨٢هـ) ، وتعلم فيهــا ، وأصبح كاتباً ومدرساً درّس في دمشق ، توفي ســنة (٦٤٤هـ) ، انظر دائرة المعارف الاسلامية ١/١٢٦ .

(٣) الكلام والبيتان ذكرهما ابن الجوزي بنفس السند في كتابه تذكرة خواص الأمة في معرفة الأئمة ص١٩٥ ، والبيتان منسوبان للامام على في ديوانه ص٩ .

وقالَ أبو بكرٍ بن المرزيانِ[1] في كتابةِ ( فضلُ الكلابِ على كثيرٍ ممَّنْ لبسَ الثيابَ ) : أخبرنا أبو العباسَ المبرِّد[2] قالَ : حدَّثني بعضُ مشايخنا قالَ : كُنْتُ عندَ بشرٍ[3] بن الحارث يوماً ، فرأيتُهُ مغموماً يتكلَّمُ حتَّى غربتِ الشمسُ ثم قرعَ رأسَهُ وقالَ[4]:

ذَهَبَ الرِّجَالُ المقتدَى بفعالِهِمْ
والمُنْكِرُونَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُنْكَرِ

وَبَقَيْتُ في خَلَفٍ يزينُ بعضُهُم
بَعْضاً لِيَدْفَعَ معورٌ عَنْ معورِ

---

(١) هو ابو الحسن علي بن احمد بن المرزبان البغدادي ، كان فقيهاً من جلة علماء الشافعية درّس في بغداد ، وتوفي سنة (٣٦٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١١/٣٢٥ ، شذرات الذهب ٣/٥٦ ، كشف الظنون ص١٢٧٩ .

(٢) هو ابو العباس محمد بن يزيد بن عبدالاكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد ، ولد في البصرة سنة (١٢٠هـ) ، وكان اماماً بالعربية، وأحد رجال الأدب والأخبار في زمانه ، توفي في بغداد سنة (٢٨٦هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٤٩٥ ، تاريخ بغداد ٣/٣٨٠ ، لسان الميزان ٥/٣٠ .

(٣) هو بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المعروف بالحافي ، مرت ترجمته.

(٤) البيتان لأبي الاسود الدؤلي في ديوانه ص٣٨ ، ووردا في حلية الاولياء ٨/٣٤٤ ، معجم الادباء ٢/٣٨ ، الكشكول لبهاء الدين العاملي ١/١٩٤ .

قالَ ابن المرزبان : وأنشدني زيد بن علي[1] :

إحْـذَرْ مُـوَدَّةَ مَـاذِقٍ
خلَـطَ المَـرارَةَ بِالْحَـلاوَهْ

يَحْصِـي الْذُّنُـوبَ عَلَيْـكَ
أَيَّـامَ الصَّـدَاقَةِ لِلْعَدَاوَهْ

قُلْتُ : وقريبٌ منهُ قولُ بعضِهم في صديقِه[2] :

وَصَـاحِبٍ خِلْتُـهُ خَلِيـلاً
وَمَـا جَـرَى غَـدْرُهُ بِبَالِي

لـم يَحْصَ إلاَّ القَبِيـحَ منِّـي
كَأَنَّـهُ كَاتِـبُ الشِّـمالِ

وهو عكسُ صديقِ محيي الدِّين بن سراقة[3] الذي يقولُ فيهِ[4] :

وَصَـاحِبٍ كالـزّلالِ اقـرا
صَفَاوةَ الشَّـكِ باليَقِـينْ

---

(1) البيتان في عيون الاخبار ١٠٧/٣ ، لم يذكر اسم الشاعر ، وفيه ( مكان ) خلطَ ، ( شابَ ) .

(2) البيتان لمحمد بن سراقة الشاطبي . كما ذكر صاحب كتاب نفح الطيب ٣٥٣/١ .

(3) هو محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم ابو بكر محيي الدين الانصاري الشاطبي المعروفة بابن سراقة ، كان شيخاً لدار الحديث بالكاملية بالقاهرة ، توفي سنة (٦٦٢هـ) . ترجمته في البداية والنهاية ٢٤٣/١٣ ، النجوم الزاهرة ٢١٦/٧ ، شذرات الذهب ٣١٠/٥ .

(4) البيتان في نفح الطيب ٣٥٣/١ منسوبان لابن سراقة نفسه .

[٥٤ظ] لَمْ يَحْصَ إلاَّ الجميلَ منِّي
كَأَنَّهُ كَاتِبُ اليَمِينْ

قُلْتُ : وأحوالُ أهلِ زمانِنا أعجبُ مِنَ الأوَّلِ ، فليتهم يقتصرونَ على إحصاء ما صدرَ من الانسانِ ، بل يختلِقُونَ غيرَ ما كانَ فيهم ، كما قالَ بعضُهم[1] :

إنْ يَسْمَعُوا الخيرَ يَخْفُوهُ وإنْ سَمِعُوا
شَرّاً أذاعُوا وإنْ لَمْ يَسْمَعُوا كذبُوا

فالمناسبُ الانْقِبَاضُ وجمعُ الخاطرِ عن هؤلاءِ ، وتجنُّبُهم بحسبِ القدرةِ ، ورفعُ الهِمَّةِ عنهُم وعَنْ دُنياهم ليتحرَّزَ من رقِّهِمْ ، فاعزازُ العِلمِ متعيِّنٌ ، وإنَّما يعزُّ أهلُهُ إذا أعزُّوهُ . وقد روَى ابنُ ماجة عن ابن عمر موقوفاً : ( لَوْ أَنَّ أهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمِ )[2] . وروى البيهقي عن ابن مسعود : ( لو أنَّ أهلَ العلمِ صانُوا العلمَ ووضعوهُ عندَ أهلهِ سادُوا به أهلَ أيمانهم ، أوْ قالَ : أهلَ زمانهم ، ولكن بَذَلُوهُ لأهْلِ الدُّنْيَا لِيَنَالُوا مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فَهَانُوا عَلَى أَهْلِهَا ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ يقولُ : مَنْ جَعَلَ الْهَمَّ

(١) البيت ذكر في كتاب المستطرف ٨٦/١ ، ولم يُذكر له قائل .

(٢) ذكر ابن ماجة الحديث عن ابن مسعود ، ولفظه : ( لو أن أهل العلم صانوا العلم ، ووضعوه عند أهله لسادوا به أهل زمانهم ) . سنن ابن ماجة ٩٥/١ .

واحداً همَّ آخرَتِهِ ، كَفَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ ما أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنياهَ ، ومَنْ تَشعَّبتْ بِهِ الهُمُومُ مِنْ أحوالِ الدُّنيا لَمْ يُبالِ اللهُ في أَيِّ أَوديتِها هلكَ )[1] .

ولله درُّ الامام العلامة القاضي أبي الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني حيثُ يَقُولُ فيما أنبأنا به الأخوان القاضي[2] أبو الفضل محمد ، وأُمُّ محمد كمَاليةَ أبناء العلامة نجم الدِّين محمد بن أبي بكر الأنصاري ، وغيرهما عن البرهان بن صديق الدمشقي عن أحمد بن أبي طالب الديرمقرني عن أبي جعفر بن علي الهمداني عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن الامام أبي [ ٥٥و ] القاسم محمود الزَّمخشري ، قالَ : أنشدنا أحمد بن

---

(١) الحديث تكملة للحديث السابق ذكره ابن ماجة في سننه ١/٩٥ ، وفيه اختلاف في اللفظ عما ذكره المصنف ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٩ .

(٢) في معيد النعم ومبيد النقم ص٦٩ قال : ( أنشدنا الحافظ ابو العباس بن المظفر الاشعري بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا الحسن بن علي أبي بكر محمد بن الخلال بقراءتي عليه ، قال : أنشدنا جعفر الهمداني سماعاً ، قال : أنشدنا أبو عبدالله بن عبدالرحمن بن يحيى العثماني الديباجي الامام ، قال : كتب اليَّ العلامة أبو القاسم محمود ابن عمر بن محمد الزمخشري من مكة ، وأجازني حينئذٍ ، وكتب الَّي احمد بن علي الحنبلي وزينب بنت الكمال وفاطمة بنت أبي عمر عن محمد بن عبدالهادي عن الحافظ أبي طاهر السِّلفي عن الزمخشري قال أنشدنا أحمد بن محمد بن اسحاق الخوارزمي ، قال : أنشدنا أبو سعد المحسن بن محمد الجشمي ، قال : أنشد الحاكم أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن قال : أنشدنا القاضي ابو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني لنفسه ) :

محمد بن إسحاق الخوارزمي ، قالَ : أنشدنا أبو سعيد الحسن بن محمد الجُشَمِي قالَ : أنْشَدَنا الحاكمُ أبو الفضل إسماعيل بن محمد بن الحسن ، قالَ : أنشدنا القاضي أبو الحسن علي بن عبدالعزيز الجرجاني لنفسه (١) :

يقولُونَ لِي : فِيكَ انقباضٌ وإنَّما
رأوا رَجُلاً عَنْ مَوْقفِ الذُّلِّ أَحْجَما

أَرَى النَّاسَ مَنْ داناهُم هَانَ عِندَهُم
وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّني
وَلاَ كُلُّ مَنْ لاقيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

وَإنِّي إذَا مَا خَانَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ
أُقَلِّبُ كَفِّي اثرَهُ مُتَنَدِّمَا

وَلَمْ أَقْضِ حقَّ العِلمِ إنْ كانَ كُلَّما
بَدَا طَمَعٌ صيَّرتهُ لِيَ سُلَّمَا

إذَا قِيلَ : هذا مَنْهَلٌ قلتُ : قَدْ أَرَى
وَلكِنَّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

(١) القصيدة ذكرها العلامة السبكي في كتاب معيد النعم ومبيد النقم ص٦٩ ـ ٧٠ .

وَلَمْ أَبْتَذِلْ في خدمةِ الْعِلمِ مُهْجَتي
لأَخْدُمَ مَنْ لاقيْتُ لكِنْ لأُخدَما

أأشقَى بِهِ غَرْسَاً وأَجْنِيهِ ذِلَّةً
إذاً فاتِّبَاعُ الجَّهْلِ قَدْ كانَ أَحْزَمَا

وَلَوْ أَنَّ أهْلَ العِلمِ صَانُوهُ صَانهم
وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لعُظِّمَا

وَلكِنْ أَذَلُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا
مُحَيَّاهُ بِالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

قالَ العلامةُ ابنُ التَّقي السَّبْكِي عقبَ إيرادهِ لهذهِ الأبياتِ في كتابهِ (مُعِيدُ النِّعم ومُبيد النِّقم): لقد صدقَ هذا القائلُ لو عظَّمُوا العلمَ لعظَّمهم، قالَ: وأَنا أَقرأُ قولَهُ (لعَظَّما) بفتحِ العينِ، فانَّ العلمَ إذا عُظِّمَ عَظَّمَ، وهو في نفسه عظيمٌ، ولهذا أقولُ: ولكن أهانُوهُ فهانُوا، ولكنَّ الروايةَ فهانَ ولعُظِّمَا بضمِّ العينِ، والأَحسَنُ ما أشرْتُ إليهِ، قالَ: وقد نحَى شيخُ الاسلامِ [٥٥ظ] تقي الدِّين بن دقيق العيد نحوَ هذهِ الأبياتِ فقالَ[١]:

يقولُونَ لي: هَلاَّ نهضتَ إلي العُلاَ
فَمَا لَذَّ عَيشُ الصَّابرِ المتقنِّعِ

---

(١) ينظر كلام السبكي والقصيدة في معيد النعم ومبيد النقم ص٧٠ .

وَهَــلاَّ شَــدَدْتَ العيسَ حَتَّى تُحلَّها
بِمِصْرَ إلـى ظِـلِّ الجَنـابِ المُرَفَّـعِ

فَفِيها مِـنَ الأعيانِ مَـنْ فيض كَفِّـهِ
إذا شـاءَ رَوَّى سَـيْلُهُ كُـلَّ بلقـعِ

وَفِيهَـا قُضَـاةٌ لَيْسَ يخفَى عَلَيْهِمُ
تعيُّـنُ كـونُ العِـلمِ غـيرَ مُضيَّـعِ

وَفِيهَا شـيوخُ الدِّينِ والفضلِ والأُولى
تَشِـيرُ إليهـم بِالعُـلاَ كُـلُّ إصْبَـعِ

وَفِيهَـا وَفِيهَـا والمُقـامةُ[1] ذِلَّـةٌ
فَقُمْ وأسعَ وأقصدْ بابَ رزقِكَ وقْرَعِ

فَقُلْتُ : نعم أسْعَى إذا شئْتُ أنْ أُرَى
ذَلِـيْلاً مُهَانَاً مُسْتَخِفَّاً بِمَوْضِعِ[2]

وَأَسْعَى إذا مَـا لَـذَّ لي طُولُ موقفِي
عَلَى بـابِ مَحْجُوبِ اللِّقـاءِ مُمَنَّـعِ

وَأَسْعَى إذا كـانَ النِّفَـاقُ طَرِيقَتِي
أَرُوحُ وَأَغْدُو فـي ثِيـابِ التَّصَنُّـعِ

---

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : ( والمهنة ) مكان ( والمقامة ) .
(٢) في معيد النعم ومبيد النقم : ( بموضعي ) مكان ( بموضعِ ) .

وأَسْعَى إذا لَـمْ تَبْـقَ فـيَّ بقيَّـةٌ
أُراعِي بِهـا حَـقَّ التُّقى وَالتَّـوَرُّعِ

فكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ الصُّدورِ مَجَالِسٌ
تَشبُّ لَها[1] نَارُ الغَضَى بينَ أضْلُعِي

وَكَمْ بَيْنَ أَرْبَابِ العُلُومِ وَأَهْلِهَا
إذا بَحَثُوا فـي المُشْكِلاَتِ بِمَجْمَـعِ

مناظـرةٌ تَحْمِـي النُّفُوسَ فَتَنْتَهِـي
وَقَدْ شَرَعُوا فِيهَا إلـى شَرٍّ مَشْرَعِ

مِنَ السَّفَهِ المُزْرِي بِمَنْصَبِ أَهْلِهِ
أو الصمتِ عَنْ حَقٍّ هُنَـاكَ مُضَيَّـعِ

فإِمَّـا تُوَفِّي مَسْلَكَ الدِّينِ والتُّقَى
وَإِمَّـا تَلَقِّـي غُصَّـةَ المُتَجَرِّعِ

قُلْتُ : الحزمُ إجتنابُ مَا يفضِي الى كُـلٍّ مِـنْ هذينِ المسلكينِ ، وإلاَّ فتجرُّعُ الغُصَّـةَ أسْهَلُ المراتبِ من توقي مسلكَ الدِّين والتُّقَى ، لأنَّ مصيبةَ النَّفسِ أسهلُ مِنْ مصيبـةِ الدِّين أعاذنا اللهُ منهمـا بمنّهِ ، وإنَّما أَوجبَ هذا غلبَةُ [ ٥٦و ] الجهلِ والهوَى

---

(١) في معيد النعم ومبيد النقم : ( بها ) مكان ( لها ) .

على أهلِ المناصِبِ ، ومن شعرِ شيخِ الاسلامِ تقي الدّين بن دقيق العيد أيضاً(١) :

أَهْلُ المَناصِبِ في الدُّنْيَا ورفعتِها
أَهْلُ الفضائِلِ مَرْذُولُونَ عِنْدَهُمُ
فَلَيْتَنَا لَوْ قدرنا أَنْ نعرِّفَهُمُ
مقدارَهُمْ عِنْدَنا أَوْ لَوْ دَرَوهُ هُمُ !
لَهُمْ مريحَانِ مِنْ جَهْلٍ وفرطِ غنىً
وَعِنْدَنا المتعبانِ : العِلمُ والعَدَمُ

وناقضهُ الفتحُ الثّقفي وأجادَ فقالَ(٢) :

إنَّ المراتِبَ في الدُّنْيَا ورفعتَها
عِنْدَ الّذي حازَ عِلْماً لَيْسَ عِنْدَهَمُ

---

(١) هذه الابيات الثلاثة ذكرها السبكي ضمن خمسة أبيات ترك منها المصنف الثاني والثالث وهما في معيد النعم ومبيد النقم ص١٥٤ .

قد أنزلونا لأنّا غيرُ جنسهم منازلَ الوحش في الاهمال عندهم
فما لهم في توخّي ضرنا نظرُ ولا لهم في ترقي قدنا هِممُ

(٢) وهذه الأبيات أيضاً ذكرها السبكي في معيد النعم ص١٥٥ ضمن خمسة ابيات ترك المصنف منها البيت الثالث والرابع وهما :

هم الوحوش ونحن الانس حكمتنا تقودهم حيث ما شئنا وهم نعمُ
وليس شيءٌ سوى الاهمال يقطعنا عنهم فانِتّهم وجدانهم عدمُ

لا شَـــكَّ أنَّ لَـنـــا قَـــدَراً رأوهُ وَمَـــا
لِقَدْرِهِمُ عِنْدَنا قَـدْرٌ وَلاَ لَهُـمُ

لَنَـــا المُرِيحَانِ مِنْ عِلْمٍ ومِنْ عَدَمٍ
وَفِيهمُ المُتْعِبانِ : الجَّهْــلُ والحَشَمُ

ولله ِ درُّ القائِلِ :

وَكُلُّ ذي خَطَرٍ فــي النّاسِ مُحْتَقَرٌ
عِنْدِي إذا لَمْ يَكُنْ لِي عِنْدَهُ خَطَرُ

وملاكُ هذا الأمرِ علوُّ الهمَّــةِ وعَــدمُ التدنّسِ بالأطماعِ ، ولزومُ القَناعةِ ، فالحرُ عبــدٌ إنْ طمــعَ ، والعبدُ حرٌّ إنْ قنعَ ، ولله ِ درُّ القائِلِ (1) :

قَنِّعِ النَّفْسَ بِالْقَلِيلِ وَإلاَّ
طَلَبتْ مِنْكَ فَوْقَ مَا يكفِيهَا

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فــي قوله تعــالى : ( فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً )(2) قالَ : القَناعــةُ ، وعن سعيد(3) بن جبير قالَ : لا يحوجُهُ الى أحدٍ ، وقالَ

(1) البيت الثاني في أربعة أبيات منسوبة للامام علي ، ولفظه في ديوانه ص71 :

(2) سورة النحل الآية : 97 .

(3) هو ابو عبدالله سعيد بن جبير الاسدي بالولاء الكوفي التابعي ، كان عالماً وزاهداً ، قتله الحجاج سنة (95هـ) ، ترجمته في طبقات ابن سعد 6/171 ، حلية الاولياء 4/272 ، الاعلام 3/145 .

بشرُ بن الحارث : لو لم يكُنْ في القنوعِ إلاّ التمتعُ بالعزِّ لكفى صاحبَهُ ، وكانَ من دعائهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ : ( اللهمَّ قنّعني بما رزقتني وبارِكْ لي فيهِ ) . وقالَ إمامُنا الشافعي فيما رواهُ البيهقي : ( مَنْ غلبتْ عليه الشهوةُ[1] لِحُبِّ الدُّنيا لزمتهُ [ ٥٦ظ ] العبوديةُ لأهلِها ، ومن رضيَ بالقُنوعِ ، زالَ عنهُ الخُضوعُ )[2] ، وما أحسنَ قولَهُ ! قدّسَ اللهُ روحَهُ[3] :

أمتُّ مطامعي وأرحْتُ نفسي
فإنَّ النَّفْسَ ما طمعتْ تهُونُ
وأحييْتُ القنوعَ وكانَ ميْتاً
ففي إحيائهِ عِرْضٌ مَصُونُ
إذا طمعٌ يحلُّ بقلبِ عبدٍ
علتْهُ مهانةٌ وعلاهُ هوْنُ

(١) في مناقب الشافعي : ( شدة الشهوة ) .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٧٠ .

(٣) الابيات في ديوان الامام الشافعي ص١٧٤ .

وَمِمَّا يُرْوَى عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ قَدَّسَ اللّهُ روحَهُ قَالَ(١) :

لاَ تَخْضَعَنَّ لمخلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ
فإِنَّ ذلِكَ وَهْنٌ مِنْكَ في الدِّينِ

واسْتَغْنِ باللهِ عَنْ دُنيا الملوكِ كما
اسْتَغْنَى الملوكُ بدنياهم عن الدِّينِ

واسْتَرْزِقِ اللهَ مِمَّا في خَزَائِنِهِ
فإِنَّ ذلِكَ بينَ الكَافِ والنُّونِ

ورويَ الحافظُ أبو بكرِ الخطيبِ عن شيخهِ الامام أبي الحسن النعيمي قالَ(٢) :

إذا أظْمَأتْكَ أَكُفُّ اللِّئَامِ
كَفَتْكَ القَنَاعَةُ شِبعاً وريَّا

وَكُنْ رَجُلاً رِجله في الثَّرا
وَهَامَةُ همَّتِهِ في الثُّرَيَّا

---

(١) عيون الاخبار لابن قتيبة الدينوري ٣/١٨٨ ، لم يذكر القائل ، وفيه : ( لا تضرعن ) ، مكان ( لا تخضض ) ، و ( رزقاً من خزائنه ) مكان ( مما في خزائنه ) .

(٢) لم اتمكن من معرفة هذه الابيات في المصادر التي اطلعت عيلها .

أَبيَّاً لنَائلِ ذي ثَرْوَةٍ
تَرَاهُ بِمَا في يَدَيْهِ أَبيَّا

فإنَّ إراقةَ ماءِ الحَياةِ
دُونَ إراقَةِ ماءِ المُحَيَّا

وقالَ الاستاذ أبو القاسم[1] القُشيْري رحمَهُ اللهُ تعالى :

إذا شِئْتَ أَنْ تَحْيَى حَيَاةً هَنِئَةً
فَنَقٍّ مِنَ الأَطْمَاعِ ثَوْبَكَ واقْنَعِ

وَإنْ شِئْتَ عَيْشاً لا يُفَارِقُ ذُلَّةً
فَعَلِّقْ بِمَخْلُوقٍ فُؤادَكَ وَاطْمَعِ

وَللهِ درُّ القائِلِ[2] :

أَفَادَتْني الْقَنَاعَةُ أَيَّ عِزٍّ
وَلاَ عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَنَاعَهْ

[ ٥٧و ] فخُذْ منها لِنَفسِكَ رَأْسَ مَالٍ
وَصَيِّرْ بَعْدَهَا التَّقْوَى بِضَاعَهْ

تَحُزْ حَالَيْنِ تَغْنَى عَنْ بَخِيلٍ
وَتَظْفرْ بِالجِّنَانِ بِصَبْرِ سَاعَهْ

(١) لم اجد هذين البيتين في الرسالة القشيرية ، ولا في غيرها .
(٢) ذكر الهاشمي البيت الاول من الابيات في كتابه جواهر الادب ولم ينسبه لقائل معين ٢/٤٨٦ .

## في آدابِ العلماءِ والمتعلمينَ منهم والآخذين عنهم

وقد لخصته من كتابِ الجَّامعِ للخطيبِ أبي بكرٍ البغدادي ، ومن مقدمةِ شرحِ المُهذَّبِ للامامِ النَّووي، ومن تذكرةِ السَّامعِ والمتكلِّمِ في آدابِ العالمِ والمتعلِّمِ لصاحبهِ العلامةِ البدر بن جماعة ، ورُبَّما تبعتُ غالباً الثالثَ[1] في ترتيبهِ وتعبيرهِ ، معَ زيادةِ نفائسٍ ، فضمَّنته سبعةَ فصُولٍ :

الفصلُ الأوّلُ[2] في آدابِ العالمِ في نفسهِ .

وفيهِ إثنا عشرَ نوعاً :

الأول : أن يقصُدَ العالمُ بعلمهِ وجهَ اللهِ تعالى ، ولا يقصدُ بهِ توصُّلاً الى غرضٍ دنيوي ، كتحصيلِ مالٍ ، أَوْ جاهٍ أَوْ شهرةٍ ، أَوْ سمعةٍ ، أَوْ تمييزٍ علَى الأَقرانِ ، ونحو ذلكَ ، ولا يشينُ علمَهُ بشيءٍ مِنَ الطَّمَعِ في رفقٍ[3] يحصلُ لهُ من مشتغلٍ عليهِ

---

(١) يبدو أن المصنف في هذا الباب اعتمدَ فيه على كتاب تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم ، وأخذ منه اكثر ما في هذا الفصل ، وقد تابعه فيه وذكرت ما أخذه في بداية كل نوع من الانواع ، اما كتاب الجامع للخطيب البغدادي وشرح المهذب للنووي فكان يعتمد عليهما في مجال الاستشهاد .

(٢) الفصل والعنوان من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥ .

(٣) كذا في جميع النسخ ، ومن المحتمل ان تكون الكلمة ( رزقٍ ) .

بمالٍ ، أو خدمةٍ ، أو نحوهما ، وإنْ قَلَّ وإنْ كانَ علَى صورةِ الهديةِ الَّتي لولا إشتغالهُ عليهِ لما أهداها إليهِ .

وكانَ منصورٌ(١) لا يستعينُ بأحدٍ يختلفُ إليهِ في حاجته (٢) . وقالَ سفيانُ بن عيينة : ( كُنتُ قد أوتيتُ فهْمَ القرآنِ ، فلمَّا قبلتُ الصُّرَّةَ مِنْ أبي جعفرٍ سُلبتهُ )(٣) ، نسألُ اللهَ المسامحةَ ، وينبغي لَهُ أنْ يصحِّحَ نيَّتَهُ عِنْدَ الشُروعِ في كلِّ ما يُفيدهُ .

قالَ أبو مُزاحم الخاقاني : ( قيلَ لأَبي الأحوصِ حدِّثْنَا . فقالَ : ليستْ لي نيَّةٌ . فقالوا لَهُ : إنَّكَ تؤجَرُ . فقالَ :

يمنُونَنِي الخيرَ الكثيرَ ولَيْتَنَي
نجوْتُ كفافاً لا عَلَيَّ ولا لِيَا )(٤)

[ ٥٧ظ ] وقد قالَ لي شيخُنا شيخُ الاسلامِ الشَّرفُ المناوي تغمدهُ اللهُ برحمته : إنَّهُ كلَّما خرج الى الدَّرسِ ، يقف بدهليزهِ حتَّى تحصلَ النيَّةُ ثم يحضرُ ، وقد صَحَّ عن إمامنا الشَّافعي رحمهُ اللهُ أنَّهُ قالَ : ( وددتُ أنَّ الخلقَ تعلَّمُوا هذا العِلمَ علَى أنْ لا يُنْسَبَ إليَّ حرفٌ منهُ )(٥) . وقالَ رحمهُ اللهُ :

---

(١) هو منصور بن عمار ، وكنيته أبو السَّري ، وهو من أهل مرو كان زاهداً عابداً صوفياً له كرامات ، ترجمته في تاريخ بغداد ٧١/١٣ ، حلية اولياء ٣٢٥/٦ ، الرسالة القشيرية ص١٨ .
(٢) الجامع ١٤/٢ .
(٣) الجامع ١٣/٢ .
(٤) الجامع ٢٤٥/١ ، محاضرات ادلاباء ٧١٢/٤ .
(٥) شرح المهذب ٤٦/١ ، مناقب الشافعي ١٦٠/٢ .

( ما ناظرتُ أحداً قطُّ على الغلبةِ ، ووددتُ إذا ناظرتُ أحداً أنْ يظهرَ الحقُّ على يديه )[1] . وقالَ : ما كلَّمْتُ أحداً قطُّ إلاَّ وددتُ أنْ يُوفَّقَ ويُسدَّدَ ويُعانَ ويكونَ عليه رعايةٌ من اللهِ وحفظٌ )[2] . وعن أبي يوسف رحمهُ اللهُ قالَ : ( يا قومُ أريدُوا بعلمكُم اللهَ ، فإنِّي لم أجلسْ مجلساً قط أنوي فيه أنْ أعلوَهم إلاَّ لم أقُمْ حتَّى أفتضحَ )[3] .

الثاني[4] : دوامُ مراقبةِ اللهِ تعالى في السِّرِ والعلانيةِ ، والمحافظةُ علَى خوفهِ في جميعِ حركاتهِ وسكناتهِ وأقوالهِ وأفعاله ، فإنَّهُ أمينٌ علَى مَا أُودِعَ من العلومِ ، وما مُنِحَ من الحواسِّ والفهومِ . قالَ تعالى : ( لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ )[5] . وقالَ تعالى : ( بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ )[6] . وقالَ الشَّافعي : ( لَيْسَ العلمُ مَا حُفِظَ ، العلمُ مَا نَفَعَ )[7] . وعليهِ بدَوامِ السَّكِينَةِ والوقارِ والخشُوعِ والورعِ والتواضعِ والخضوعِ .

---

(1) شرح التهذيب ١/٤٦ .
(2) شرح التهذيب ١/٤٧ .
(3) شرح التهذيب ١/٤٧ .
(4) النوع الثاني جميعه اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم للبدر بن جماعة ص١٥ ــ ١٦ .
(5) سورة الانفال الآية : ٢٧ .
(6) سورة المائدة الآية : ٤٤ .
(7) مناقب الشافعي للبيهقي ٢/١٤٩ .

ومِمَّا كتبَ مالك[1] الى الرَّشيد رحمهما اللهُ : ( إذا علمتَ عِلماً فليُرَ عليكَ أثرهُ وسكينتُهُ وسمتُهُ ووقارُهُ وحلمُهُ ، لقوله صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم: «العُلماءُ ورثةُ الأنبياء» )[2] • وقالَ عمرُ رَضِيَ اللهُ عنهُ : ( تَعلَّمُوا العِلمَ ، وتَعلَّمُوا لَهُ السَّكينةَ والوقارَ )[3] •

وعن أبي هريرة مرفوعاً : [ ٥٨و ] ( تعلَّمُوا العِلمَ ، وتعلَّمُوا للعِلمِ السكينةَ وتواضعُوا لمن تعلِّمون منْهُ )[4] ، رواهُ الطَّبراني في الأوسطِ • وعن السلفِ رحمهم اللهُ : ( حقٌ علَى العالِمِ أنْ يتواضعَ للهِ في سرِّه وعلانيته ، ويحترسَ من نَفسهِ ، ويقفَ بِمَا أَشكلَ عليهِ )[5] •

الثالثُ[6] : أنْ يصونَ العِلمَ كما صانهُ علماءُ السَّلفِ ، ويقومَ لهُ بِمَا جعلهُ اللهُ تعالى لهُ من العزَّةِ والشَّرفِ ، فلا يدنِّسُهُ بالأطماعِ ، ولا يذلُّهُ بذهابهِ ومشيهِ الى غيرِ أهلهِ من أبناءِ الدُّنيا من غيرِ ضرورةٍ ، أوْ حاجةٍ أكيدةٍ ، ولا الى من يتعلمهُ منهُ منهم وإنْ عظُمَ شأنهُ وكبُرَ قدرهُ وسلطانُهُ •

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص١٥ •
(٢) شرح المهذب ٣٣/١ ، تذكرة السامع والمتكلم ص٥ •
(٣) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٩، تذكرة السامع والمتكلم ص١٦ •
(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٣، ٦٩، زوائد المعجمين ١٨/١ •
(٥) تذكرة السامع والمتكلم ص١٦ •
(٦) **الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦-١٨ ، ومن** الجامع للخطيب البغدادي ٨/٢-٩ •

قالَ الزُّهري : ( هوانٌ بالعِلمِ أنْ يحملَهُ العالمُ الى بيتِ المتعلِّمِ )[1] . وقالَ مالكُ بنُ أنس للمهدي وقد إستدعاهُ لولديه يسمعهما : ( العلمُ أَوْلَى أنْ يوقرَ ويؤتَى )[2] . وفي روايةٍ : ( العِلمُ يُزارُ ولا يزورُ ، ويُؤتَى ولا يأتي )[3] .

وفي روايةٍ : ( أدركتُ أهلَ العِلمِ يُوتَونَ ولا يأتونَ ) ، ويُروَى عنه أيضاً أنَّهُ قالَ : دخلتُ علَى هارون الرَّشيد ، فقالَ : يا أبا عبد الله ينبغي أنْ تختلفَ إلينا حتَّى يسمعَ صبيانُنَا منكَ الموطأ . قالَ : فقلتُ أعزَّ اللهُ أميرَ المؤمنينَ : إنَّ هذا العِلمَ منكم خرجَ ، فانْ أنتم أعززتموهُ عَزَّ ، وإنْ أنتم أذللتموهُ ذلَّ ، والعلمُ يُؤتَى ولا يأتي . فقالَ : صدقتَ ، أُخرجُوا الى المَسجد حتَّى تَسمَعوا مَعَ النَّاسِ . ويُروَى إنَّ الرَّشيدَ سألهُ : هَلْ لَكَ دارٌ ؟ فقالَ : لا . فأعطاهُ ثلاثةَ[4] آلاف دينار ، وقالَ : إشترِ بها داراً . فأخذَها ولم يُنفقْهَا ، فلمَّا أرادَ الرَّشيدُ الشخوصَ الى العراقِ قالَ لمالك : ينبغي لكَ أنْ تخرجَ معنا فانِّي عزمتُ أَنْ أحملَ النَّاسَ علَى

---

(١) الجامع للخطيب البغدادي ٢/١٥ ،

(٢) الجامع ٢/١٥ .

(٣) الجامع ٢/١٥ وفيه ( يؤتى ولا يأتي ) .

(٤) في تذكرة السامع والمتكلم حاشية ص٢١١ ، وفيه الذي أعطاه الدنانير هو الخليفة المهدي ، وطلب منه القدوم الى بغداد ، فذكر الحديث : ( المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ) والمال عندي على حاله .

الموَطا[1] كما حملَ عثمان النّاسَ علَى القرآنِ • فقالَ لهُ : أمّا حملُ النّاس علَى الموَطا ، فليسَ الى [ ٥٨ظ ] ذلكَ سبيلٌ ، لأنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وآلـه وسَلّمَ إفترقوا بعـدَهُ في الأمصارِ ، فحدّثوا فعندَ أهلِ كلِّ مصرٍ علمٌ ، وقد قالَ صلّى اللهُ عليـه وآله وسَلّمَ : [ إختلافُ أُمّتي رحمةٌ ، وأمّا الخروجَ معكَ فلا سبيلَ إليه ][2] • قالَ صلّى اللهُ عليه وآلـه وسَلّمَ : ( المدينـةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمونَ )[3] • وقالَ صلّى اللهُ عليه وآله وسَلّمَ : ( المدينةُ يُنفى خبيثُها كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديدِ )[4] ، وهـذه دنانيركُم كما هـي إنْ شـئتم فخذوها ، وإنْ شـئتم فدعوها ، يعني : أنّـكَ إنّمـا حملتني علَى مُفـارقةِ المدينةِ بمـا اصطنعتَ لديَّ ، فلا أُوثرُ الدّنيـا علَى الأُخرَى •

وأخرجَ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ عن مقاتلِ بن صالح صاحب الحميدي ، قالَ : ( دخلْتُ علَى حمّاد[5]

---

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٧ ، وفيه نسب هـذا الكلام للمنصور العباسي •

(٢) ما بين المعقوفين : زيادة من (م) ، (ب) ، وهي سـاقطة من الاصل بسبب انتقال النظر •

(٣) موطأ مالك ٨٨٨/٢ ، مسند ابن حنبل ٣٠٢/٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، ٤٠٣ ، ٤٣٩ •

(٤) موطأ مالك ٨٨٧/٢ ، مسند الامام ابن حنبل ٢٣٧/٢ ، ٢٤٧ ، وفي سنن النسائي مع اختلاف في الالفاظ ١٣٥/٧ •

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار البقري الربعي بالولاء ، مفتي البصرة، وأحد رجال الحديث فيها ، كان حافظاً ثقـة مأمونـاً ، توفي سـنة (١٦٧هـ) •

ابن سلمة ، فبينما أَنا عندَهُ ، إذْ دقَّ رسولُ محمد بن سليمان(1) ، فدخلَ فسلَّمَ ، وناولهُ كتابَهُ ، فقالَ : إقرأهُ ، فاذا فيهِ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم من محمد بن سليمان الى حمَّادَ بن سلمة ، أمَّا بعدُ فصبَّحكَ اللهُ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتهِ ، وقعتْ مسألةٌ فأتنا نسألُكَ عنها ، فقالَ لي : إقلبِ الكتابَ واكتبْ أمَّا بعدُ وأنْتَ فصبَّحكَ اللهُ بما صبَّحَ بهِ أولياءَهُ وأهلَ طاعتهِ ، إنَّا أدركنا العلماءَ وهم لا يأتونَ أحداً ، فإنْ وقعتْ مسألةٌ فآتنا فاسألنا عمَّا بدا لكَ ، وإنْ أتيتني فلا تأتني إلاَّ وحدَكَ ، ولا تأتني بخيلكَ ورجلكَ ، ولا أنصحكَ ولا أنصحُ نفسي والسَّلام ، فبينما أنا عندَهُ جالسُ إذْ دقَّ داقٌ البابِ ، فقالَ : يا صبيَّةُ أُخرجي فانظُري من هذا ؟ قالتْ : هذا محمد بن سليمان ، قالَ : قولي لَهُ : يدخلُ وحدَهُ ، فدخلَ فسلَّمَ وجلسَ بينَ يديهِ ، ثم إبتدأَ فقالَ : ما لي إذا نظرتُ إليكَ إمتلأْتُ رعباً ؟ فقالَ حمَّاد : سمعتُ ثابتاً البناني(2) يقولُ : سمعْتُ [ 59و ] أنس بن مالك

---

ترجمته في تهذيب التهذيب 11/3 ، ميزان الاعتدال ، حلية الاولياء 249/6 .

(1) هو محمد بن سليمان بن علي العباسي ، أمير البصرة ، وليها في عهد الخليفة العباسي المهدي ، وعُزلَ سنة (164هـ) ، وارجعه الرشيد سنة (172هـ) ، وتوفي في البصرة سنة (173هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد 291/5 ، المحبر ص61 ، 305 .

(2) هو ثابت بن اسلم البُناني كان حافظاً ومحدثاً ثقة كبير القدر توفي سنة (127هـ) .
ترجمته في تهذيب التهذيب 2/2 ، ميزان الاعتدال 362/1 .

يقــولُ : سمعتُ رســولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلــهِ وسَلَّمَ يقولُ : ( إنَّ العالِـمَ إذا أرادَ بعلمه وجهَ اللهِ تعالى هابهُ كلُّ شيءٍ ، وإذا أرادَ أنْ يكثرَ بهِ الكنوزَ هابَ مِنْ كلِّ شَيءٍ )[1] . فقالَ : مــا تقولُ يرحمُكَ اللهُ ، وذكــرَ مسألتَهُ وجوابَهــا ، ثم قالَ : وحاجــةٌ إليكَ ، قالَ : هاتِ مــا لــم تكُنْ رزيَّةً في الدِّينِ ، قالَ : أربعينَ ألفَ درهمٍ ، تأخذُها تستعينُ بهــا على ما أنتَ عليــه ، قالَ : أردُدهــا على من ظلمتهُ بهــا ، قالَ : واللهِ ما أعطيكَ إلاَّ ما ورثتهُ ، قالَ : لا حاجة لي فيها أزوها عنِّي زوَى اللهُ عنكَ أوزاركَ ، قالَ : فغيرُ هذا ؟ قالَ : هاتِ ما لم تكُنْ رزيَّةً في دينٍ . قالَ : تأخذها فتقسمها . قالَ : فلعلِّي إنْ عدلْتُ في قسمتِــها أنْ يقولَ بعضُ من لم يُرزَقْ منها : إنَّهُ لم يعدلْ في قسْمَتِــها فيَأْثمُ أزوَهــا عنِّــي زوَى اللهُ عَنْــكَ أوزاركَ )[2] .

وسيأتــي فــي الفصــلِ الخامسِ مَا اتَّفقَ لبعضِ أولادِ الخليفةِ المهدي معَ شريك ، وأخبارُ السَّلَفِ في هــذا البــابِ كثيرةٌ شهيرةٌ ، ( فا نْ دعتْ حاجــةٌ أوْ ضرورةٌ الى شيءٍ من ذلكَ أو إقتضتهُ مصلحةٌ دينيــةٌ راجحةٌ على مفسدة بذلَه ، وحسُنتْ فيه نيَّةٌ صالحةٌ فلا بأسَ بــهِ ، وعلَى هــذا يُحمَلُ مــا جَاءَ عن بعضِ

---

(١) نقله البغدادي عن مسند الفردوس للديلمي انظر الحاشية في الجامع ص٩ .

(٢) النص نقله المصنف من الجامع ٢/٨-٩ .

السَّلَفِ من المشي الى الملوكِ وولاةِ الأمرِ ، كالزُّهري والشَّافعي وغيرهما ، لا أنَّهم قصدوا بذلك فضول الأَعراضِ الدُّنيويَّة ، وكذلكَ إذا كانَ المأْتي إليهِ من العِلمِ والزُّهدِ في المنزلةِ العليَّةِ والمحل الرَّفيعِ ، فلا بأسَ في الترددِ إليهِ ، لافادته ، فقد كانَ سفيانُ الثَّوري يمشي الى إبراهيم[1] بن أدهم ، ويفيده ، وكانَ أبو عُبَيد[2] يمشي الى عليٍّ[3] بن المديني يُسمعه غريبَ الحديثِ )[4] .

---

(١) هو أبو اسحاق ابراهيم بن أدهم ، من أهل بلخ ، وهو من ابناء الملوك والمياسير ، خرج متصيداً فهتف به هاتف ، فترك الدنيا ، ورجع الى طريقة الزهد ، وصحب سفيان الثوري ، ودخل الشام ، وأخذ يعمل ويأكل من عمل يده ، توفي سنة (١٦١هـ) في الشام .
ترجمته في حلية الاوليا ٣٦٧/٧ ، شذرات الذهب ٢٥٥/١ ، الرسالة القشيرية ص٨ .

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي الازدي الخزاعي بالولاء ، اصله من هراة ولد فيها سنة (١٥٧هـ) وتعلم فيها ورحل الى بغداد فكان من كبار علماء الحديث والادب والفقه ، ولي القضاء بطرطوس ، وذهب الى الحج وتوفي في البيت الحرام سنة (٢٢٤هـ) .
ترجمته في تاريخ بغداد ٤٠٣/١٢ ، تهذيب التهذيب ٣١٥/٧ ، الاعلام ١٠/٦ .

(٣) هو ابو الحسن علي بن عبدالله بن جعفر السعدي بالولاء ، المديني البصري ولد بالبصرة سنة (١٦١هـ) وتعلم فيها ، واصبح محدثاً ومؤرخاً وحافظاً ، توفي في سامراء سنة (٢٣٤هـ) .
ترجمته في البداية والنهاية ٢٢٧/١٠ ، شذرات الذهب ٣٤٢/١ ، النجوم الزاهرة ١٤٧/٢ ، الاعلام ١١٨/٥ .

(٤) النص الذي بين القوسين اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧ ـ ٨ .

الرابع[1] : أنْ يتخَّقَ بما حَثَ الشَّرعُ عليهِ مِنَ الزُّهدِ في الدُّنيا والتقللِ منها بقدرِ الامكانِ ، فانَّ ما [ ٥٩ظ ] يحتاجُ إليهِ منها على الوجهِ المعتدلِ من القناعةِ لا يُعَدُّ من الدُّنيا ، وأقلُّ درجاتِ العالِمِ أنْ يستقذرَ التعلُّقَ بالدُّنيا ولا يبالي بفواتِها ، لأنَّهُ أعلمُ النَّاسِ بخسَّتِهَا وفتنتِهَا وسرعةِ زوالِها ، وكثرةِ عنائِها ، وقلَّةِ غنائِها .

وعن الشَّافعي رحمهُ اللهُ : ( لو أُوصيِ لأعقلِ النَّاسِ صُرِفَ الى الزُّهادِ )[2] . فمن أحَقُّ مِنَ العُلماءِ بزيادةِ العقلِ وكمالِه ؟ وقالَ يحيى[3] بن معاذ : لَو كانتِ الدُّنيا تبراً يفنَى ، والآخرةُ خزفاً يبقَى ، لكانَ ينبغي للعاقلِ إيثارَ الخزفِ الباقِي علَى التبرِ الفاني ، فكيفَ والدُّنيا خزفٌ فانٍ والآخرةُ تبرٌ باقٍ ، وعليهِ بالسخاءِ والجودِ علَى حسبِ الموجودِ .

الخامسُ[4] : أنْ يتنزَّهَ عن دنيِ المكاسبِ ورذيلِها طبعاً ، وعن مكروهِها عادةً وشرعاً ، كالحجَامةِ ، والدباغةِ ، والصرفِ ، والصيانةِ ، ويتجنَّبَ مواضعَ

---

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨ .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٨٣ .

(٣) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، من الزهاد المشهورين في وقته ، أصله من أهل الري ، وأقام ببلخ ، ومات في نيسابور سنة (٢٥٨هـ)، ترجمته فيصفة الصفوة ٤/٧١، الرسالة القشيرية ص١٦.

(٤) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩ـ٢٠.

التهم ، وإنْ بَعُدَتْ ، ولا يفعلُ شيئاً يتضمنُ نقصَ مروءةٍ ، أَوْ ما يُستَنكرُ ظاهراً ، وإنْ كانَ جائزاً باطناً ، فإنَّهُ يعرضُ نفسَهُ للتهمةِ ، وعرضَهُ للوقيعةِ ، ويوقعُ النَّاسَ في الظنون المكروهةِ وإثمِ[1] الوقيعةِ ، فإنْ اتَّفقَ وقوعُ شيءٍ من ذلكَ منهُ لحاجةٍ أو نحوها أخبرَ من شاهدَهُ بحكمه وبعذرهِ ، ومقصودهِ كيلا يأْثمَ من رآهُ بسببه ، أوْ ينفرَ عنهُ فلا ينتفعُ بعلمه ، وليستفيدَ ذلكَ الجاهلُ به ، ولذلكَ قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ للرَجلينِ لمَّا رأياهُ يتحدَّثُ معَ صفيَّةَ[2] : ( فوليَّا علَى رسلكما أنَّها صفيَّة )[3] ، ثم قالَ : إنَّ الشيطانَ يجري من ابن آدم مجرَى الدمِ ، فخشيتُ أنْ يقذفَ في قلوبكما شيئاً ، وفي روايةٍ فتهلكا .

السَّادسُ[4] : أنْ يحافظَ علَى القيام بشعائرِ الاسلامِ ، وظواهرِ الأحكامِ ، كاقامةِ الصَّلاة في مساجدِ الجماعاتِ ، وإفشاءِ السَّلامِ للخواصِّ والعوامِ [ ٦٠و ] ، والأمرِ بالمعروفِ ، والنهي عن المنكرِ ،

---

(١) في تذكرة السامع والمتكلم : ( تأثيم ) مكان ( واثم ) .

(٢) هي ام المؤمنين صفية بنت حييّ بن اخطب من الخزرج ، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف ، وبعد غزوة خيبر قُتل زوجها كنانة ابن الربيع النضري ، اسلمت فتزوجها صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت في المدينة سنة (٥٠هـ) .
ينظر حلية الاولياء ٢/٥٤ ، صفة الصفوة ٢/٢٧ ، طبقات ابن سعد ٨/٨٥ .

(٣) شرح المهذب ١/٤٨ .

(٤) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٠–٢١ .

والصَّبرِ على الأذَى بسببِ ذلكَ ، صادعاً بالحقِّ عندَ السَّلاطينَ ، باذِلاً نفسَهُ للهِ لا يخافُ فيه لومةَ لائمٍ ، ذاكراً قولَهُ تعالى : ( وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ )[1] . وما كانَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ وغيرُه من الأنبياءِ عليهِ من الصَّبرِ علَى الأذَى ، وما كانُوا يتحملونهُ في اللهِ تعالى حتَّى كانتْ لهم العقبي ، وكذلكَ القيامُ باظهارِ السُّننِ ، وإخمالِ البدعِ ، والقيامُ للهِ في أمورِ الدِّينِ وما فيهِ مصالحُ المسلمينَ على الطريقِ المشروعِ والمسلك المَطبوعِ ، ولا يرضَى من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائزِ منها ، بل يأخذُ نفسَهُ بأحسنِها وأكملِها ، فانَّ العلماءَ هم القدوةُ ، وإليهم المرجعُ في الأحكامِ ، وهم حجَّةُ اللهِ تعالى علَى العوامِ ، وقد راقبهم[2] للأخذِ عنهم مَن لا ينظرونَ ، ويقتدي بهديهم من لا يعلمُونَ ، وإذا لم ينتفعِ العالِمُ بعلمه فغيرُه أبعدُ عن الانتفاعِ به ، كَمَا سبقَ مِن قولِ الشَّافعي رحمهُ اللهُ : ( ليسَ العلمُ مَا حُفِظَ ، العلمُ ما نفعَ )[3] . ولهذا عظمتْ زلةُ العالمِ لما يترتبُ عليها من المفاسدِ ، لاقتداءِ النَّاسِ بهِ .

السَّابعُ[4] : أنْ يحافظَ علَى المندوباتِ الشرعيةِ

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٧ .

(٢) في تذكرة السامع والمتكلم : ( يراقبهم ) ، والصحيح ما ذكره السمهودي .

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٤٩ .

(٤) النوع السابع أخذهُ المصنفُ جميعه من تذكرة السامع والمتكلم ص٢١ ـ ٢٢ .

القوليّة والفعليّة ، ويبالغ فيما يتضمّن إجلال صاحب الشّريعة النّبويّة ، وتعظيمه ، وأتباعه صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فيلازم تلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللّسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في أناء الليل وأطراف النهار ، ومن نوافل العبادات من الصّلاة والصّيام وحجّ البيت الحرام ، والصّلاة على النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فانّ محبّته وإجلاله وتعظيمه واجب ، والأدب عند [ ٦٠ظ ] سماع إسمه ، وذكر سنته مطلوب وسنة .

كان مالك [ بن أنس ][1] رحمه الله ، إذا ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يتغيّر لونه وينحني ، وكان جعفر الصّادق بن محمد الباقر [ رحمه الله تعالى ][2] إذا ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عنده إصفرّ لونه ، وكان ابن القاسم[3] إذا ذكر النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يجف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وينبغي له إذا تلا القرآن أن يتفكّر

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من : (ب) .

(٣) هو ابو عبدالله عبدالرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة المصري ، ويعرف بابن القاسم ، تفقه على مذهب الامام مالك ، وقد جمع بين الزهد والعلم ، توفي سنة (١٩١هـ) في مصر .
ترجمته في وفيات الاعيان ١/٢٧٦ ، تهذيب التهذيب ٦/٢٥٣ ، حسن المحاضرة ١/١٢١ ، الاعلام ٤/٩٧ .

في معانيه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ، والوقوف عند حدوده ، وليحذر من نسيانه بعد حفظه ، فقد ورد في الأخبار النبوية ما يزجر عن ذلك .

والأولى أن يكون له منه في كل يوم ورد راتب لا يخل به ، فإن غلب عليه فيوم ويوم ، فإن عجز ففي ليلتي الثلاثاء والجمعة لاعتياد بطالة الاشتغال فيهما ، وقراءة القرآن في كل سبعة أيام ورد حسن . ورد في الحديث ، وعمل به أحمد بن حنبل ، ويقال من قرأ القرآن في سبعة أيام لم ينسه قط[1] . وينبغي أن يستعمل الرخص في مواضعها عند الحاجة إليها ، ووجود سببها ليقتدى به فيها : ( فإن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه )[2] .

الثامن[3] : معاملة الناس بمكارم الأخلاق ، من طلاقة الوجه وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى عن الناس ، واحتماله منهم ، والايثار ، وترك الاستئثار ، والانصاف ، وترك الاستنصاف ، وشكر التفضل ، والسعي في قضاء الحاجات ، وبذل الجاه في الشفاعات ،

---

(١) الى هنا انتهى الذي أخذه المصنف في النوع السابع من تذكرة السامع والمتكلم .

(٢) الحديث في مسند الامام ابن حنبل ٢/١٠٨ .

(٣) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٣ .

والتلطُّف بالفقراءِ ، والتَّحببِ الى الجيرانِ والأقرباء ، والرفقِ بالطلبةِ وإعانتهم ، وبرِّهم كما سيأتي إنْ شاءَ [ ٦١ و ] اللهُ تعالى ، وإذا رأى من لا يُقيمُ صلاتَه ، أو طهارتَه ، أو أشياءَ من الواجبات عليه إرشاده بتلطُّفٍ ورفق ، كما فعلَ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ معَ الأعرابي الذي بالَ في المسجدِ[١] ، ومَع معاويةِ بن الحكم لمَّا تكلَّمَ في الصلاة[٢] .

التاسعُ[٣] : أنْ يطهِّرُ باطنَه وظاهرَه من الأخلاقِ الرَّديئةِ ، ويعمرَه بالأخلاقِ المرضيَّةِ ، فمن الأخلاقِ الرديئة : الغلُّ ، والحسدُ ، والبغيُ ، والغضبُ لغيرِ اللهِ تعالى ، والغشُّ ، والكبرُ ، والرِّياءُ ، والعجبُ ، والسمعةُ ، والبخلُ ، والخبثُ ، والبطرُ ، والطَّمعُ ، والفخرُ ، والخيلاءُ ، والتَّنافسُ

---

(١) جاء في صحيح البخاري ١/٦٥ عن أنس بن مالك : ( أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رأى أعرابياً يبولُ في المسجد فقال : دعوه حتى إذا فرغ دعا بماءٍ فصبه عليه ) .

(٢) جاء في صحيح مسلم بشرح النووي ٥/٢٠ عن عطاء عن معاوية بن الحكم السلمي قال : ( بينا أنا أُصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلتُ : يرحمك الله فرماني القوم بابصارهم ، فقلت : واثكل أُمِّياه ما شأنكم تنظرون إلَيَّ ، فجعلوا يضربون بايديهم على أفخاذهم، فلمَّا رأيتهم يصمتوني لكنِّي سكتُ، فلمَّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وامي ، ما رأيتُ معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إنَّ هذه الصلاة لا يصلح منها شيءٌ من كلام الناس ، انما هو تسبيح وتكبيرٌ وقراءة قرآن ) .

(٣) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ، مع اضافات قليلة اضافها اليه ، ص٢٣ ـ ٢٦ .

في الدُّنيا ، والمباهاةُ بِها ، والمداهنةُ ، والتَّزينُ للنَّاسِ ، وحُبُّ المدحِ بِما لم يفعلْ ، والعَمى عن عيوبِ النَّفسِ ، والاشتغالُ عنها بعيوبِ الخلقِ ، والحميَّةَ ، والعصبيَّةُ لغيرِ الله ، والرغبةُ والرهبةُ لغيرِ الله ، والغيبةُ ، والنميمةُ ، والبهتانُ ، والكذبُ ، والفحشُ في القولِ ، وإحتِقارُ النَّاسِ ولو كانُوا دونَهُ .

فالحذرَ الحذرَ من هذه الصفاتِ الخبيثةِ ، والأخلاقِ الرذيلةِ ، فإنَّها بابُ كلِّ شرٍّ ، بل هي الشرُّ كلُّهُ ، وقد بُلِيَ بعضُ أصحابِ النفوسِ الخبيثةِ من فقهاءِ الزَّمانِ بكثيرٍ من هذه الصفاتِ ، إلاَّ من عصمَ اللهُ تعالى ولا سيما الحَسَدُ ، والعجبُ ، والرياءُ ، وإحتقارُ النَّاسِ ، وأدويةُ هذه البليَّةِ [ مستوفى ][1] في كُتبِ الرَّقائقِ ، ومِنْ أنفعِها الرِّعايةُ[2] للمحاسبِي[3] ـ ومن أخصرِها منهاجُ العابدينَ[4]

---

(١) مستوفى : زيادة من تذكرة السامع والمتكلم ، وبها يستقيم سياق الكلام .

(٢) ينظر كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل للحارث المحاسبي ص٩٦ ـ ١٠٠ ، ١٠٧ ، ١٣٨ ، ١٧٥ ، ٢٢٠ ، ٢٦٢ .

(٣) هو ابو عبدالله الحارث بن اسد المحاسبي، توفي فيبغداد سنة (٢٤٣هـ) ترجمته في حلية الاولياء ١٠/٧٣ .

(٤) ينظر منهاج العابدين للغزالي ص٢٨ ـ ٣٢ .

للغزالي[1] ، فمن أرادَ تطهيرَ نفسِهِ منها فعليهِ بذلكَ ـ ومن أدويةِ الحسدِ الفكرُ في أنَّهُ [ لا ][2] إعتراضَ على اللهِ في حكمتِهِ المقتضيةِ تخصيصَ المحسودِ بالنعمةِ معَ أنَّهُ محضُ ضررٍ على الحاسدِ يجلبُ لهُ الغمَّ وتعبَ القلبِ وتعذيبَهُ بما لا [ ٦١ظ ] ضررَ بهِ على المحسودِ • ومن أدويةِ العجبِ تذكّر أنَّ علمَهُ وفهمَهُ وجودَةَ ذهنه ، وفصاحتَهُ وغير ذلكَ من النعمِ فضلٌ من اللهِ عليهِ وأمانةٌ عندَهُ ليرعاها حقَّ رعايتِها ، وأنَّ العجبَ بها كفرانٌ لنعمتِها فيعرضُها للزوالِ ، لأنَّ معطيهِ إيَّاها قادرٌ على سلبِها منهُ في طرفةِ عينٍ كما سلبَ بلعام[3] ما علَّمهُ في طَرفةِ عينٍ ، وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ ، ( أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ )[4] •

ومن أدويةِ الرياءِ الفكرُ في أنَّ الخلقَ كلَّهُم لا يقدرونَ على نفعهِ بما لم يقضهِ اللهُ لَهُ ، ولا على ضرِّهِ بما لم يقدِّرْهُ اللهُ تعالى عليهِ ، فلم يحبطْ

---

(١) هو ابو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من اعلام الفلسفة والفقه ، ولد في خراسان سنة (٤٥٠هـ) ، وتوفي سنة (٥٠٥هـ) بخراسان •
ترجمته في وفيات الاعيان ٤٦٣/١ ، شذرات الذهب ١٠/٤ ، الوافي بالوفيات ٢٧٧/١ ، الاعلام ٢٤٧/٧ •

(٢) ( لا ) من (ب) ، وبها يستقيم السياق •

(٣) هو بلعام بن باعورا من أنبياء بني اسرائيل ، فلما دعا على النبي موسى عليه السلام سلبه الله النبوة والعلم ، فقال : قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة • ينظر تفسير القرطبي ٣١٩/٧ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٨م •

(٤) سورة الاعراف الآية : ٩٩ •

عملَه' ويضرَّ دينَه' ويشغلْ نفسَه' بمراعاةِ من لا يملكُ له' في الحقيقةِ نفعاً ولا ضرّاً ، معَ أنَّ اللهَ يطلعهم على نيَّتهِ وقبحِ سريرته كما صحَّ في الحديثِ : ( مَنْ سَمَعَ سَمِعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ رايا رايا اللهُ بِهِ )[1] .

ومن أدويةِ إحتقارِ النَّاسِ قولُه' تعالى : ( لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ الآيةَ )[2] . ( إنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وانثى إنَّ[3] أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ )[4] . فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى )[5] . ورُبَّما كانَ المُحتَقَرُ أَطهرَ عندَ اللهِ قلباً ، وأزكى عملاً ، وأخلصَ نيَّةً ، كما قيلَ إنَّ اللهَ تعالى أخفى ثلاثةً في ثلاثةٍ : وليَّه' في عبادِه ، ورضاه' في طاعته ، وغضبَه' في معاصيه ، معَ [ أنَّ ][6] إحتقارَ عبادِ اللهِ مجرَّد' خسرانٍ يُورِث' الذُّلَّ لفاعلهِ . وفي خبرٍ للحارثِ بنِ معاويةَ أنَّه'

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل ٥/٤٥ .

(٢) الحجرات الآية : ١١ .

(٣) في وسط الآية قبل ( انّ اكرمكم ) : ( وجعلناكم شُعُوباً وقَبَائِلَ لتعارفوا ) . وقد نقل المصنف الآية كما ذكرها من تذكرة السامع والمتكلم .

(٤) سور الحجرات الآية : ١٣ .

(٥) سورة النجم الآية : ٣٢ .

(٦) ( أنّ ) : زيادة من (م) ، (ب) .

سألَ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ عن القصصِ وأنَّ عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالَ لهُ : ( أخشَى عليكَ أنْ تقُصَّ فترتفعَ في نفسِكَ ، ثم تقصُ فترتفعَ في نفسِك حتَّى يُخيَّلَ إليكَ فوقَهم بمنزلةِ الثريَّا فيضعكَ اللهُ [ ٦٢و ] تحتَ أقدامِهم يومَ القيامةِ بقدرِ ذلكَ )(١) ، رواهُ الامامُ أحمدُ ، والحارثُ بن معاويةَ ، وثَّقهُ بن حِبَّان وبقيَّة رجالهِ رجالِ الصحيحِ .

ومن الأخلاقِ المرضيَّةِ دوامُ التوبةِ ، والاخلاصُ ، واليقينُ ، والتَّقوَى ، والصَّبرُ ، والرضا ، والقناعةُ ، والزهدُ ، والتَّوكلُ ، والتَّفويضُ ، وسلامةُ الباطنِ ، وحُسنُ الظَّنِّ ، والتَّجاوزُ ، وحُسنُ الخُلُقِ ، ورؤيةُ(٢) الاحسان ، وشكرُ النعمةِ ، والشفقةُ على خلقِ اللهِ ، والحياءُ من اللهِ ومن النَّاسِ .

ومحبَّةُ اللهِ تعالى هي الخصلةُ الجامعةُ لمحاسنِ الصفاتِ كلِّها وإنَّما تتحققُ متابعةُ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ( قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ )(٣) .

---

(١) مسند الامام ابن حنبل ١/١٨ ، مع اختلاف في الالفاظ .

(٢) كذا في الاصل ، (م) وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (لزوم) .

(٣) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

العاشرُ[1] : دوامُ الحرصِ على الازديادِ بملازمةِ الجدِّ والاجتهادِ والمواظبةِ على وظائفِ الأورادِ والاشتغال ، والأشغالِ قراءةً وإقراءً ومطالعةً وفكراً وتعليقاً وحفظاً وتصنيفاً وبحثاً .

ولا يضيّعُ شيئاً من أوقاتِ عمرهِ في غيرِ ما هو بصدده من العلمِ والعملِ إلاَّ بقدرِ الضرورةِ من أكلٍ ، أو شربٍ ، أو نومٍ ، أو إستراحةٍ لمللٍ ، أو إدا حقٍّ زوجةٍ ، أو زائرٍ ، أو تحصيلِ قوتٍ وغيره ممَّا يحتاجُ إليه ، أو لألمٍ ، أو غيرهِ ممَّا يتعذَّرُ معهُ الاشتغالُ ، فانَّ بقيَّةَ عمرِ المُؤمنِ لا قيمةَ لهُ ، ومن استوى يوماهُ فهو مغبونٌ .

وقالَ المزني : سَمِعْتُ الشَّافعي يقولُ : سُئِلَ بعضُ السَّلَفِ ما بلغَ من إشتغالكَ بالعلمِ ؟ قالَ : ( هو سلوتي إذا اهتممتُ ، ولذَّتي إذا سلوتُ )[2] ، قالَ : وأنشدني الشَّافعي لنفسهِ[3] :

[ ٦٢ظ ] وَمَا أَنَا بالغيرانِ من دونِ أَهْلِه
إذا أنا لَم أضحى غيوراً عَلى علمي

طَبيبُ فؤادي مُذْ ثلاثينَ حجَّةً
وَصَيْقَلُ ذهني وَالمُفَرِّجُ عَنْ هَمِّي

---

(١) النوع العاشر أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٦ــ٢٨.
(٢) مناقب الشافعي ٢/١٠١ .
(٣) مناقب الشافعي ٢/١٠١ .

وكانَ بعضُهم لا يتركُ الاشتغالَ لعروضِ مرضٍ خفيفٍ ، أو ألـمٍ لطيفٍ ، بل كانَ يتشفَّى بالعِلمِ ، ويشتغلُ بقدرِ الامكانِ ، كما قيلَ[1] :

إذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمُ
وَنَتْرُكُ الذكرُ إخلالاً فننتكسُ

وذلكَ لأنَّ درجةَ العلمِ درجةُ وراثةِ الأنبياء ، ولا تُنَالُ المعالي إلاَّ بشقٍّ الأنفسِ . وفي صحيح مسلم عن يحيى بن أبي كثير قالَ : ( لا يُسْتَطَاعُ العلْمُ براحةِ الجسمِ )[2] . وفي الحديثِ : ( حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكارهِ )[3] ، وكما قيلَ[4] :

وَلاَ بُدَّ دُونَ الشَّهدِ من إبَرِ النَّحْلِ

وكما قيلَ[5] :

لا تحسبُ المجدَ تَمراً أَنْتَ آكلهُ
لا تبلغُ المجدَ حتَّى تلعقَ الصَّبرَا

---

(1) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص٢٧ .

(2) الحديث في صحيح مسلم ١/٤٢٨ ، طبعة محمد فؤاد عبدالباقي ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٥ ، شرح المهذب للنووي ١/٦٣ ، والفقيه والمتفقه ٢/١٠٣ .

(3) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ٢/٣٨٠ .

(4) البيت للمتنبي ذكره الجرجاني في الوساطة بين المتنبي وخصومة ص٢٢٤ ، وصدره : ( تُرِيدِينَ إِدْرَاكَ المعالي رَخيصَةً ) .

(5) البيت ذكره ابن جماعة ولم ينسبه تذكرة السامع والمتكلم ص٢٧ .

وقالَ الشّافعي رحمهُ اللهُ : ( حَقٌّ علَى طلبةِ العلمِ بلوغُ غايةِ جهدِهم في الاستكثارِ من العلمِ ، والصَّبرِ على كلِّ معارضٍ دونَ طلبهِ ، وإخلاصِ النيَّةِ للهِ في إدراكِ علمهِ نصَّاً واستنباطاً ، والرَّغبةَ الى اللهَ تعالى في العونِ عليهِ )(١) • وقالَ الربيعُ : ( لم أرَ الشّافعي آكلاً بنهارٍ ، ولا نائماً بليلٍ ، لاشتغاله بالتصنيفِ ، ومعَ ذلكَ فلا يُحمِّلُ نفسَهُ من ذلكَ فوقَ طاقتها ، كيلا تسأمَ وتَملَّ ، فرُبَّما نفرتْ نفرةً لا يمكنهُ تداركها ، بل يكونُ أمرهُ في ذلكَ قصداً ، وكلُّ إنسانٍ أبصرُ بنفسهِ )(٢) •

الحادي عشرَ(٣) : أنْ لا يستنكف أنْ يستفيدَ ما لا يعلمهُ ممَّنْ هو دونَهُ منصباً ، أو نسباً ، أو سناً ، بل يكونُ [ ٦٣و ] حريصاً على الفائدةِ حيثُ كانَتْ : ( والحكمةُ ضالةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجدَها )(٤) •

قالَ سعيد بن جبير : ( لا يزالُ الرجلُ عالماً ما تعلَّمَ ، فاذا تركَ العلمَ ، وظنَّ أنَّهُ استغنَى واكتفَى بما عندَهُ ، فهو أجهلُ ما يكونُ )(٥) •

---

(١) شرح المهذب ١/٦٣ •

(٢) شرح المهذب ١/٦٣ •

(٣) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص ٢٨ ـ ٢٩ •

(٤) في سنن ابن ماجة ٢/١٣٩٥ لفظ الحديث هو : ( الكلمة الحكمة ضالّة المؤمنِ ، حيثما وجدها فهو أحقُّ بها ) •

(٥) شرح المهذب ١/٤٩ •

وأنشدَ بعضُ العربِ (١) :

وَلَيْسَ العمَى طُولَ السُّؤالِ وإنَّما
تمامُ العمَى طُولُ السكُوتِ على الجَهْلِ

وكانَ جماعةٌ من السَّلَفِ يستفيدونَ من طلبتِهم ما ليسَ عندَهم ، قالَ الحُمَيْدِي وهو تلميذُ الشَّافعي : ( صحبتُ الشَّافعي من مكةَ الى مصرَ فكنتُ أستفيدُ منهُ المَسائلَ ، وكانَ يستفيدُ منِّي الحديثَ )(٢) . وقالَ أحمدُ بن حنبل : ( قالَ لَنا الشَّافعي : أنتم أعلمُ بالحديثِ منِّي ، فاذا صحَّ عندكم الحديثُ فقولُوا لنا حتَّى آخذَ به )(٣) . وصحَّ(٤) روايةُ جماعةٍ من الصحابةِ عن التابعينَ ، وأبلغُ من ذلكَ كُلِّه قراءةُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّمَ على أُبيٍّ ، وقالَ : ( أمرني اللهُ أنْ أَقرأَ عليكَ « لَمْ يَكُنِ الَّذينَ كَفَرُوا »(٥) )(٦) . وقالوا : من فوائدهِ أنْ لا يمتنعَ الفاضِلُ من الأخذِ عن المفضولِ .

---

(١) في مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٤ ، قال ابو عمر : كان الاصمعي ينشد وذكر البيت ، وفيه : ( شفاء العمى ) مكان ( وليس العمى ) .

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٥٣ .

(٣) مناقب الشافعي ٢/١٥٤ ، وفيه : ( حدثنا عبدالله بن احمد بن حنبل ، قال : سمعت أبي يقول : قال لنا الشافعي ... الخ ) .

(٤) كذا في جميع النسخ والتذكرة ، ولعله ( وصحَّح ) .

(٥) سورة البينة الآية : ١ .

(٦) شرح المهذب ١/٤٩ .

الثاني عشر[1] : الاشتغالُ بالتَّصنيفِ والجمعِ والتأليف لكن معَ تمامِ الفضيلةِ ، وكمالِ الأهليةِ ، فانَّهُ يطَّلعُ على حقائقِ الفنونِ ودقائقِ العلومِ ، للاحتياجِ الى كثرةِ التفتيشِ والمُطالعةِ والتعقيبِ والمراجعةِ ، وهو كما قالَ الخطيبُ[2] البغدادي : ( يثبتُ الحفظَ ، ويُذكي القلبَ ، ويشحذُ الطبعَ ، ويجيدُ البيانَ ، ويُكسبُ حميدَ الذكرِ وجزيل الأجرِ ، ويخلدهُ الى آخرِ الدهرِ ، كما قالَ الشاعرُ :

[ ٦٣ظ ] يموتُ قومٌ فيحيي العلمُ ذكرَهُمُ
والجَّهْلُ يُلْحِقُ أمواتاً بأمواتِ )[3]

وقالَ عبدُالله بن المعتز[4] : ( علمُ الانسانِ ولَدُهُ المخلد )[5] • قالَ الخطيبُ : وأنشدَني عبدُالغفار بن عبدالواحد الأرموي لأبي الفتح علي بن محمد البستي[6] :

---

(١) النوع الثاني عشر أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٢٩ – ٣٠ ، مع اضافة •

(٢) هو الحافظ المؤرخ أبو بكر احمد بن علي بن ثابت بن احمد بن مهدي الخطيب ، ولد سنة (٣٩٢هـ) ، وتوفي سنة (٤٦٣هـ) •

(٣) البيت والنص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ، ولم ينسب البيت ٢/٣٣٧ •

(٤) هو الخليفة عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي ، ولي الخلافة يوم وليلة ، كان شاعراً مبدعاً وأديباً مشهوراً ، ومصنفاً ، ولد سنة (٢٤٧هـ) في بغداد ، وقتل سنة (٢٩٦هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ١٠/٩٥ ، مفتاح السعادة ١/١٩٩، الاعلام ٤/٢٦١ •

(٥) القول ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ٢/٣٣٧ •

(٦) ديوان أبي الفتح البستي ص٦٥، الجامع للخطيب البغدادي ٢/٣٣٨•

يقولونَ : ذكرُ المرءِ يبقى بنسلهِ
وليسَ لهُ ذكرٌ إذا لمْ يكنْ نسلُ

فقلتُ لهم : نسلي بدائعُ حكمتي
فمن سرَّهُ نسلٌ فإنَّا بذا نسلُ

والأولى أنْ يعتني بما يعمُّ نفعهُ ، وتكثرُ الحاجةُ إليه ، وليكنْ إعتناؤهُ بما لم يُسبق الى تصنيفه ، بأنْ لا يكونَ ثم ما يُغني عن تصنيفه في جميع أساليبه ، وليتحرَّ[1] إيضاحَ العبارةِ في تأليفه ، معرضاً عن التطويلِ المملِّ والايجازِ المخلِّ معَ إعطاءِ كلِّ مُصنَّفٍ ما يليقُ به ، ولا يخرجُ[2] تصنيفَهُ من يده قبلَ تهذيبه ، وتكريرِ النظرِ فيه وترتيبه ، ومن النَّاسِ مَنْ ينكرُ التصنيفَ والتأليفَ في هذا الزَّمانِ على مَنْ ظهرتْ أهليتهُ ، وعُرِفتْ معرفتهُ ، ولا وجه لهذا الانكارِ إلاَّ التَّنافسَ بينَ أهلِ الاعصارِ ، ولله درُّ القائلِ[3] :

قُلْ لمن لا يَرى المُعاصرَ شيئاً
ويَرى للأوائلِ التَّقديما

إنَّ ذاكَ القديمَ كانَ جديداً
وسيبقى هذا الجديدُ قديما

(١) في (ب) : ( ليجزي ) .
(٢) في النسخ المخطوطة : ( يحرج ) ، وقد قومناه من تذكرة السامع والمتكلم .
(٣) لم اعثر على هذين البيتين في المصادر التي اطلعتُ عليها .

والمُتَصرِّفُ في مدادِه ، وورقِه بكتابة ما شاءَ من أشعارٍ وحكايات مباحةٍ ، أو غيرِ ذلكَ لا يُنكَرُ عليه ، فَلِمَ إذا تَصَرَّفَ فيه بتسويدِ ما ينفعُ بِهِ من علومِ الشَّريعة يُنكَرُ ويُستَهْجَنُ ؟ أمّا من لم يتأهلْ لذلكَ ، فالانكارُ [ ٦٤و ] عليه متجه" لما تضمَّنَهُ من الجَهلِ ، وتغريرِ من يقفُ على ذلكَ التصنيفِ بهِ ، ولكونه يُضيِّعُ زَمانَهُ فيما لَمْ يتقنْهُ ، ويدعُ الاتقانَ الذي هو أحرَى بهِ .

## الفصل[1] الثاني في آدابِ العالِمِ في درسهِ

وفيهِ إثنا عشرَ نوعاً :

الأوَّلُ : إذا عـزمَ علَى مجلسِ التدريسِ تَطهّرَ من الحدَثِ والخبث ، وتَنظّفَ ، وتطيّبَ ، ولَبِس من أحسنِ ثيابه اللاّئقة به بينَ أهلِ زمانهِ ، قاصداً بذلكَ تعظيمَ العلمِ ، وتبجيلَ الشّريعةِ .

كانَ مالـكُ رحمـهُ اللهُ إذا جـاءَهُ النّاسُ لطلبِ الحديثِ ، إغتسـلَ وتطيّبَ ولبِسَ ثيـاباً جُـدداً ، ووضعَ رداءَهُ على رأسهِ ، ثم يجلسُ علَى منصّته ، ولا يزالُ يتبخّرُ بالوردِ حتى يفرغَ ، وقالَ : أحبُّ أنْ أُعظِّمَ حديثَ رسـولِ اللهِ صلّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسلَّمَ[2] .

وروى الخطيبُ في الجامعِ من شـعرِ عليٍّ رَضـيَ اللهُ عنهُ[3] :

أَجدِ الثيابَ إذا اكتسيتَ فإنّها
زيـنُ الرجـالِ بِهـا تعزُّ وتكرمُ

ودعِ التواضـعَ في الثيابِ تحوّباً
فاللهُ يعـلمُ مـا تجـنُّ وتكتـمُ

---

(1) الفصل الثاني والعنوان والانواع أخذها المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٠ .

(2) تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ .

(3) الابيات غير موجودة في الديوان المنسوب للامام علي ، وقد ذكرها الخطيب الغدادي في الجامع ٢/٢٨ .

فرِثَاثُ ثوبِكَ لا يزيدُكَ زُلْفَةً
عِنْدَ الالهِ وأَنْتَ عبدٌ مُجْرِمُ

وبهاءُ ثوبِكَ لا يضرُّكَ بعدَ أَنْ
تَخْشَى الالهَ وتتقِي ما يحرمُ

ثم يصلِّي ركعتي الاستخارةِ إنْ لم يكُنْ وقتَ كراهةٍ ، ففي مسندِ أحمد من روايةِ سعد بن أبي وقاص مرفوعاً : ( من سعادةِ ابن آدم في استخارةِ الحقِّ والرضا بقضائه ، وشقاوةِ ابن آدم في تركِ الاستخارةِ ، وعدمِ الرضا بقضاءِ الحقِّ )[1] .

قلتُ : وينبغي أنْ يعبِّرَ في استخارته بما يعمُّ حركاته وما ينطقُ به من وقتهِ ذلكَ الى مثله . فقد نقلَ المجدُ اللغوي[2] عن بعضِ المحققينَ من المشايخِ [ ٦٤ظ ] الكبارِ أنَّهُ قالَ : يُستَحَبُّ للشخصِ أنْ يجعلَ في كُلِّ يومٍ وقتاً مُعَيَّناً يُصلِّي فيه صلاةَ الاستخارةِ ، ويقولُ : ( اللهُمَّ إنِّي أستَخيرُكَ بعلمِكَ ، وأستقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ ، وأسألُكَ من فضلِكَ العظيمِ ، فانَّكَ تعلمُ ولا أعلمُ وتقدِرُ ولا أقدِرُ ، وأنْتَ علَّامُ الغيوب . اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تعلمُ أنَّ جميعَ ما أتحرَّكُ فيه وأنطقُ به في حقِّي وفي حقِّ غيرِي ، جميعَ ما يتحرَّكُ فيهِ غيرِي وينطِقُ

---

(١) الحديث ذكره الامام ابن حنبل في المسند ١/١٦٨ ، وذكره الخطيب البغدادي في الجامع ٢/٢٩٣ .

(٢) ( اللغوي ) ساقطة من (م) .

بهِ في حقّي وحقِّ أهلي ووَلَدِي وما ملكتْ يميني من ساعتِي هذهِ الى مثلِها من الغدِ خيرٌ لي في ديني ومعَاشي وعاقبةِ أمرِي ، فأقدرْهُ لي ويسرْهُ لي وباركْ لي فيه ، وإنْ كنتَ تعلمُ أنَّ جميعَ ما أتحرّكُ فيهِ وأنطقُ بهِ في حقّي ، وفي حقِّ غيرِي ، وجميعَ ما يتحرّكُ فيهِ غيرِي في حقّي ، وفي حقِّ أهلي وولَدي وما ملكتْ يمينِي من ساعتِي هذهِ الى مثلِها من الغدِ شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري ، فاصرفْهُ عنّي ، واصرفنِي عنهُ ، وقدّرْ لي الخيرَ حيثُ كانَ ثم رضّنِي بهِ )[1] .

هذه الكيفيةُ ، وإنْ لم تكُنْ في الأحاديثِ ، لكنّها موافقةٌ لاطلاقِ ما جاءَ في الحثِّ على الاستخارةِ ، كحديثِ ( إذا أهمَّ أحدَكُمْ بالأمْرِ فليركعْ ركعتينِ من غيرِ الفريضةِ الحديث )[2] .

وقد كانَ أهلُ الجاهليةِ يستعملونَ في أمُورهِمْ الاستقسامَ بالازلامِ وزجرَ الطيرِ ، والعيافةَ ، والفالَ ، والتطيّرَ ، ونحوَهُ ، مما هو شعارُ الشّركِ ، فعوّضَ صاحبُ الشّرعِ صلّى [ ٦٥و ] اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ عَنْ ذلكَ مَا يتضمّنُ التوحيدَ ، والافتقارَ ،

---

(١) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ص٢٥٧ ، وقد سقطت بعض الفقرات من النص المذكور .

(٢) الحديث ذكره الامام احمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن عبدالله الانصاري ٣/٣٤٤ ، رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين ص٢٥٧، الجامع ٢/٢٩٣ .

والعبُوديَّةَ ، والتوكُلَ وسأل الرُشدِ والفلاحِ وردَّ الأمرَ الى مَنْ بيده أزمَّةُ الخيرات وإنجاحُ الطلباتِ ، ثم ( ينوي نشرَ العلمِ وتعليمَهُ ، وبثَّ الفوائدِ الشَّرعية ، وتبليغَ أحكامِ الله تعالى التي أُوتمِنَ عليها ، وأُمِرَ ببيانها ، والازديادَ من العلمِ ، وإظهارَ الصَّوابِ ، والرجوعِ الى الحقِّ ، والاجماعَ على ذكرِ الله تعالى ، والسَّلامَ على إخوانهِ من المسلمينَ ، والدعاءِ للسَّلفِ الصالحينَ )[1] .

وقد تقدمتْ عن شيخي شيخِ الاسلام فقيهِ العصرِ الشَّرفِ المناوِي أنَّهُ كانَ إذا خرجَ الى الدَّرسِ يقفُ بدهليزِ بيته حتَّى يحصلَ النيَّةَ ثم يخرجُ ، وكانَ كثيراً ما ينشدُ هذا البيتَ :

لئِنْ كانَ هذا الدمعُ يَجْرِي صَبَابةً
عَلَى غَيْرِ لَيْلَى فهو دمعٌ مُضَيَّعُ

ثم يبكي بُكاءً كثيراً .

ويُحكَى عن الامامِ محيي الدِّين النَّووي أنَّهُ كانَ يكتُبُ حتَّى تَكِلَّ يدُهُ ويعجزَ فيضعَ القلمَ ثم ينشدُ هذا البيتَ ، وهذا من بابِ قوله سبحانهُ وتعالى : ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ في

(1) ما بين القوسين أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ .

الخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ )[1] . قالَ الحسنُ : كانُوا يعملونَ أعمالَ البِرِّ ويخشَوْنَ أن لا يُتقبَّلَ منهم[2] .

الثاني[3] : إذا خرجَ من بيته دعا بالدُّعاءِ الصحيحِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، وهو : ( اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ أنْ أُضِلَّ أو أُضَلَّ ، أوْ أَزِلَّ ، أوْ أُزَلَّ ، أوْ أَظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ [ ٦٥ظ ] ، أوْ أَجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عليَّ ، عَزَّ جارُكَ ، وجلَّ ثناؤُكَ ، ولا إلهَ غيرُكَ )[4] . ثم يقولُ : بسمِ اللهِ وباللهِ حسبيَ اللهُ توكلتُ علَى اللهِ ، لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ ، اللهُمَّ ثَبِّتْ جَنَاني وأدرِ الحقَّ علَى لساني . ويُديمُ ذكرَ اللهِ تعالى الى أنْ يصلَ الى مجلسِ التدريسِ ، فاذا وصلَ إليهِ سلَّمَ على مَنْ حضرَ ، وصلَّى ركعتينِ ، إنْ لمْ يكُنْ وقتَ كراهة ، فانْ كانَ مسجداً تأكدتْ مطلقاً ، ثم يدعو اللهَ تعالى بالتوفيقِ والاعانةِ والعِصمةِ[5] .

---

(١) سورة المؤمنون الآية : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ الطبرسي ٧/١١٠ .

(٣) أخذ المصنف جزءاً من هذا النوع من تذكرة السامع والمتكلم ص٣١ ــ ٣٢ .

(٤) ذكر ابو داود جزءاً في هذا الحديث في سننه ١/٣٥٤ ، وهو بكماله في شرح المهذب للنووي ص٥٦ .

(٥) انتهى النوع الذي أخذهُ المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٣٢ .

قالَ بعضُهم : ويجلسُ مَسْتَقْبِلُ القِبلةَ كمـا في شرحِ المهذب[1] ، أي إنْ أمكنَ ، لحديثِ : ( أكـرمُ المجالسِ مـا استُقبِلَ بهِ القبلةُ )[2] ، رواهُ أبو يعلى والطَّبراني في الأوسطِ عن ابن عمر مرفوعاً ، وللطبراني في الكبيرِ عن ابن عباس ونحوه مرفوعاً ، وفـي إسنادِ كلٍّ منهما متروكٌ .

وللطَّبراني فـي الأَوسطِ من حديثِ أبي هريـرة رفعهُ : ( انَّ لكلِّ شيءٍ سيِّداً ، وانَّ سـيِّدَ المجالسِ قبالةُ القبلةِ )[3] ، وسـندهُ حسـنٌ ، لـكن قالَ ابـن حِبَّان في وصفِ الاتباعِ وبيـان الابتداعِ : إنَّهُ خبرُ موضوعٍ تفرَّدَ بهِ أبو المقدام عن محمد بن كعب عن ابن عبَّاس ، وهـو إسـنادُ الكبير للطبراني ، وقـد كانتْ أحوالُـهُ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسلَّمَ في مواعظِ النَّاسِ أنْ يخطبَ لها وهوَ مستدبرُ القبلةِ ، إنتهى .

قلتُ : وفيهِ نظرٌ ، لأنَّ إسنادَ روايةِ أبي هريرة حسنٌ ، ومَـعَ أَنَّ الحـاكمَ رواهُ فـي حديثِ طويلٍ ، وصحَّحهُ من روايةِ ابن عباس من طريقِ أبي المقدام[4]، إلاَّ أنَّ فيهِ راوٍ واهٍ ، وأما إستدبارهُ صلَّى اللهُ عليهِ

---

(١) ينظر شـرح المهـذب ١/٥٦ .
(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٠/٣٨٩ ، وفيه : (أشرف المجالس .. الخ)، الجـامع ٢/١١٩ .
(٣) المستدرك للحاكم ٤/٢٧٠ ، وفيه ( شـرفاً ) مكان ( سيداً ) .
(٤) المستدرك للحاكم ٤/٢٧٠ ، وانظر الحاشية ، قال العبسى : حدثنا ابو المقدام هشام بن زياد .

وآله وسَلَّمَ في خطبه ، فقد وجَّهَهُ الأصحابُ بأنَّ السُّنَّةَ [ ٦٦و ] كونُ المنبرِ في صدرِ المسجدِ ، فلو إستقبلَ القبلةَ معَ ذلكَ ، لكانَ خارجاً عن مقاصدِ الخطابِ ، لأنَّهُ يخاطبُ حينئذٍ من يكونُ خلفَ ظهرهِ ، ولو جُعِلَ المنبرُ في آخرِ المسجدِ واستقبلَ القبلَةَ ، فإنْ إستبدره القومُ واستقبلُوا القبلةَ أيضاً ، كانَ خارجاً عن مقاصدِ الخطابِ كما سَبقَ ، استقبلوهُ واستدبروها لزمَ تركُ الاستقبالِ لخلقٍ كثيرٍ ، وتركهُ لواحدٍ أسهلُ ، إنتهى .

فلا يصلحُ ذلكَ مستنداً لابن حِبَّان ، نعم كانَ شيخي شيخُ الاسلامِ الشَّرفُ المناوي يَجلسُ لإلقاءِ الدَّرسِ مستدبراً القبلةَ ، والقومُ أمامَهُ قياساً علَى الخطبةِ ، ويعللهُ بما سبقَ من أنَّ تركَ الاستقبالِ لواحدٍ ، يعني نفسَهُ أسهلُ من تركهِ لخلقٍ كثيرٍ ، يعني من يجلسُ أمامَهُ من القومِ .

قُلْتُ : وقد يُستَأنسُ لَهُ بِما أخرجهُ الخطيبُ في الجامعِ عن ابن جابرٍ قالَ : ( أقبلَ مغيثُ بن سُمي الى مكحول ، فأوسعَ لَهُ الى جنبه فأتَى وجلسَ مقابلَ القبلة ، وقالَ : هذا أشرفُ المجالسِ )[1] . فالظاهرُ أنَّ جلوسَ مكحول غيرُ مستقبلٍ كانَ لِمَا سبقَ ، ويكونُ جلوسُهُ[2] بوقارٍ وسكينةٍ وتواضعٍ وخشوعٍ

---

(١) الجامع ٢/١١٩ .

(٢) من هنا الى نهاية النوع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٢ ـ ٣٣ .

متربعاً ، أو غيرَ ذلكَ ممـا لا يُكرَهُ من الجلساتِ ، ولا يجلسُ مقعياً ، ولا مستوفزاً[1] ، ولا رافعاً إحدَى رجليهِ على الأُخرى ، ولا مادّاً رجليـهِ ، أو إحداهما مـن غيرِ عذرٍ ، ولا متّكئاً علَى يدهِ الى جنبهِ ، أو وراءَ ظهرهِ ، وليصنْ بدنَهُ عن الزّحفِ والتنقلِ عن مكانهِ ، ويديهِ عـن العبثِ والتشبيكِ بهمـا ، وعينيهـ عـن تفريقِ النّظرِ من غيرِ حاجةٍ ، ويتّقِي المزاحَ وكثرةَ الضحكِ ، فإنّهُ يُقلِّلُ الهيبةَ ويُسقِطُ الحشمةَ ، كما قيلَ مَنْ مزحَ إستُخِفَّ بهِ ، ومَنْ أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ بـهِ ، ولا يُدرِّسُ فـي وقـتِ جوعـهِ ، [٦٦ظ] أَوْ عطشهِ ، أَوْ همِّهِ ، أَوْ غضبـهِ ، أَوْ نعاسـهِ ، أو قلقهِ ، ولا في حالِ بردهِ المؤلمِ وحرِّهِ المزعجِ ، فرُبّما أجابَ وأفتَى بغـيرِ الصّوابِ ، ولأنّـهُ لا يمكن مـعَ ذلكَ من إستيفاءِ النّظرِ .

الثالث[2] : أنْ يجلسَ بارزاً لجميعِ[3] الحاضرينَ ، موقّراً فاضلَهم بالعلمِ والسِّنِّ والصّلاحِ والشّرفِ ، ويرفعَهُمْ على حسبِ تقدّمِهِم في الامامةِ ، ويتلطّفَ بالباقين ويُكرِمَهم بحسنِ السّلامِ ، وطلاقةِ الوجهِ ، ومزيـدِ الأحترامِ ، ولا يكرهَ القيـامَ لأكابـرِ أهـلِ

---

(١) يقال استوفز في قعدته : اي انتصب فيها من غير اطمئنان .

(٢) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع واتكلم ص٣٣-٣٤ .

(٣) وهي الطريقة المتبعة في الجامعات في الشرق والغرب ، حيث يجلس الاستاذ على منصة مشرفة على جميع الطلاب المتواجدين في قـاعة الـدرس .

الأسلامِ علَى سبيلِ الاكرامِ ، وقد وردَ إكرامُ العلماءِ ، وإكرامُ طلبةِ العلمِ في نصوصٍ كثيرةٍ ، ويلتفتَ الَى الحاضرينَ التَفاتاً قصداً بحسبِ الحاجةِ ، ويخصَّ من يكلِّمُهُ أَوْ يسألهُ أوْ يبحثُ معَهُ علَى الوجهِ عندَ ذلكَ بمزيدِ التفاتٍ اليهِ واقبالٍ عليهِ ، وإنْ كانَ صغيراً أو ضعيفاً[1] ، فانَّ تركْ ذلكَ من أفعالِ المتجبِّرينَ والمتكبِّرينَ .

الرابعُ[2] أَنْ يقدِّمَ علَى الشروعِ في البحثِ والتدريسِ قراءةَ شيءٍ من كتابِ الله تعالى تبرُّكاً وتيمُّناً ، وكما هو العادةُ فانْ كانَ في مدرسةٍ شُرِطَ فيها ذلكَ اتَّبعَ الشَّرطَ ، ويدعُو عقبَ القراءةِ لنفسهِ وللحاضرينَ وسائرِ المسلمينَ ، ثم يستعيذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرجيمِ ، ويسمّي اللهَ تعالى ويحمدهُ ، ويصلِّي على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وآلهِ وسلَّمَ وعلَى أصحابهِ ، ويترضَّى على أئمةِ المسلمينَ ومشايخه ، ويدعو لنفسهِ وللحاضرينَ ووالديهم أجمعينَ ، وعن واقفِ مكانه ، إنْ كانَ في مدرسةٍ ، أو نحوها جزاءً لحسنِ فعلهِ وتحصيلاً لقصده ، وكانَ بعضُهم يؤخرُ ذكرَ نفسه في الدُّعاءِ عن الحاضرينَ تأدُّباً وتواضُعاً ، لكنَّ الدعاءَ لنفسه قربةٌ وبه اليه حاجةٌ ، والأيثارُ بالقربِ ، وبما يحتاجُ اليهِ شرعاً خلافُ المشروعِ ، ويؤيدهُ [ ٦٧و ] قولُهُ تعالى : ( قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

(١) في تذكرة السامع والمتكلم : ( وضيعاً ) .
(٢) النوع الرابع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٤ـ٣٥ .

نَاراً )[1]. وقالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ: ( ابدأ بنفسكَ ثم بمن تعولُ )[2] ، وهذا الحديثُ وإنْ وردَ في الأنفاقِ فالمحققونَ يستعملونَه في امورِ الآخرةِ ، وبالجملةِ فالكلُّ[3] حسنٌ ، وقد عملَ بالأوَّلِ وبالثَّاني آخرونَ .

الخامسُ[4] إذا تعدَّدت الدُّرُوسُ قُدِّمَ الأَشرفُ فالاشرفُ ، والأهمُّ فالأَهمُّ ، فيُقدَّمُ تفسيرُ القرآنِ ثم الحديثُ ثم اصُولُ الدِّين ، ثم المذهبُ ، ثم الخلافُ ، أو النحوُ أو الجدلُ .

قلتُ[5] : وهذا حيثُ اتَّخذَ القاري ، أوْ لم يعوِّلْ على السبقِ على ما سيأتي .

وكانَ بعضُ العلماءِ الزهادِ يختمُ الدروسَ بدرسِ رقائقٍ يفيدُ بهِ الحاضرينَ تطهيرَ الباطنِ ، ونحوِ ذلكَ من عظةٍ ورقَّةٍ وزهدٍ وصبرٍ ، فانْ كانَ في مدرسةٍ ، ولَوافقَها في الدَّروسِ شرطٌ اتَّبعَهُ ، ولا يخلُّ بما هو أَهمُّ ما بُنيتْ لَهُ تلكَ البنيةُ ووُقِفَتْ لاجلهِ .

---

(1) سورة التحريم الآية : ٦ .

(2) الحديث أورده البخاري في صحيحه ١/٩٢ .

(3) لو قال : ( وكل ذلك حسن ) أصح ، لأن (كل) لا تعرّفُ بالألف واللام ، بل تكون ملازمة للاضافة .

(4) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٥-٣٩.

(5) هذا السطر من المصنف .

ويصـلُ في درسـه ما ينبغي وصلَه ، ويقـفُ في مواضعِ الوقفِ ، ومنقطعِ الكلامِ ، ولا يذكرُ شـبهةً في الدِّين في درسٍ ، ويؤخرُ الجـوابَ عنها إلى درسٍ آخر ، بل يذكرهما جميعاً ، أو يدعهما جميعاً ، وينبغي ألاّ يطيلَ الدَّرسَ تطويلاً يُمَلُّ ، ولا يقصره تقصيراً يخلُّ ، ويراعي في ذلكَ مصلحةَ الحاضرينَ ، ولا يبحثُ في مقامٍ ، أو يتكلّمُ في فائدةٍ إلاّ في موضعِ ذلكَ ، فلا يقدمهُ عليهِ ولا يؤخرهُ عنهُ إلاّ لمصلحةٍ تقتضِي ذلكَ ، ويرجِّحـهُ .

السادس[1] ألاّ يرفـعَ صوتَهُ زائداً على قـدرِ الحـاجةِ ، ولا يخفضهُ خفضـاً لا يحصلُ معَهُ كمـالُ الفائـدةِ ، روَى الخطيبُ في الجامعِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَليهِ وآلهِ وسلَّمَ قالَ : ( إنَّ اللهُ يُحبُّ الصوتَ الخفيضَ ، ويبغضُ الصوتَ الرفيعَ )[2] ، وقالَ أبو عثمان بن امامنـا الشَّافـعي : ( ما سمعتُ أبي يُناظرُ [٦٧ظ] فرفعَ صوتَهُ )[3]، قال البيهقي : ( أرادَ ــ واللهُ أعلم ــ فوقَ عادتهِ )[4] ، الأَولَى أَن لا يجاوزَ صوتُهُ مجلسَهُ ، ولا يقصرُ عن سـماعِ الحاضرينَ ، فـإنْ حضَرَ فيهم ثقيلُ السَّمعِ ، فلا بأسَ بعلـوِّ صوتـهِ بقدرِ ما يسمعهُ ، فقد رُوِيَ في فضيلةِ ذلكَ حديثٌ :

---

(١) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٣٩ .

(٢) كتاب الجامع للخطيب البغدادي ٥٨/٢ .

(٣) مناقب الشـافعي ٢١٦/١ .

(٤) مناقب الشـافعي ٢١٧/١ .

( ولا يسردُ الكلامَ سرداً بل يرتلهُ ويرتبهُ ويتمهلُ فيهِ ليفكِّرَ فيهِ هو وسامعهُ )[1] ، وقد رُوِيَ أَنَّ كلامَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ كانَ فصلاً يفهمهُ مَنْ سمعهُ ، وأَنَّهُ كانَ إذا تكلَّمَ بكلمةٍ أعادها ثلاثاً ليُفهَمَ عنهُ ، وإذا فرغَ من مسألةٍ أوْ فصلٍ سكتَ قليلاً حتَّى يتكلَّمَ مَنْ في نفسهِ كلامٌ عليهِ ، لأَنَّا سنذكرُ إنْ شاءَ اللهُ أَنَّهُ لا يُقطعُ على العالِمِ كلامهُ ، فاذا لم يسكتْ هذهِ السكتةَ رُبَّما فاتتِ الفائدةُ .

السابعُ[2] أَنْ يصونَ مجلسَهُ عن اللَّغطِ ، فإنَّ الغلطَ تحتَ اللَّغطِ ، وعن رفعِ الأَصواتِ واختلافِ جهاتِ البحثِ . قالَ الربيعُ : ( كانَ الشَّافعي اذا ناظرهُ انسانٌ في مسألةٍ فغدا الى غيرِها ، يقولُ : نفرغُ من هذهِ المسألةِ ثم نصيرُ الى ما تُريدُ )[3] ، ويلتطفُ في دفعِ ذلكَ في مباديهِ قبلَ انتشارهِ وثورانِ النُّفُوسِ ، ويذكِّرُ الحاضرينَ بما جاءَ في كراهةِ المماراةِ ، لاسيما بعدَ ظهُورِ الحقِّ ، وإنَّ مقصودَ الاجتماعِ ظهُورُ الحقِّ وصفاءُ القلوبِ وطلبُ الفائدةِ ، وإنَّهُ لا يليقُ بأهلِ العلمِ تعاطي المنافسةَ والشَّحناءِ،

---

(١) الحديث عن عائشة ام المؤمنين كما ذكر ابو داود وهو : ( ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث مثل سردكم ) سنن أبي داود ٢/٢٨٨ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ .

(٢) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٠ .

(٣) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٠ .

لأَنَّها سببُ العداوةِ والبغضاءِ ، بل يجبُ أَنْ يكونَ الاجتماعُ ومقصودُهُ خالصاً للهِ تعالى لتُثمرَ الفائدةُ في الدُّنيا والسَّعادةُ في الآخرةِ ، ويتذكّرُ قولَهُ تعالى : ( لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ )[1] [٦٨و] ، فانَّهُ يُفهَمُ أنَّ إرادةَ ابطالِ الحَقِّ وتحقيقِ الباطِلِ صفةُ إجرامٍ ، فليحذرَ منهُ .

الثامنُ[2] أَنْ يزجرَ من تعدَّى في بحثهِ ، أَو ظهرَ منهُ لَدَدٌ في بحثهِ ، أَوْ سوءُ أَدبٍ ، أوْ تركَ الأنصافَ بعدَ ظهُورِ الحقِّ ، أَو أكثرَ الصِّياحَ بغيرِ فائدةٍ ، أَو أَساءَ أدبَهُ علَى غيرِهِ من الحاضرينَ أو الغائبينَ ، أَو ترَفَّعَ في المجلسِ علَى من هو أَوْلَى منهُ ، أَو نامَ ، أو تحدَّثَ معَ غيرِه ، أَوْ ضحكَ ، أو استهزأَ بأحدٍ من الحاضرين ، أو فعلَ ما يخلُّ بأدبِ الطَّلبِ[3] في الحلقةِ ، وسيأتي تفصيلهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، هذا كلُّهُ بشرطِ أَنْ لا يترتبَ علَى ذلكَ مفسدَةٌ ترْبُو عليهِ .

---

(١) سورة الانفال الآية : ٨ .

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤١ .

(٣) وهذا ما يسمَّى بحفظ نظام القاعة في الوقت الحاضر لتعم الفائدة لجميع الطلبة .

وينبغي أن يكون له نقيب"[1] فطن" كيس" ذرب" يرتب الحاضرين ، ومن يدخل عليهم على قدر منازلهم ، ويوقظ النائم ، ويشير إلى من ترك ما ينبغي فعله ، أو فعل ما ينبغي تركه ، ويأمر بسماع الدروس والأنصات لها .

التاسع[2] أن يلازم الأنصاف في بحثه وخطابه ، ويسمع السؤال من مورده على وجهه ، وإن كان صغيراً ، ولا يترفع عن سماعه ، فيحرم الفائدة ، وإذا عجز عن تقرير ما أورده ، أو تحرير العبارة فيه لحياء ، أو قصور ووقع على المعنى ، عبر عن مراده ، وبين وجه ايراده ، ورد على من رد عليه ، ثم يجيب بما عنده ، أو يطلب ذلك من غيره ،(ويقصد بذلك النصح والارشاد وطلب النجاة ، وما يعود نفعه على الكل[3] ، ويكلم كل واحد على قدر عقله وفهمه ، فيجيب بما يحتمله حال السائل )[4] ، ويتروى فيما يجيب به ، وإذا سئل عما لم يعلمه قال : لا أعلمه أو لا أتحققه ، أو لا أدري ، فمن العلم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم أو الله أعلم ، فقد قال [٦٨ظ] ابن مسعود رضي الله عنه ، يا أيها الناس

---

(١) وهذا ما يعرف بمراقب الصف أو القاعة في الوقت الحاضر .

(٢) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٢-٤٣.

(٣) هذا وهم من المصنف ، لأن كلمة (كل) لا تعرف بالألف واللام ، لأنها تكون ملازمة للاضافة .

(٤) العبارة التي بين القوسين من المصنف .

( من علمَ شيئاً فليقُلْ بهِ ، ومَنْ لم يعلمْ فليقُلْ : اللهُ أَعلمُ ، فإنَّ من العلمِ أَنْ يقولَ لما لم يعلمْ : اللهُ أَعلمُ )[1] ، وعن بعضهم[2] ( لا أَدري نصفُ العلمِ )[3] ، وعن ابن عباس : ( إذا أَخطأَ العالمُ لا أَدري أُصيبتْ مقاتله )[4] ، وقيلَ ينبغي للعالمِ أنْ يورثَ أصحابَهُ لا أَدري لكثرةِ ما يقولها .

قالَ محمدُ[5] بن الحكم : ( سألتُ الشافعي عن المتعةِ ، أَكانَ فيها طلاقٌ ، أَو ميراثٌ ، أو نفقةٌ تجبُ ، أَو شهادةٌ ؟ فقالَ : واللهِ ما أَدري )[6] .

واعلم أنَّ قولَ المسؤولِ : لا أَدري لا يضعُ من قدرهِ كما يظنُّهُ بعضُ الجهلةِ ، لأَنَّ المتمكنَ لايضرهُ عدمُ معرفةِ بعضِ المسائلِ ، بل يرفعُهُ قولُهُ لا أَدري ، لأَنَّهُ دليلٌ علَى عظمِ محلهِ ، وقوةِ دينهِ ، وتقوَى ربِّهِ ، وطهارةِ قلبهِ ، وكمالِ معرفتهِ ، وحسنِ تثبتهِ ، وقد روينَا معنَى ذلكَ عن جماعةٍ من السَّلفِ ،

---

(١) سنن الدارمي ١/٥٦ .

(٢) هو الشعبي كما ذكر الدارمي في سننهِ ١/٥٧ .

(٣) سنن الدارمي ١/٥٧ .

(٤) مناقب الشافعي ٢/١٥١ ، وفيه عن مالك بن انس قال : سمعت محمد بن العجلان يقول ، وذكر الكلام .

(٥) هو محمد بن عبدالله بن الحكم ، فقيه شافعي انتهت اليه رئاسة العلم في مصر ، توفي سنة (٢٦٨هـ) . ترجمته في وفيات الاعيان ١/٥٧٨ .

(٦) مناقب الشافعي ٢/١٥٢ .

وإنَّما يأنفُ من قول لا أَدري مَنْ ضعُفتْ ديانتهُ ، وقلَّتْ معرفتهُ ، لأَنَّهُ يخافُ من سقوطهِ من أَعينِ الحاضرينَ ، ولا يخافُ من سقوطهِ من نظرِ ربِّ العالمينَ ، وهذهِ جهالةٌ ورقةُ دينٍ ، وربَّما يشتهرُ خطأهُ بينَ النَّاسِ ، فيقعُ فيما فرَّ منهُ ، ويتَّصفُ عندَهم بما احترزَ عنهُ ، وقد أَدَّبَ اللهُ تعالى العلماءَ بقصَّةِ موسى معَ الخَضرِ عليهما السَّلامُ حينَ لم يردَّ موسى العلمَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لمَّا سُئِلَ هل في الأَرضِ أَعلمُ منكَ[1] ؟ .

العاشرُ[2] أَنْ يتوددَ لغريبٍ حضرَ عندَهُ وينبسطَ لهُ ، لينشرحَ صدرهُ ، فإنَّ للقادمِ دهشةً ، ولا يكثرُ الالتفاتَ والنظرَ إليه استغراباً لهُ ، فإنَّ ذلكَ يخجلهُ . وإذا أَقبلَ بعضُ الفضلاءِ ، وقد شرعَ في مسألةٍ أَمسكَ عنها حتَّى يجلسَ ، وإنْ جاءَ وهو يبحثُ [ ٦٩و ] في مسألةٍ أَعادها لهُ ، أو مقصودَها . وإذا أَقبلَ فقيهٌ وقد بقيَ لفراغهِ وقيامِ الجماعةِ بقدرِ ما يصلُ الفقيهُ إلى المجلسِ فليؤخر تلكَ البقيَّةَ ، ويشتغلُ عنها ببحثٍ أَو غيرهِ إلى أَنْ يجلسَ الفقيهُ ،

---

(١) عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ان موسى عليه السلام قام خطيباً في بني اسرائيل ، فسُئِلَ أي الناس اعلم ؟ قال : أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ، فأوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك ... الخ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٩٢ .

(٢) النوع العاشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٤٣ ـ ٤٤ .

ثم يعيدُها ، أَو يُتمّ تلكَ البقيَّةَ ، كيلا يخجلَ المقبلُ بقيامِهم عندَ جلوسهِ · وينبغي مراعاة مصلحةِ الجماعةِ في تقديم وقتِ الحضورِ وتأخيرهِ إذ لم يكُنْ عليهِ فيه ضرورةٌ ولا مزيدَ كلفةٍ ، وأفتى بعضُ أكابرِ العلماءِ أَنَّ المدرِّسَ إذا ذكرَ الدَّرسَ في مدرستهِ قبلَ طلوعِ الشَّمسِ ، أَو أَخَّرَهُ إلى بعدَ الظهرِ ، لم يستحقْ معلومَ التدريسِ إلاَّ أن يقتضيهِ شرطُ الواقفِ ، لمخالتفهِ العرفَ المعتادَ في ذلكَ ·

الحادي[1] عشرَ جرتِ العادةُ أَنْ يقولَ المدرِّسُ عندَ ختمِ كلِّ درسٍ واللهُ أَعلمُ ، وكذلكَ يكتبُ المفتي بعدَ كتابَةِ الجوَّابِ ، لكنَّ الأَولَى أنْ يُقالَ قبلَ ذلكَ كلامٌ يُشعِرُ بختمِ الدَّرسِ ، كقولهِ : وهذا آخرُهُ ، أَو ما بعدَهُ يأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، ونحو ذلكَ ، ليكونَ واللهُ أعلمُ خالصاً لذكرِ الله تعالى ، ولقصدِ معناهُ ، ولهذا ينبغي أَنْ يستفتحَ كلَّ درسٍ ببسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، أو الحمدُ لله ، كما يفتحُ جوابَ الفتيا بذلكَ ، ليكونَ ذاكراً للهَ تعالى في بدايته وخاتمتهِ ·

والأولى للمدرِّسِ أَنْ يمكثَ قليلاً بعدَ قيامَ الجماعةِ ، فإنَّ فيه فوائدَ وآداباً لهُ ولهم ، منها عدمُ مزاحمتِهم ، ومنها إنْ كانَ في نفسِ أَحدٍ بقايا

(١) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص٤٤ ــ ٤٥ ·

سُؤالٍ سألهُ، ومنها عدمُ ركوبهِ بينهم إن كانَ يركبُ وغيرُ ذلكَ .

ويُستَحبُّ إذا قامَ أَن يدعُوَ بما وردَ بهِ الحديثُ : ( سُبحانكَ اللهُمَّ وبحمدِكَ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ أستغفرُكَ وأَتوبُ [ ٦٩ظ ] إليكَ )[1] .

الثاني[2] عشرَ أَنْ لا ينتصبَ للتدريسِ إذا لم يكُنْ أَهلاً لهُ ، ولا يذكرَ الدَّرسَ من علمٍ لا يعرفهُ سَواءً شرطهُ الواقفُ أَوْ لم يشرطْهُ ، فإنَّ ذلكَ لعبٌ في الدِّينِ وإزراءٌ بينَ النَّاسِ .

قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ : ( المُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ )[3] ، وعن الشّبليِّ[4]: ( من تصَدَّرَ قبلَ أوانه ، فقد تصدَّى لهوانهِ )[5] . وعن أَبي حنيفة : ( من طلبَ

(1) الدعاء للدكتور محمد السيد طنطاوي ص١٩٥ ، وفيه عن أبي هريرة .

(2) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ ـ ٤٦ .

(3) شرح المهذب ١/٥٨ ، جمهرة الامثال لابي هلال العسكري ١/٢٦٩ .

(4) هو أبو بكر الشبلي دُلفُ بن جَحْدَرَ ، أو جعفر ، أصله من خراسان ، وولد في بغداد ، كان عالماً وفقيهاً من فقهاء المالكية ، توفي سنة (٣٣٤هـ) .
ترجمته في حلية الاولياء ١٠/٣٦٦ ، صفة الصفوة ٢/٣٥٨ ، شذرات الذهب ٢/٣٣٨ .

(5) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ .

الرئاسةَ في غيرِ حينه لم يزلْ في ذلٍّ ما بقيَ )[1] ، واللّبيبُ مَنْ صانَ نفسَهُ عن تعرّضِها لما يُعدُّ فيه ناقصاً أو بتعاطيه ظالماً أو باصراره فاسقاً ، فانّهُ متى لم يكنْ أهلاً لما شرطهُ الواقفُ في وقفه ، أو لما يقتضيه عرفَ مثله ، كانَ باصراره على تناولِ ما لا يستحقّهُ فاسقاً ، فانْ كانَ الواقفُ شرطَ في الوقفِ أنْ يكونَ المدرّسُ عامياً ، أو جاهلاً لم يصحّ شرطهُ ، وإن شرطَ جعْلَ ناقصٍ مخصوصٍ مدرّساً ، سقطَ اسمُ الفسقِ وخطرُ الأثمِ ، ويبقى النقصُ بهِ والاستهزاءُ بهِ لحالهِ ، ولا يرضى ذلكَ لنفسه أريب" ، ولا يتعاطاهُ معَ الغنى عنهُ لبيب" ، ولا يظهرُ من واقفٍ شرطُ ذلكَ قصدَ الانتفاع ، ولا يؤُولُ أمرُ وقفهِ إلاّ إلى ضياعٍ ، وأقلُّ مفاسدَ ذلكَ أنَّ الحاضرينَ يفقدونَ الأنصافَ لعدمِ من يرجعونَ اليهِ عندَ الأختلاف ، لأنَّ ربَّ الصدرِ لا يعرفُ المصيبَ فينصرهُ ، أو المخطيء فيزجرهُ .

وقيلَ لأبي حنيفة رحمهُ اللهُ في المسجدِ حلقة" ينظرونَ في الفقه ، فقالَ : ( ألهُم رأس" ؟ قالُوا : لا ، قالَ : لا يفقهُ هؤلاءِ أبداً )[2] ، ولبعضهم في تدريس من لا يصلح :

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص٤٥ .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/٨٣ ، وفيه أخبرني بعض الكوفيين : ( قيل لأبي حنيفة ... الخ ) .

تصدَّرَ[1] للدَّرسِ كـلُ مهوِّس
جَهُول ليُسمَّى بالفقيهِ المدرِّسِ

[ ٧٠و ] فحق لأهلِ العلمِ أنْ يتمثلوا
ببيتٍ قـديمٍ شاعَ في كلٍّ مجلسِ

لَقَدْ هَزلتْ حتَّى بدا مِنْ هزالِها
كلاها وَحتَّى سامَها كلُّ مغلِسِ

(١) هذه الابيات لم يذكرها أحد إلا بدرالدين بن جماعة في كتابه تذكرة السامع والمتكلم ص٤٦ .

## الفصل[1] الثالث

## في آداب العالم مع طلبته مطلقاً وفي حلقته

وهو أربعة عشر نوعاً :

الأول أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى ، ونشر العلم ، وإحياء الشرع ، وظهور الحق ، وخمول الباطل ، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها ، وإغتنام ثوابهم ، وتحصيل ثواب من ينتهي اليه علمه من بعدهم ، وبركة دعائهم له ، وترحمهم عليه ، ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، وعداده في حملة مبلغي وحي الله واحكامه ، فان تعليمه العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين . على ما سبق إيضاحه أولاً ، ونعوذ بالله من قواطعه ومكدراته وموجبات حرمانه وفواته .

الثاني[2] أن لا يمتنع من تعليم الطالب ، لعدم خلوص نيته ، قال في شرح المهذب : ( قالوا : وينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، فانه يرجى له حسن النية ، وربما عسر في كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية ، لضعف نفوسهم ، وقلة انسهم بموجبات تصحيح

(١) الفصل والنوع آخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٦ ـ ٤٧ .

(٢) هذا السطر من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٧ .

النيَّـــةِ ، والامتناعُ من تعليمهم يؤدي الى تفويتِ كثيرٍ من العلمِ معَ أنَّهُ يُرجَى ببركةِ العلمِ تصحيحـها إذا أَنِسَ بالعلمِ ، وقد قالوا : ( طلبنـا العلمَ لغيـرِ الله فأبَى أَنْ يكونَ إلاَّ للهِ )[1] ، معناهُ صارتْ عاقبتهُ أنْ صارَ للهِ )[2] إنتهى ٠

وينبغي للشيخ أَنْ يحرِّضَ[3] المبتَديء على حسنِ النيَّةِ بتدريجٍ ، ويعلِّمهُ بعدَ أنسهِ [٧٠ظ] بهِ أَنَّهُ ببركةِ حسنِ النيَّةِ ينالُ الرُّتبةَ العليَّةَ من العلمِ والعملِ ، وفيضَ اللَّطائِفِ وأَنواعَ الحِكمِ ، وتنوير القلب ، وانشراحَ الصدرِ ، وتوفيقَ العزمِ ، واصابةَ الحقِّ وحسنَ الحالِ ، والتَّسديدَ في المقالِ ، وعلـوَّ الـدرجاتِ ٠

الثالث[4] أَنْ يرغِّبَهُ في العـلمِ وطلبـهِ في كثيرِ الأَوقاتِ بذكرِ ما أَعدَّ اللهُ تعالى للعلمـاءِ من منـالِ الكراماتِ ، وأنَّهم ورثةُ الأَنبياءِ ، وعلى منابرَ مـن نورٍ يغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ ونحو ذلكَ مما وردَ في فضلِ العلمِ والعلماءِ ، من الآياتِ والأخبارِ والآثـارِ والأَشعارِ ، ويرغِّبُهُ[5] مـعَ ذلكَ بتدريجِ مـا يعينُ

---

(١) الحديث في سنن الدارمي ١/٨٥ ٠

(٢) النص من شرح المهذب ص٥٠ ـ ٥١ ٠

(٣) تكملة النوع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٨ ٠

(٤) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٨ـ٤٩ ٠

(٥) فالاستاذ الناجح في درسه في الوقت الحاضر ، هو الذي يجعل طلبته يقبلون على العلم برغبة ، لأن الرغبة هي التي تجعل الطالب مجـداً مجتهداً مبتكراً ، يفيد الامة والوطن ٠

علَى تحصيله مـن الاقتصـار علَى الميسـور وقـدر الكفاية من الدُنيا ، والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلّق بها وغلبة الفكر وتفريق الهمّ بسـببـهـا ، فان انصراف القلب عن تعلّق الأطمـاع بالدُنيـا والأكثار منها ، والتأسُّف علَى فائتها أجمع لقلبه ، وأروح لسرّه ، وأشرف لنفسه ، وأعلَى لمكانته ، وأقل لحسّاده ، وأجدر بحفظ العـلم وازديـاده ، ولذلك قلّ من نال من العلم نصيباً وافراً إلاّ من كان في مبادىء تحصيله على ما ذكرت من الفقر والقنـاعة والاعراض عن طلب الدُنيا وعرضـها الفاني ، وسيأتي في هذا النوع أكثر من هذا في أدب المتعلّم إن شـاء الله تعـالى .

الرابع[1] أن يحب لطالبـه ما يُحـبُّ لنفسـه ، كما جاء في الحديث : ( ويكره له ما يكره لنفسه )[2]. قال ابن عباس : ( أكرم النّاس عليّ جليسي الـذي يتخطّى رقاب النّاس إليّ ، لو استطعت أن لا يقع الذُباب عليه لفعلت ، وفي رواية أنّ الذُباب ليقـع عليه فيؤذيـني )[3]. وينبغي أن يعتني بمصالح الطالب ويعامله بما يعامل به أعزّ أولاده من الحنو والشفقة [ ٧١و ] عليه ، والاحسان إليه ، والصبر علَى جفاءٍ[4]

---

(١) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٤٩ـ٥٠ .

(٢) يقصد الحديث الشريف : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبُ لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ) شرح المهذب ١/٥١ .

(٣) كلام ابن عباس في الفقيه والمتفقه ٢/١١٢ ، شرح المهذب ١/٥١ .

(٤) في ب ( خطأ ) وهو تحريف .

رُبَّما وقعَ منهُ ، ونقصٍ لا يكادُ يخلُو الأنسانُ عنهُ ، وسُوءِ أَدبٍ في بعضِ الأَحيانِ ، ويبسطَ عذرَهُ بحسبِ الامكانِ ، ويوقفَهُ معَ ذلكَ علَى ما صدرَ منهُ بنصحٍ وتلَطّفٍ ، لا بتعنيفٍ وتعسّفٍ قاصداً بذلكَ حسنَ تربيتهِ وتحسينَ خُلُقهِ وإصلاحَ شأنهِ ، فإنْ عرفَ ذلكَ لذكائهِ بالاشارةِ ، فلا حاجةَ إلى تصريحِ العبارةِ ، وإنْ لم يفهمْ ذلكَ إلاَّ بصريحِها أتَى بهِ ، وراعَى التدريجَ في التَّلَطّفِ ، ويؤَدِّبهُ بالآدابِ السنيَّةِ ، ويحرِّضهُ علَى الأخلاقِ المرضيَّةِ ، ويوصيهِ بالأمورِ العرفيَّةِ الموافقةِ للاوضاعِ الشرعيَّةِ .

الخامسُ[1] أَنْ يسمحَ لهُ بسهولةِ الالقاءِ في تعليمهِ ، وحسنِ التلطّفِ في تفهيمهِ ، لاسيما إذا كَانَ أهلاً لذلكَ لحسنِ أَدبهِ وجودةَ طلبهِ ، ويحرِّضهُ علَى ضبطِ الفوائدِ وحفظِ النَّوادرِ الفرائدِ ، ولا يدخرُ عنهُ من أَنواعِ العلومِ ، وما يسألهُ عنهُ ، وهو أهلٌ لهُ ، لأَنَّ ذلكَ رُبَّما يوحشُ الصدرَ وينفرُ القلبَ ، ويورثُ الوحشةَ .

وكذلكَ لا يُلقي اليهِ ما لم يتأهلْ لهُ ، لأنَّ ذلكَ يبدِّدُ ذهنَهُ ، ويفرِقُ فهمَهُ[2]، فإنْ سألَهُ الطالبُ شيئاً من ذلكَ لم يُجبْهُ ، ويعرِّفهُ أَنَّ ذلكَ يضرُّهُ ولا ينفعُهُ ، وأَنَّ منعَهُ إيَّاهُ شفقةٌ عليهِ ، ولطفٌ

---

(١) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥١ـ٥٢ .
(٢) في (ب) : ( همه ) وهو تحريف .

بهِ لا بخلاً عليهِ ، ثم يرغّبهُ عندَ ذلكَ في الأجتهادِ والتحصيلِ ، ليتأهلَ لذلكَ وغيرهِ . وقد رُوِيَ في تفسيرِ الرّبانيِّ أنّهُ الّذي يُربي النّاسَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارهِ .

السادسُ[1] أنْ يحرصَ علَى تعليمهِ وتفهيمهِ ببذلِ جهدهِ وتقريبِ المعنَى لهُ من غيرِ اكثارٍ لايحتملهُ ذهنه ، أو بسطٍ لا يضبطهُ حفظهُ ، ويوضّحَ لمتوقفِ الذّهنِ العبارةَ [ ٧١ظ ] ويحتسبَ إعادةَ الشّرحِ لهُ وتكرارهِ . ويبدأَ بتصويرِ[2] المسائلِ وتوضيحها بالأمثلةِ وذكرِ الدّلائلِ ، ويقتصرَ على تصويرِ المسألةِ وتمثيلها لمن لم يتأهلْ لفهمِ مأخذِها ودليلها، ويذكرَ الأدلةَ والمآخذَ لمحتملها ، ويبيّنَ لهُ معاني أسرارِ حكمها وعللها ، وما يتعلّقُ بتلك المسألةِ من فرعٍ وأصلٍ ، ومن وهمٍ فيها في حكمٍ ، أوْ تخريجٍ ، أو نقلِ عبارةٍ حسنةِ الأداء بعيدةٍ عن تنصيصِ أحدٍ من العلماءِ ، ويقصدَ ببيانِ ذلكَ الوهمِ طريقَ النّصيحةِ ، وتعريفَ النّقولِ الصّحيحةِ ، ويذكرَ ما يشابهُ تلكَ المسألةَ ، ويناسبُها ، ويفارقُها ، ويقاربُها ، ويبيّنَ مأخذَ الحكمينِ والفرقَ بينَ المسألتينِ . ولا يمتنعُ من

---

(١) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٢-٥٣.

(٢) التصوير والتوضيح : اي استعمال وسائل بيانية تقرب معنى المسائل الى الطلاب بحيث يتمكنون من فهم المسألة ، واكثر ما تستعمل هذه الوسائل مع الطلاب الذين تقل معرفتهم للمسائل الصعبة ، وقد تستعمل هذه الوسائل بكثرة مع الطلاب المبتدئين في الدراسة ، حيث يستعمل لهم المعلم وسائل الايضاح لتقريب الدرس الى اذهانهم.

ذكرِ لفظةٍ يَستحيي من ذكرها عادةً إذا احتيجَ اليها ، ولم يتمَّ التوضيحُ إلاَّ بذكرِها ، فإنْ كانتِ الكنايةُ تفيدُ معناها وتحصِّلُ مقتضاهـا تحصيلاً بيِّنـاً ، لـم يصرِّحْ بذكرِهـا بل يكتفي بالكنايةِ عنها ، وكذلكَ إذا كانَ في المجلسِ من لا يليقُ ذكرها بحضورهِ ، لحيائهِ أوْ لجفائهِ يكنَّى عن تلكَ اللَّفظةِ ، ولهـذهِ المعـاني واختلاف الحال ورودٌ في حديثِ النَّبيِّ صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ التصريحُ تارةً ، والكنايةُ اخرَى .

السابعُ[1] إذا فرغَ الشيخُ من شرحِ درسٍ فـلا بأسَ بطرحِ مسائلِ تتعلَّقُ بهِ علَى الطَّلبةِ يمتحنُ بها فهمَهم وضبطَهم لما شرحَ لهم، فمَنْ ظهرَ استحكامُ فهمه لهُ بتكرارِ الأصابةِ في جوابهِ شكرهُ ، ومن لـم يفهمْهُ تلطَّفَ في اعادته لَهُ ، والمعنَى بطرحِ المسائلِ انَّ الطالبَ ربما استحيا من قوله : لم أفهم ، إمَّا لرفعِ كلفة الأعادةِ على[2] الشيخِ ، أولضيقِ الوقتِ ، أو حيـاءً منَ الحاضرينَ ، أو كيـلا [ ٧٢و ] تتأخرَ قراءتهم بسـببهِ .

لذلكَ قيلَ لا ينبغي للشيخِ أَن يقولَ للطـالب : هل فهمتَ ؟ إلاَّ إذا أَمِنَ من قولهِ : نعم قبلَ أن يفهمَ ، فإنْ لم يأمنْ من كذبهِ لحياءٍ أَو غيرهِ ، فلا يسألهُ عن فهمِهِ ، لأَنّهُ رُبَّما وقعَ في الكذبِ بقولـهِ : نعم لمـا

---

(١) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٣ـ٥٤ .

(٢) كذا في ب ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي الاصل ، (م) ( عن ) وهو تحـريف .

قلناهُ من الأَسبابِ ، بل يطرحُ عليهِ مسائِلَ[1] كما ذكرناهُ ، فإنْ سألَهُ الشيخُ عن فهمِه فقالَ : نعم ، فلا يطرحُ عليهِ المسائِلَ بعدَ ذلكَ إلاّ أَن يستدعيَ الطالبَ ذلكَ لأَحتمالِ خجله بظهورِ خلافِ ما أَجابَ بهِ .

وينبغي للشيخِ أَنْ يأمرَ الطلبةَ بالمرافقةِ في الدَّرسِ كما سيأتي إن شاءَ اللهُ تعالى ، وباعادة الشَّرحِ بعدَ فراغهِ فيما بينهم ليثبتَ في أذهانهم ويترسَّخَ في أفهامهم ، ولأَنَّهُ يحثُّهُم علَى استعمالِ الفكرِ ، ومؤاخذةِ النفسِ بطلبِ التَّحقيقِ .

الثامنُ[2] أَنْ يطالبَ الطلبةَ في بعضِ الأوقاتِ باعادةِ المحفوظاتِ ، ويمتحنَ ضبطَهم لمَا قدَّمَ لهم من القواعدِ المهمَّةِ ، والمسائلِ الغريبةِ ، ويختبرَهم بمسائلَ تنبَني علَى أَصلٍ قدرهِ ودليلَ ذكرهِ .

فمن رآه مصيباً في الجوابِ ولم يخفْ عليه شدَّةَ الأعجابِ شكرهُ وأَثنَى عليهِ بينَ أَصحابهِ ، ليبعثَهُ وإيَّاهم علَى الاجتهادِ في طلبِ الازديادِ ، ومَن رآهُ[3]

---

(١) وهو ما يعرف في الوقت الحاضر بالمناقشة ، التي يسمح بها الاستاذ بعد القاء المحاضرة ، كي يتعرف بها على قابليات الطلاب العلمية .

(٢) النوع الثامن أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٤ـ٥٥ .

(٣) اي يستعمل طريقة المنافسة العلمية ، وذلك بالثناء على المصيب اورشاد المخطىء الى الصواب .

مُقصِّراً ولم يخفَ نفورَهُ عنَّفهُ علَى قصورهِ ، وحرَّضَهُ علَى علوِّ الهمةِ ، ونيلِ المنزلةِ في طلبِ العلمِ ، لاسيما إنْ كانَ ممَّن يزيدهُ التَّعنيفُ نشاطاً، والشكرُ إنبساطاً ، ويعيدُ ما يقتضي الحالُ اعادتهُ ليفهمَهُ الطالبُ فهماً راسخاً .

التاسعُ[1] إذا سلكَ الطَّالبُ في التحصيلِ فوقَ ما تقتضيهِ حالهُ ، أَو تحملهُ طاقتهُ ، وخافَ الشيخُ ضجرَهُ أَوصاهُ بالرِّفقِ بنفسه ، وذكَّرهُ بقولِ النَّبيِّ [ ٧٢ظ ] صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ( إنَّ المنبتَّ لا أَرضاً قطعَ ولا ظهراً أَبقَى )[2] ، ونحو ذلكَ ممَّا يحملهُ على الاناثةِ والاقتصادِ في الاجتهادِ ، وكذلكَ إذا ظهرَ لهُ منهُ نوعُ سئامةٍ ، أَو ضجرٍ ، أو مبادي ذلكَ ، أَمرهُ بالرَّاحةِ وتخفيفِ الاشتغالِ ، ولا يشيرُ علَى الطالبِ بتعلُّمِ ما لا يحتملهُ فهمهُ ، أَوْ سنُّهُ ، ولا بكتابٍ يقصُرُ ذهنهُ عن فهمهِ ، فإنْ استشارَ الشيخَ مَنْ لا يعرفُ حالَهُ في الفَهمِ والحفظِ ، في قراءةِ فنٍّ ، أو كتابٍ ، لم يُشرْ عليهِ بشيءٍ حتَّى يُجرِّبَ ذهنَهُ ، ويعلمَ حالَهُ ، فإن لم يحتملِ الحالُ التأخيرَ ، أَشارَ عليهِ بكتابٍ سهلٍ من الفنِ المطلوبِ ، فإنْ رأى ذهنَهُ قابلاً وفهمَهُ جيداً ، نقلَهُ الى كتابٍ

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٥ــ٥٧ .

(٢) الحديث ذكره البيهقي في سننه الكبرى ١٨/٣ عن جابر بن عبدالله الانصاري : ( ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله ، فان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ) .

يليقُ بذهنه ، وإلاَّ تركهُ وذلكَ ، لأَنَّ نقلَ الطالبِ إلى مايدلُّ نقلَهُ اليهِ علَى جودةِ ذهنه يزيدُ انبساطَه ، وإلى ما يدلُّ على قصورهِ يقلِّلُ نشاطَهُ .

ولا يمكِّنُ الطالبَ من الأشتغالِ في فنَّينِ أَوْ أكثر إذا لم يضبطْهما ، بل يقدِّمُ الأَهمَّ فالأَهمَّ كما سنذكرُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وإذا علِمَ أَوْ غلبَ علَى ظنِّه أنَّهُ لا يفلحُ في فنٍّ ، أشارَ اليهِ بتركهِ ، والأَنتقالِ إلى غيرِ مما يُرجَى فيهِ فلاحُه .

العاشرُ[1] أَنْ يذكرَ للطلبةِ قواعدَ[2] الفنِّ التي لا تنخرمُ ، إمَّا مطلقاً كتقديم المباشرةِ على السَّببِ في الضَّمانِ ، أَوْ غالباً كاليمينِ علَى المدَّعَى عليهِ إذا لم تكُنْ بيِّنةٌ إلاَّ في القسامةِ والمسائلِ المستثناةِ من القواعدِ كقوله : العملُ بالجديدِ من كلِّ قولينِ قديمٍ وجديدٍ إلاَّ في أَربعَ عشرَةَ مسأَلةً ، ويذكرُها ، وكلُّ يمينٍ علَى نفي فعلِ الغيرِ ، فهي على نفي العلمِ إلاَّ مَنْ ادَّعَى عليه أَنَّ عبدَهُ جنَى فيحلفُ علَى البتِّ علَى الأَصحِّ ، وكلُّ عبادةٍ يخرجُ منها بفعلِ منافيها ومبطلها إلاَّ الحجَّ والعمرةَ ، وكلُّ وضوءٍ يجبُ فيهِ الترتيبُ إلاَّ وضوءاً [٧٣و] تخلَّلهُ غسلُ الجنابةِ وأشباهَ ذلكَ .

---

(١) النوع العاشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٧-٥٩ .

(٢) القواعد التي تسمى بالبديهيات التي يحتاجها الباحث في بحثه ، ويستشهد بها في كلامه .

ويبيِّنُ مأخذَ ذلكَ كُلِّهُ ، وكذلكَ كلَّ أصل وما بُنيَ عليهِ من كلِّ فنٍّ يحتاجُ إليهِ من علمي التَّفسيرِ والحديثِ ، وأبوابِ اصولِ الدِّين والفقه والنحوِ والصرفِ واللغةِ ، ونحو ذلكَ إمَّا بقراءةِ كتابٍ في الفنِّ أو بتدرّجٍ علَى الطّولِ .

وهذا كلّهُ إذا كانَ الشيخُ عارفاً بتلكَ الفنونِ ، وإلاَّ فلا يتعرَّضُ لها ، بل يقتصرُ علَى ما يتقنهُ منها ، ومن ذلكَ نوادرُ ما يقعُ من المسائلِ الغريبةِ ، والفتاوي العجيبةِ ، والمعاني البليغةِ ، ونوادرِ الفروقِ والمعاياةِ .

ومن ذلكَ ما لا يسعُ الفاضلُ جهلَهُ كاسماءِ المشهورينَ من الصحابةِ والتابعينَ ومن بعدهم من أئمةِ المسلمينَ ، وكبارِ الزُّهادِ والصالحينَ ، كالخلفاءِ الأربعةِ ، وبقيّةِ العشرةِ ، والنُّقباءِ الأثني عشر ، والبدريينَ ، والمكيينَ ، والعبادلة ، والفقهاء السبعةِ ، والأئمةِ الأربعةِ ، فيضبطُ أسماءَهم وكناهم ، وأعمارَهُم ووفياتهم ، وما يُستفادُ من محاسنِ آدابِهم ، ونوادرِ أحوالِهم .

فيحصلُ لهُ معَ الطولِ فوائدُ كثيرةُ النَّفعِ غزيرةُ الجميعِ . وليحذر كلَّ الحذرِ من منافسة بعضهم لكثرة تحصيله ، أو زيادة فضائله ، لأنَّ ثوابَ فضائلهم عائدٌ اليه ، وحسنَ تربيتهم محسوبٌ عليهِ ، ولهُ من جهتهم في الدّنيا الدعاءُ والثّناءُ والذّكرُ الجميلُ ، وفي الآخرةِ الثوابُ الجزيلُ .

الحادي[1] عشر أَنْ لا يُظهرَ للطلبةِ تفضيلَ بعضهم علَى بعضٍ عنده في مودةٍ ، أَو اعتناءٍ مع تساويهم في الصِّفاتِ من سنٍّ ، أو فضيلةٍ ، أو تحصيلٍ ، أو ديانة فانَّ ذلكَ رُبَّما يوحشُ الصَّدرَ وينفرُ القلبَ ، فانْ كانَ بعضُهم [ ٧٣ظ ] أكثرَ تحصيلاً وأشدَّ إجتهاداً وأحسنَ أدباً ، فأظهرَ إكرامَهُ وتفضيلَهُ ، وبيَّنَ أنَّ زيادةَ إكرامه لتلكَ الأسبابِ ، فلا بأسَ ، وبذلكَ ينشِّطُ ويبعثُ علَى الاتصافِ بتلكَ الصِّفَاتِ .

وكذلك لا يقدِّمُ أَحداً في نوبةِ غيره ، أَو يؤخره عن نوبتهِ إلاَّ إذا رأى في ذلكَ مصلحةً تزيدُ على مصلحة مراعاة النَّوبة ، فانْ سمحَ بعضُهم لغيرهِ في نوبتهِ فلا بأسَ ، كما سيأتي مفصَّلاً إنْ شاءَ اللّهُ تعالى . وينبغي أَنْ يتودَّدَ لحاضرِهم ، ويذكرَ غائبَهم بخيرٍ ، وحسنِ ثناءٍ . وينبغي أَن يستعلمَ أسماءَهم وانسابَهم ومواطنهم وأَحوالهم ، ويُكثرُ الدعاءَ لهم .

الثاني[2] عشر أنْ يراقبَ أحوالَ الطَّلبةِ في آدابِهم وهديهم وأخلاقهم[3] باطناً وظاهراً ، فمن صدرَ منهُ من ذلكَ ما لا يليقُ من ارتكابِ محرَّمٍ ، أَو مكروهٍ ، أو

(١) النوع الحادي عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٥٩ – ٦٠ .

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٠ – ٦١ .

(٣) **وهذا ما يسمَّى في الوقت الحاضر بالارشاد حيث يمسك الاستاذ سجلاً باسماء عدد من الطلبة يطلع فيه على مشاكلهم ، ويشاركهم** في حلها ، ويرشدهم الى الطريق الامثل .

ما يؤدي إلى فسادِ حالٍ ، أَو تركِ اشتغالٍ ، أَو اساءةِ أَدبٍ في حقِّ الشيخِ ، أو غيرِه ، أَو كثرةِ كلامِه بغيرِ توجيهٍ ولا فائدةٍ ، أَو حرصٍ على كثرةِ الكلامِ ، أَو معاشرةِ من لا تليقُ معاشرتُه ، أو غيرِ ذلكَ مما سيأتي ذكرُه في أَدبِ المتعلِّمِ ، عرَّضَ الشيخُ بالنهي عن ذلكَ بحضورِ من صدرَ منهُ من غيرِ معرِّضٍ بهِ ولا معيِّنٍ لهُ ، فإِنْ لم ينتهِ نهاهُ عن ذلكَ سرّاً ، ويكتفي بالاشارةِ معَ مَنْ يكتفي بها ، فإِنْ لم ينتهِ نهاهُ عن ذلكَ جهراً ، ويغلظُ القولَ عليهِ إن اقتضاهُ الحالُ ، لينزجرَ هو وغيرُه ، ويتأدبَ كلُّ سامعٍ ، فإن لم ينتهِ فلا بأسَ حينئذٍ بطردِه والأعراضِ عنهُ إلى أن يرجعَ ، وكذلكَ يتعاهدُ ما يعاملُ بهِ بعضهم بعضاً من إفشاءِ السَّلامِ وحسنِ التَّخاطبِ [٧٤و] في الكلامِ ، والتَّحابُبِ والتَّعاونِ علَى البِرِّ والتقوَى ، وعلَى ما هم بصددِهِ .

الثالث(١) عشرَ أَن يسعَى في مصالحِ الطَّلبةِ وجمعِ قلوبِهم ومساعدتِهم بما يتيسرُ عليهِ من جاهٍ أَو مالٍ عندَ قدرتِه علَى ذلكَ ، وسلامةِ دينِه وعدمِ ضررِه ، فإنَّ اللهَ تعالى في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أَخيهِ ، ومن كانَ في حاجةِ أَخيهِ كانَ اللهُ في حاجتِه ، ومن يسَّرَ على معسرٍ يسَّرَ اللهُ عليهِ حسابَهُ يومَ القيامةِ ، ولاسيما إذا كانَ ذلكَ إعانةً علَى طلبِ

---

(١) النوع الثالث عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦١ ـ ٦٣ .

العلمِ ، وإذا غابَ بعضُ الطَّلبة أو ملازمي الحلقةِ زائداً عن العادةِ سألَ عنهُ ، فإنْ لم يُخبرْ عنهُ بشيءٍ أرسلَ اليه أوْ قصدَ منزلَهُ بنفسه ، وهو أفضلُ . فإنْ كانَ مريضاً عادَهُ ، وإنْ كانَ في غمٍّ خفض [1] عليه ، أو في أمرٍ يحتاجُ اليه فيه أعانهُ ، وإنْ كانَ مسافراً تفقّدَ أهلَهُ ومن يتعلّقُ به ، وسألَ عنهم وتعرّضَ لحوائجهم ، ووصلَهُم بما أمكنَ ، وإنْ لم يكُنْ في شيءٍ من ذلكَ تودّدَ اليهِ ودعا لهُ .

واعلم أنّ الطالبَ الصالحَ أعودُ على العالمِ بخيرِ الدُّنيا والآخرةِ من أعز النّاسِ عليه واقرب أهلهِ اليهِ ، ولذلكَ كانَ علماءُ السَّلفِ الناصحونَ لله ودينه يلقونَ شبكَ الاجتهاد لصيدِ طالبٍ يُنتفعُ بهِ في حياتِهم ومن بعدِهم ، ولو لم يكن للعالمِ ، إلاّ طالبٌ واحدٌ ينتفعُ النّاسُ بعلمه وعمله وهديه وإرشادهِ لكفاهُ ذلكَ الطالبُ عندَ الله تعالى ، فانّهُ لا يتّصلُ شيءٌ من علمه إلى أحدٍ فينتفعُ بهِ إلاّ كانَ لهُ نصيبٌ من الأجرِ كما جاءَ في الحديثِ الصحيحِ عن النّبيِّ [٧٤ظ] صلّى اللهُ عليه وآلهِ وسلّم : ( إذا ماتَ العبدُ إنقطعَ عملُهُ إلاّ من ثلاثِ الحديث ) [2] ، وقد أسلفنا الكلامَ عليهِ في البابِ الأوّلِ ، وما ذكرهُ البدرُ بن جماعة من إجتماع الثلاث في تعليمِ المعلّمِ [3] .

---

(١) لعلّهُ خفّفَ عليه .

(٢) الحديث في سنن الدارمي ١/١١٤ .

(٣) حذف المصنف في اخير النوع اثني عشر سطراً . ينظر تذكرة السامع ص٦٣ ـ ٦٤ .

الرابع[1] عشر أَنْ يتواضعَ معَ الطالبِ وكلِّ مسترشدٍ إذا قامَ بما يجبُ عليه من حقوقِ اللهِ وحقوقه ، ويخفضَ لهُ جناحَهُ ويلينَ لهُ جانبَهُ ، قالَ اللهُ تعالى لنبيِّه صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ : ( وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ )[2] ، وصحَّ عنهُ صلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ : ( إنَّ اللهَ تعالى أَوْحَى إليَّ: أَنْ تَوَاضَعُوا، وما تواضعَ أَحدٌ للهِ إلاَّ رفعَهُ اللهُ )[3] ، وهذا في التواضعِ لمطلقِ النَّاسِ فكيفَ لمن لهُ حقُّ الصحبةِ وحرمةُ التَّردّدِ وصدقُ التَّوددِ وشرفُ الطَّلبِ ، وهم كاولاده ؟ وفي الحديثِ : ( لينُوا لمن تُعلِّمُونَ ولمن تتعلَّمُونَ منهُ )[4] . وعنِ الفضيلِ[5] : ( إنَّ اللهَ يُحِبُّ العالمَ المتواضعَ ، ويبغضُ الجبَّارَ ، ومنَ تواضعَ للهِ ورَّثهُ الحكمةَ )[6] .

---

(١) النوع الرابع عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع ص٦٤ ـ ٦٦ ، مع اضافة منه .

(٢) سورة الشعراء الآية : ٢١٥ .

(٣) الحديث ذكره مالك في الموطأ ٢/١٠٠٠ ، والترمذي في صحيحه ٧/١٨٤ ، وابن حنبل في مسنده ٢/٨٦ ، وابو داود في سننه ٢/١٣٩٩ ، مع اختلاف في الفاظ الحديث في هذه المصادر .

(٤) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٥٤ ، شرح المهذب ١/٥٢ .

(٥) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن بشر ، خراساني من ناحية مرو ، مات سنة (٢٨٧هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٨/٨٤ ، الرسالة القشيرية ص٩ .

(٦) الفقيه والمتفقه ٢/١١٣ ، شرح المهذب ١/٥٢ .

وينبغي أَنْ يخاطبَ كلاً منهم لا سيما الفاضل[1] المتميزُ بكنيته، ونحوها من أَحبِّ الأسماءِ اليه، وما فيه تعظيمٌ لهُ وتوقيرٌ، وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عنها: (كَانَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ يكنِّي أصحابَهُ إكراماً لهُم)[2] . وكذلكَ ينبغي أَنْ يترحبَ[3] بالطَّلبةِ إذا لقيهم، وعند إقبالهم عليهِ، ويُكرِمُهم إذا جلسوا اليهِ، ويؤْنِسهُم بسؤالهِ عن أَحوالهِم وأَحوالِ من يتعلَّقُ بهم، بعدَ ردِّ سلامِهم، ويعاملهم بطلاقةِ الوجهِ وظهورِ البشرِ وحُسْنِ المودةِ وإعلامِ المحبَّةِ، ويزيدُ في ذلكَ لمن يُرجَى فلاحُهُ ويظهرُ صلاحُهُ، وبالجملةِ فهمُ وصيَّةُ رسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ فيما رواهُ أبو سعيد [ ٧٥و ] الخدري عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّمَ قالَ: (إنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وإنَّ رِجالاً يأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ يَتَفَقَّهُونَ في الدِّين، فاذا أَتَوْكُمْ فاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيراً)[4] .

(١) في ب : ( الفاضل منهم ) .

(٢) الفقيه والمتفقه ٢/١١٩ .

(٣) كذا في الاصل ، م ، وتذكرة السامع والمتكلم ، وفي (ب) : (يرحب)، وهو نفس المعنى .

(٤) الحديث في صحيح الترمذي ١٠/١١٩ ، سنن ابن ماجة ١/٩٢ ، شرح المهذب ١/٤٦ .

وكانَ[1] البويطي يُدنِي القرَّاءَ ويقرِّبُهم إذا طلبُوا العلمَ ، ويعرِّفُهُم فضلَ الشَّافعِي وفضلَ كنيته ، ويقولُ : كانَ الشَّافعِي يأمرُ بذلكَ ، ويقولَ : إصبرْ للغرباءِ ولغيرهِم منَ التلاميذ[2] ، وقيلَ كانَ أَبو حنيفةَ أكرمَ[3] النَّاسِ مُجالَسةً وأَشدَّهُم إكراماً لأصحابه • ( ويخصُّ بمزيدِ الأكرامِ وصرفِ العنايةِ في التَّعليمِ منْ ظهُرتْ أهليَتهُ منْ ذويِ البيوتاتِ ، وقد أَخرجَ الخطيبُ عنْ محمد بن عبدالوهَّاب السُّكري قالَ : ( كانَ سفيانُ إذا رأى هؤلاءِ النَّبطَ يكتبونَ الحديثَ تغيَّرَ وجهُهُ ويشتدُّ عليهِ ، قالَ : فقلتُ لهُ : يا أَبا عبداللهِ نراكَ إذا رأيت هؤلاء يكتبونَ العلمَ يشتدُّ عليكَ ، قالَ : فيقولُ : كانَ العلمُ في العربِ وسادةِ النَّاسِ ، فاذا خرجَ منْ هؤلاءِ وصارَ في هؤلاءِ يعني النَّبطَ والسفلةَ غيَّرُوا الدِّينَ )[4] • وأَخرجَ ـ أيضاً ـ عن سفيان بن حسين

---

(١) هو ابو يعقوب يوسف بن يحيى القرشي البويطي ، نسبة الى بويط من اعمال الصعيد ، من اصحاب الامام الشافعي الاجلاء ، قام مقامه في الدرس ، توفي في بغداد سنة (٢٣١هـ) ترجمته في تاريخ بغداد ١٤/٢٩٩ ، مفتاح السعادة ٢/١٦٨ ، الاعلام ٩/٣٣٨ •

(٢) مناقب الشافعي ٢/١٤٧ •

(٣) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) : التلامذة •

(٤) ينظر وفيات الاعيان ترجمة النعمان بن ثابت ٥/٤٠٨ ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م •

(٤) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٣ ، الجامع للخطيب ١/١٤٠ نفس النص •

قالَ : قَدِمَ علَى الأَعمش بعضُ السوَّادِ فاجتمعُوا اليه فأبَى أَنْ يحدِّثَهُم ، فقِيلَ لهُ يا أَبا محمد ، لو حدَّثتَهُم ، فقالَ : ( من يعلِّقُ الدرَّ على الخنازيرِ )[1] .

قلتُ : ( وفيهِ اشارةٌ إلى أنَّ الحكمةَ لا توضعَ في غيرِ أَهلِها )[2] .

(١) مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٥٦ ، وفيه : ( ومن قول النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً : واضع العلم في غير اهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والذهب ) .

(٢) ما بين القوسين من المصنف ، لم يُذكر في تذكرة السامع والمتكلم .

## الفصل[1] الرابع

## في آدابِ المتعلّمِ في نفسهِ

وهو عشرةُ أنواعٍ :

الأوّلُ : أَن يطهّرَ قلبَهُ من كلّ غشٍّ ودنسٍ وغلٍّ وحسدٍ وسوءِ عقيدةٍ وخُلقٍ ، ليصلحَ بذلكَ لقبولِ العلمِ وحفظهِ والاطّلاعِ على دقائقِ معانيهِ وحقائقِ غوامضهِ ، فإنَّ العلمَ ـ كما قالَ بعضهُم ـ صلاةُ السرِّ وعبادَةُ القلبِ [ ٧٥ظ ] وقربةُ الباطنِ ، وكما لا تصحُ الصَّلاةُ التي هي عبادةُ الجوارحِ الظّاهرةِ إلاَّ بطهارةِ الظاهرِ من الحدث والخبث ، فكذلكَ لا يصحُ العلمُ الذي هو عبادةُ القلبِ إلاَّ بطهارته عن خبث الصِّفات ، وحدث مساوي الأخلاق ورديئها • وقالوا : يُطيبُ القلبُ للعلمِ كما تُطيبُ الأرضُ للزرعِ ، فإذا طُيِّبَ العلمُ ظهرتْ بركته كما ينمو زرعُ الأرضِ ويزكو إذا طُيِّبَتْ ، وفي الحديث : ( إنَّ في الجسدِ مُضْغةً إذا صلُحَتْ صلُحَ الجسدُ كلُّهُ ، وإذا فسدَتْ فسدَ الجسّدُ كلُّهُ ألاَ وهي القلبُ )[2] ، وقالَ سهلٌ :

---

(١) الفصل والعنوان والأنواع ابتداء من النوع الاول اخذها المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٧ •

(٢) الحديث ورد في مسند ابن حنبل ٤/٢٧٠ ، ٢٧٤ وفي سنن ابن ماجة عن الشعبي ٢/١٣١٩ •

حرامٌ على قلبٍ أنْ يدخلَهُ النورُ وفيهِ شيءٌ مِمَّا يكرهُ[1] اللّهُ عزَّ وجلَّ .

الثاني[2] : حسنُ النيَّةِ في طلبِ العلمِ بأنْ يقصدَ بهِ وجهَ اللّهِ عزَّ وجلَّ والعملِ بهِ ، واحياءَ الشريعةِ ، وتنويرَ قلبهِ ، وتحليةَ باطنهِ ، والقربِ من اللّهِ تعالى يومَ القيامةِ ، والتعرُّضِ لما أعدَّ لأهلهِ من رضوانهِ وعظيمِ فضلهِ .

قالَ سفيانُ الثوري [ رحمهُ اللّهُ تعالى ][3] : ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي ، ولا يقصدُ بهِ الأغراضَ الدنيويَّةَ من تحصيلِ الرئاسةِ ، والجاهِ ، والمالِ ، ومباهاةِ الأقرانِ ، وتعظيمِ النَّاسِ لهُ ، وتصديرهِ في المجالسِ ونحو ذلكَ ، فيستبدلَ الأدنى بالذي هو خيرٌ ، معَ أنَّ هذهِ النيَّاتِ لا توصلُهُ إلى مالم يقدِّرْهُ اللّهُ لهُ من ذلكَ ، بل يكونُ سبباً لحرمانِ قصدهِ ، وقد سبقَ قولُ أبي يوسف : ( أريدُوا بعلمكم اللّهَ تعالى ، فانِّي لم أجلسْ مجلساً قطُّ أنوي فيه أنْ أعلوَهُم إلاَّ لم أقمْ قطُّ حتَّى إفتضحَ )[4] ، والعلمُ عبادةٌ من العباداتِ ، وقربةٌ من القرباتِ ، فانْ خلصتْ فيهِ النيَّةُ للّهِ قُبِلَ وزكا وتمَّتْ بركتهُ ، وإنْ قُصِدَ بهِ غيرَ وجهِ اللّهِ حبطَ[5] وضاعَ ، وخسرتْ صفقتهُ ،

---

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : ( يكرهه ) .
(٢) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٦٨-٧٠ .
(٣) ما بين المعقوفين : زيادة من (ب) .
(٤) شرح المهذب ١/٤٧ .
(٥) في (ب) : ( سقط ) ، وهو تحريف .

وربَّما كانَ ذلكَ سبباً في فواتِ تلكَ [٧٦و] المقاصدِ ، فلا ينالها ، فيخيبُ قصدَهُ ويضيعُ سعيهُ .

الثالثُ[1] : أنْ يبادرَ شبابَهُ ، وأوقاتَ عمرهِ فيصرفها إلى التّحصيلِ ، و لايغترُّ بخدعِ التّسويفِ والتأْميلِ ، فإنَّ كلَّ ساعةٍ تمضي من عمرهِ لا بدلَ لها ولا عوضَ عنها، ويقطعَ ما قدَرَ علَى قطعهِ من العلائقِ الشاغلةِ ، والعوائقِ المانعةِ عن تمامِ الطلبِ وبذلِ الأجتهادِ وقوة الجدِّ في التحصيلِ ، فإنَّها قواطعُ الطَريقِ ، ولذَلكَ استحبَ السلفُ التغرُّبَ عن الأهلِ ، والبعدَ عن الوطنِ تقليلاً للشواغلِ ، لأنَّ الفكرةَ إذا توزَّعتْ قصُرتْ عن دركِ الحقائقِ ، و (مَا جَعَلَ اللهُ لرَجُلٍ مِنْ قَلْبينِ في جَوْفِهِ)[2] ، ولذلكَ يُقَالُ العلمُ لا يُعطيكَ بعضَهُ حتّى تعطيَهُ كلَّكَ .

ونقلَ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ عن بعضِهم قال : (لا ينالُ هذا العلمَ إلاَّ من عطّلَ دكانَهُ ، وخربَ بستانَهُ ، وهجرَ أخوانَهُ ، وماتَ أقربُ أهلهِ فلم يشهدْ جنازتَهُ )[3] . وهذا كلّهُ وإنْ كانتْ فيهِ

---

(١) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٠ـ٧١.

(٢) سورة الاحزاب الآية : ٤ .

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ٢/٢٣٥ .

مبالغة" ، فالمقصودُ بهِ انَّهُ لابدَّ فيهِ من جمعِ القلبِ وإجتماعِ الفكرِ . وقيلَ أمرَ بعضُ المشايخِ طالباً لهُ ــ بنحو ما رواهُ الخطيبُ ــ فكانَ آخرُ ما أمرَهُ بهِ أَنْ قالَ : اصبغْ ثوبَكَ[1] كيلا يشغلكَ فكرُ غسلهِ . وعن الشَّافعي أَنَّهُ قالَ : ( لو كُلِّفتُ بصلةٍ ماحفظتُ مسألةٍ )[2] .

الرابعُ[3] : أنْ يقنعَ من القوتِ بما تيسَّرَ ، وإنْ كان يسيراً ، ومن اللِّباسِ بما يسترُ مثلَهُ وإنْ كانَ خلقاً ، فبالصبرِ على ضيقِ العيشِ ينالُ سعةَ العلمِ ، ويجمعُ شملَ القلبِ عن متفرقاتِ الآمالِ فتتفجَّرُ فيهِ ينابيعُ الحكمِ . قالَ الشَّافعي رحمهُ اللهُ : ( لا يطلبُ أَحدٌ هذا العلمَ بالملكِ وعزِّ النفسِ فيفلح ، ولكن من طلبهُ بذلِّ النفسِ وضيقِ العيشِ وخدمةِ [ ٧٦ظ ] العلماءِ أَفلحَ )[4] . وقال: لا يُدرِكُ العلمُ إلاَّ بالصَّبرِ علَى الذلِّ ، وقالَ : ( لا يصلحُ طلبُ العلمِ إلاَّ لمفلسٍ ، قيلَ ولا الغني المكفي ، قالَ : ولا الغنيّ )[5] . قالَ مالكُ: (لا يبلغُ أَحدٌ من هذا العلمِ ما يريدُ حتَّى يضرَّ بهِ الفقرُ ، ويؤثرهُ على كلِّ شيءٍ )[6] . وقالَ أبو حنيفة

---

(١) كان لون ثياب شعبة بن الحجاج بن الورد كلون التراب ، كما جاء في تذكرة الحفاظ ١/١٨٢ .

(٢) الكلام في تذكرة السامع والمتكلم ص٧١ .

(٣) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧١-٧٢ .

(٤) شرح المهذب ١/٥٩ .

(٥) مناقب الشافعي ٢/١٤١ ، شرح المهذب ١/٥٩ ، الجامع للخطيب ١/٣٩ .

(٦) الفقيه والمتفقه ٢/٩٤ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

رحمهُ اللهُ : ( يُستعانُ على الفقهِ بجمعِ الهمَمِ ويُستعانُ على حذفِ العلائقِ بأخذِ اليسيرِ عندَ الحاجةِ ولا[1] يزدِ )[2] . وقالَ إبراهيمُ الأجريُّ : ( من طلبَ العلمَ بالفاقةِ ورثَ الفهمَ )[3] . فهذهِ أقوالُ هذهِ الأئمةِ الّذينَ لهم فيهِ القدحُ المُعلّى غيرَ مدافعٍ ، وكانتْ هذهِ أحوالَهُمْ رحمهُمُ اللهُ ، ومَن أثرَ طلبِ العلمِ على الأحترافِ ، فإنّ اللهَ يعوّضهُ ويأتيهِ بالرِّزقِ من حيثُ لا يحتسبُ .

فعن زيادِ بن الحارثِ الصُّدائي قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ يقولُ : ( من طلبَ العلمَ تكفّلَ اللهُ برزقهِ )[4] ، أخرجهُ الخطيبُ في الجامعِ ، فهذا تكفّلٌ خاصٌ بمعنى ما سبقَ ، قالَ الخطيبُ : ( ويُستحبُ للطالبِ عزباً ما أمكنهُ لئلا يقطعهُ الاشتغالُ بحقوقِ الزوجةِ وطلبِ المعيشةِ عن إكمالِ الطلبِ )[5] . وقالَ سفيانُ الثوري : ( من تزوّجَ فقد ركبَ البحرَ ، فإنْ وُلدَ له فقد كُسرَ بهِ )[6] ، وقالَ لرجلٍ ( تزوّجتَ ؟ قالَ : لا . قالَ : ما تدري ما أنتَ فيهِ من العافيةِ )[7] .

---

(١) كذا في الاصل وهو الصحيح ، وفي (م) : ( ولا يرد ) وهو تصحيف، وفي (ب) : ( ولا يرده ) وهو تحريف .

(٢) شرح المهذب ١/٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ١/٥٩ .

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١/٣٨ .

(٥) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

(٦) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

(٧) الجامع ١/٣٧ ، شرح المهذب ١/٥٩ .

وبالجملة فترك التزويج لغير المحتاج اليه، أو غير القادر عليه أولى، بل هو مستحب الترك حينئذ على المذهب، لاسيما للطالب الذي رأس ماله جمع الخاطر وإجمام القلب وإستعمال الفكر .

الخامس[1] أن يقسم أوقات ليله ونهاره، ويغتنم ما بقي من عمره، فان بقية العمر لا قيمة له . وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الأبكار، وللكتابة [ ٧٧و ] وسط النهار، وللمطالعة وللمذاكرة الليل .

وقال الخطيب: ( أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغداة، قال: وحفظ الليل أنفع من حفظ النهار، ووقت الجوع أنفع من وقت الشبع، قال: وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات، قال: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات، والخضرة، والأنهار، وقوارع الطرق، وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلو القلب غالباً )[2] .

السادس[3] من أعظم الأسباب المعينة على الأشتغال والفهم وعدم الملال أكل القدر اليسير من الحلال، قال الشافعي رحمه الله: ( ما شبعت منذ ست عشرة سنة )[4]، وسبب ذلك أن كثرة

---

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٢ـ٧٣ .

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٣، شرح المهذب ١/٦٣ .

(٣) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٣ـ٧٥ .

(٤) مناقب الشافعي ٢/١٦٦ .

الأكلِ جالبةٌ لكثرةِ الشّربِ ، وكثرتهُ جالبةٌ للنومِ والبلادةِ ، وقصورِ الذهنِ وفتورِ الحواسِ وكسلِ الجسمِ ، هذا معَ ما فيهِ من الكراهةِ الشرعيّةِ ، والتّعرضِ لخطرِ الأسقامِ البدنيّةِ ، كما قيلَ :

فإنَّ الدّاءَ أكثرُ ما تراهُ
يكونُ من الطّعامِ أو الشّرابِ

ولم يرَ أحدٌ من الأولياءِ والأئمةِ العلماءِ يوصفُ بكثرةِ الأكلِ ، ولا حامداً لمن اتّصفَ بها ، بل تُحمدُ كثرةُ الأكلِ من الدوابِ التي لاتعقلُ ، بل هي مرصدةٌ للعملِ ، والذهنُ الصحيحُ أشرفُ من تبديدهِ وتعطيلهِ بالقدرِ الحقيرِ من طعامٍ يؤولُ أمرهُ الى ما قد علمَ ، ولو لم يكنْ من آفاتِ كثرةِ الطعامِ والشّرابِ إلاّ الحاجةُ إلى كثرةِ دخولِ الخلاءِ لكانَ ينبغي للعاقلِ اللبيبِ أنْ يصونَ نفسهُ عنهُ .

ومن رامَ الفلاحَ في العلمِ وتحصيلِ البغيةِ من كثرةِ الأكلِ [٧٧ظ] والشربِ والنومِ ، فقد رامَ مستحيلاً في العادةِ . والأولى أنْ يكونَ أكثرَ ما يأخذُ من الطعامِ ما وردَ في الحديثِ عن النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ قالَ : ( ما ملأَ ابنُ آدمَ وعاءً شرّاً من بطنٍ ، بحسْبِ ابْنِ آدم لقيمات يُقمْنَ صُلْبَهُ ، فإنْ كانَ لاَ مَحالةَ فثُلثٌ لطعامهِ ، وثُلثٌ لشرابهِ ، وثُلثٌ لنفَسهِ )[1] . رواهُ الترمذي ، فإنْ زادَ على

(١) صحيح الترمذي ٩/٢٢٤، الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٤.

ذلكَ فالزيادةُ إسرافٌ خارجٌ عن السنَّةِ ، وقد قالَ تعالى : ( وَكُلُوا وَشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا )[1] . قالَ بعضُ العلماءِ : جمعَ اللهُ بهذهِ الكَلمةِ الطبَّ كلَّهُ .

السَّابعُ[2] أَن يأخذَ نفسَهُ بالورعِ في جميعِ شأنه ، ويتحرَّى الحلالَ في طعامه وشرابهِ ولباسهِ ومسكَنه ، وفي جميعِ ما يحتاجُ اليهِ ، هو وعيالُه ، ليستنيرَ قلبُهُ ، ويصلحَ لقبُولِ العلمِ ونورهِ والنَّفعِ بهِ ، ولا يقنعُ لنفسه بظاهرِ الحلِّ شرعاً مهما أَمكنهُ التَّورعُ ، ولم تلجْهُ حاجةٌ أَو يجعلُ حظَهُ الجوازَ بل يطلبُ الرتبَةَ العاليةَ ، ويقتدي بمن سلف من العلماءِ الصالحينَ في التورّعِ عن كثيرٍ مما كانوا يفتونَ بجوازهِ ، وأَحقُ من اقتدَى بهِ في ذلكَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وَسَلَّمَ حيثُ لم يأكلِ التمرةَ التي وجدَها في الطريقِ خشيةَ أَنْ تكونَ من الصدقةِ ، معَ بعد كونها منها ، لأَنَّ أهلَ العلمِ يُقتدَى بهم ، ويُوخَذُ عنهم ، فاذا لم يستعملِ الورعَ ، فمن يستعملهُ ؟

الثامنُ[3] أَنْ يقلِّلَ استعمالَ المطاعمِ التي هي من اسبابِ البلادةِ وضعفِ الحواسِ ، كالتفاحِ الحامِض ، والباقلاءِ ، وشربِ الخلِّ . ( وكذلكَ

---

(١) سورة الاعراف الآية : ٣١ .

(٢) النوع السابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٥ـ٧٦.

(٣) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٦ـ٧٧.

ما يُكثِرُ استعمالَه البلغم ، المُبَلِّدُ للذهن ، المثقلُ للبَدن ككثرةِ الأَلبانِ )[1] والسَّمك وأشباهُ ذلك ·
وينبغي أَنْ يستعملَ ما جعلهُ اللهُ تعالى سبباً لجودةِ الذهنِ كمضغ اللُّبانِ [2] والمصطكا[3] [٧٨و] على حسب العادة ، وأكلِ الزَّبيبِ بكرةً والجُلاَّبِ[4] ، ونحو ذلكَ مما ليس هذا موضعَ شرحه · وينبغي أنْ يجتنبَ ما يُورثُ النسيانَ بالخاصةِ كأكلِ أثرِ سؤر[5] الفارِ[6] ، وقراءة الواحِ القبورِ ، والدخولِ بين جملين مقطورين[7] ، والقاءِ القملِ ، ونحو ذلكَ من المجرَّباتِ فيه ·

التاسعُ[8] أَنْ يقلّلَ نومَهُ ما لم يلحقهُ ضررٌ في بدنه وذهنه ، ولا يزيدُ في نومه في اليومِ والليلةِ على ثمانِ ساعاتٍ ، وهي ثلثُ الزمانِ ، فإنْ احتملَ حالهُ أقلَّ منها فعلَ ·

---

(١) ما بين القوسين : ساقط من (ب) بسبب انتقال النظر ·

(٢) اللُّبانُ : الكُنْدُر ، وهو ضرب من العلك · ينظر اللسان ٥/١٥٣، ١٣/٣٧٧ ·

(٣) المصطكا:كلمة معربة، وهي العلك الرومي، ينظر اللسان ١٠/٤٩٠·

(٤) الجُلاّبُ : ماء الورد ، فارسي معرب · ينظر اللسان ١/٢٧٤ ·

(٥) ( سؤر ) : ساقطة من (ب) ·

(٦) السؤر : البقية وغيرها ينظر اللسان ٤/٣٣٩ ·

(٧) لم يثبت العلم الحديث ان استعمال هذه الأنواع التي ذكرها المصنف تساعد على الذكاء ، بل الذكاء قابلية موجودة عند الانسان يمكن تنميتها بكثرة المطالعة والمناقشة والمثابرة ·

(٨) النوع التاسع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٧٧-٨٢·

ولا بأسَ أَنْ يريحَ نفسَهُ وقلبَهُ وذهنَهُ وبصرَهُ أَوْكلَّ شيءٍ من ذلك ، أَوْكلَّ ضَعفٍ بتنزه وتفرّجٍ في المستنزهاتِ بحيثُ يعودُ إلى حالِهِ ولا يضيعُ عليهِ زمانُهُ . ولا بأسَ بمعاناةِ المشيِ ورياضةِ البدنِ بهِ ، فقد قيلَ إنَّهُ ينعشُ الحرارةَ ، ( ويذيبُ فضولَ الاخلاطِ وينشطُ البدنَ )[1] .

ولا بأس بالوطي الحلال إذا احتاج اليهِ فقد قالَ الأَطبّاءُ : بأَنَّهُ يخففُ الفضولَ وينشّطُ ويصفي الذهنَ إذا كانَ عندَ الحاجةِ باعتدالٍ ، ويحذر كثرته حذرَ العدوِّ ، فانَّهُ كما قيلَ :

مَاءُ الحياةِ يُراقُ في الأرْحَامِ

( ثم رُوِيَ في شرحِ منظومهِ الأَقفهسي[2] في الآدابِ بأَنَّ قبلَهُ[3] :

أَقْلِلْ نكاحاً ما استطعتَ فانَّهُ

---

(١) ما بين القوسين : ساقط من (م) ، (ب) .

(٢) هو ابو العباس احمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي الاقفهسي ، القاهري الشافعي له عدة مؤلفات منها شرح منظومة آداب الطعام ، توفي سنة (٨٠٨هـ) . ترجمته في الضوء اللامع ٢/٤٧ـ٤٩ .

(٣) هذه الابيات غير موجودة في شرح منظومة الاقفهسي في الآداب ، وهذه الابيات ميمية ، وابيات المنظومة لامية .

وقبلَ هذا البيتِ بيتان هما :

اسمعْ بُنيَّ وصيتَّتي واعملْ بِهَا
فالطَّبُ منظومٌ بنظمِ كَلامي

لا تشرَبَنَّ على طعامٍ عاجلاً
فتعودُ نفسُكَ للبلا بزمامِ )[1]

يُضعِفُ[2] السَّمعَ والبصرَ والعصبَ والحرارةَ والهضمَ ، وغيرَ ذلكَ من الأمراضِ [٧٨ظ] الرديئةِ . والمحققونَ من الأَطباءِ يرونَ أَنَّ تركَهُ أَولى إلاَّ لضرورةٍ أو استشفاءٍ .

وبالجملةِ فلا بأسَ أَن يُريحَ نفسَهُ إذا خافَ مللاً ، وكانَ بعضُ أَكابرِ العلماءِ يجمعُ أَصحابَهُ في أَماكنِ النزهةِ ، في بعضِ أَيَّامِ[3] السَّنةِ ، ويتمازحونَ بما لا يضرُّهُم في دينٍ ولا عرضٍ . ويُتجنَّبُ ما يُعابُ من الهزلِ والبسطِ بالفعلِ ، وفرطِ التَّمطي والتمايلِ على الجنب والقفا والضحكِ

العاشرُ[4] أَنْ يتركَ العشرةَ ،فإنَّ تركَها من أَهم ما ينبغي لطالبِ العلمِ ، ولاسيما لغيرِ الجنسِ ،

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (م) ، (ب) .
(٢) كذا في الاصل ، وفي (م) ، (ب) : ( يصعف ) ، وهو تصحيف .
(٣) هذه الطريقة متبعة في وقتنا الحاضر ، حيث يقوم الطلبة والاساتذة بسفرات في فصلِ الربيعِ والخريفِ .
(٤) النوع العاشر اخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٣ــ٨٥ .

وخصوصاً لمن كثرَ لعبهُ، وقلَّتْ فكرتهُ ، فإنَّ الطباعَ سرَّاقةٌ ، وآفةُ العشرةِ ضياعُ العمرِ بغيرِ فائدةٍ ، وذهابُ المالِ والعرضِ إنْ كانتْ لغيرِ أهلٍ ، وذهابُ الدِّين إنْ كانتْ لغيرِ أهلهِ .

والذي ينبغي لطالبِ العلمِ ألاَّ يخالطَ إلاَّ مَنْ يفيدُهُ أو يستفيدُ منهُ كما رُوِيَ عن النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( أُغْدُ عالماً أو متعلِّماً ولا تكنِ الثالثَ فتهلكَ )(١) . فإنْ شرعَ أو تعرَّضَ لصحبتهِ من يضيِّعُ عمرَهُ معَهُ ولايفيدُهُ ولايستفيدُ منهُ ، ولا يعينهُ على ما هو بصدده فليتلطفُ في قطعِ عشرتهِ في أوائلِ الأمرِ قبلَ تمكّنِها ، فإنَّ الأمورَ إذا تمكَّنتْ عَسرتْ إزالتُها ، ومن الجاري على السنةِ الفقهاءِ : ( الدفعُ أسهلُ من الرَّفعِ ) . فإنْ احتاجَ إلى من يصحبهُ فليكنْ صاحباً(٢) صالحاً ديِّناً تقيّاً ورعاً كثيرَ الخيرِ قليلَ الشَّرِّ حسنَ المداراة قليلَ المماراةِ ، إنْ نَسيَ ذكَّرهُ ، وإنْ ذكرَ أعانهُ ، فإذا احتاجَ واساهُ ، أو ضَجِرَ صبَّرهُ .

---

(١) الحديث ورد في سنن الدارمي بصيغ مختلفة في ١/٦٩ : اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكم الرابع فتهلك ) ، وفي ١/٨٢ : ( اغدُ عالماً أو متعلماً ولا تغدُ فيما بين ذلك ، فان بين ذلك جاهل . وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله ص١٩ : وفيه : ( اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامس فتهلك ) .

(٢) في الاصل : ( صاحبها ) ، وهو تحريف .

ومما يُروَى عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ[1] :

فلاَ تَصْحَبْ أَخَا الجهلِ وإيَّاكَ وإيَّاهُ
فكمْ من جَاهلٍ أَرْدَى حَلِيماً حينَ واخاهُ
[٧٩و] يُقَاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ

ولبعضِهم[2] :

إنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ كانَ مَعَكْ
وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِينْفَعَكْ
وَمَنْ إذا ريبُ زمانٍ صدعكْ
شتَّتَ شملَ نفسهِ ليجمعكْ

---

(١) الابيات في الديوان المنسوب للامام علي ص٥ ، وفيه ( حكيماً ) مكان ( حليماً ) ، ( آخاه ) ، مكان ( واخاهُ ) .

(٢) البيتان وردا في عيون الاخبار ٣/٤ ، كشكول البهائي ١/٤ ، زهر الاداب ١/٥٢١ ، المستطرف ١/٥٩ ، ١١٩ .



## الفصل[1] الخامس

## في آداب المتعلم مع شيخه وقدوته وما يجب عليه من عظيم حرمته

وذلك ثلاثة عشر نوعاً :

الأول[2] انه ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والأدب منه ، ويتحرى في كونه ممن كملت أهليته ، وتحققت شفقته ، وظهرت مرؤته ، وعرفت عفته واشتهرت صيانته ، وكان أحسن تعليماً ، وأجود تفهيماً ، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل . وعن بعض السلف : ( هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم )[3] .

وعن أبي امامة الجمحي إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الساعة ، فقال : ( من اشراطها ثلاث : أحداها التماس العلم عند

---

(١) الفصل الخامس: هو الفصل الثاني في تذكرة السامع والمتكلم ص٨٥.

(٢) النوع الاول اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٥–٨٧ مع زيادة قليلة في الوسط والاخير .

(٣) الكلام ذكره الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/٩٦ .

الاصاغرِ )[1] رواه الطبراني في الأوسط والكبيرِ ، وفيه ابنَ الهيعةِ ، وحديثه حسنٌ .

وعن ابن مسعود قالَ : ( لا يزالُ النَّاسُ بخيرٍ متماسكينَ مَا أتاهُم العلمُ من أصحابِ محمد صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، ومن أكابرِهم ، فاذاً أتاهم من أصاغرِهم هلكُوا )[2] ، رواهُ الطبراني في الكبير والأوسطِ ، ورجالهُ موثوقونَ .

وليحذر من التقيّدِ بالمشهورينَ ، وتركِ الأخذِ عن الخاملينَ ، فقد عدَّ الغزالي وغيره ذلكَ من الكبرِ علَى العلمِ ، وجعله عينَ الحماقةِ ، لأنَّ الحكمةَ ضالةُ المؤمنِ يلتقطُها حيثُ وجدها ، ويغتنمُها حيثُ ظفرَ بها ، [٧٩ظ] ويتقلدُ المنَّةَ لمن ساقَها اليه ، فانَّهُ يهربُ من مخافةِ الجهلِ كما يهربُ من الأسدِ ، والهاربُ من الأسدِ لا يأنفُ من دلالةِ من يدله على الخلاصِ كائناً من كَانَ .

وذكر أبو نعيم في الحليةِ : انَّ زينَ العابدين[3] عليّ بن الحسينِ كانَ يذهبُ إلى زيدِ بن أسلم[4]

---

(١) الحديث ورد في زوائد المعجمين ١/٢٧ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٢ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٩/١٢٠ ، زوائد المعجمين ١/٢٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٨٢ ، الفقيه والمتفقه ٢/٧٩ .

(٣) لم اجد ذلك في حلية الاولياء في ترجمة زين العابدين ٣/١٣٣ ، ولا في ترجمة زيد بن اسلم ٣/٢٢١ .

(٤) هو ابو اسامة زيد بن اسلم ، قال عنه ابو نعيم : كان بالعدل قائلاً ، وبالفضل عاملاً ، وعن الجهل عادلاً . ينظر حلية الاولياء ٣/٢٢١ .

فيجلس اليه ، فقيل له أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس اليه ، فقال : العلم يتبع حيث كان ، وممن كان ، فان كان الخامل ممن ترجى بركته كان النفع به أعم والتحصيل من جهته أتم ، وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لم تجد النفع يحصل غالباً ، والفلاح يدرك طالباً إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر ، وكذلك إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر ، والفلاح بالاشتغال به أكثر ·
وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له في العلوم الشرعية تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق ، قال الشافعي رحمه الله : ( من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام )[1] ، وكان بعضهم يقول : ( من أعظم البلية تشيخ الصحفية ) ، أي الذين يتعلمون من الصحف[2] ·

الثاني[3] أن ينقاد لشيخه في اموره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرى

---

(١) شرح المهذب للنووي ١/٦٤ ·
(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٢/٩٧ ·
(٣) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٧-٨٨ ، مع زيادة في أخير النوع ·

رضاهُ فيما يعتمدهُ ، ويُبَالغُ في حرمتهِ ، ويتقربُ إلى اللهِ بخدمتهِ ، ويعلمُ أنَّ ذلَّهُ لشيخهِ عِزٌ ، وخضوعَهُ لهُ فخرٌ وتواضعَهُ لَهُ رِفْعَةٌ ، [٨٠و] ويُقَالُ إنَّ الشَّافعي رحمهُ اللهُ عُوتِبَ على تواضعهِ للعلماءِ فقالَ(١) :

أُهِينُ لهمْ نَفْسِي فَهُمْ يُكرِمُونها
وَلَنْ تُكرَمَ النفسُ الَّتي لا تُهِينُها

( وأخذَ ابنُ عباس رَضِيَ اللهُ عنهما معَ جلالتهِ وقرابتهِ مِن النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسَلَّم ومرتبتهِ بركابِ زيدِ بن ثابت الأَنصاري ، وهو مِمَّن أَخذَ عنهُ ابن عباس العلمَ ، وقالَ : هكذا أُمِرنا أَنْ نفعلَ بعلمائِنا )(٢) ، وقالَ أحمد بن حنبل لخلفِ الأحمر(٣) : ( لا أقعدُ إلاَّ بينَ يديكَ أُمِرنا أَنْ نتواضعَ لمن نتعلمُ منهُ )(٤) ، وهو شاهدٌ لما رواهُ أَبو هريرة مرفوعاً : ( تعلَّمُوا العلمَ ، وتعلَّمُوا للعلمِ

---

(١) البيت في مناقب الشافعي ٢/١٤٧ .

(٢) ينظر الفقيه والمتفقه ٢/٩٩ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٤ .

(٣) هو أبو محرز خلف بن حبان المعروف بالأحمر شاعر وراوي ، وعالم بالأدب ، ومعلم أهل البصرة ، كان أبواهُ من الموالي ، توفي سنة (١٨٠هـ) . انباه الرواة على انباه النحاة طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٩٥٠م ١/٣٤٨ ، الاعلام ٢/٣٥٨ .

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١/١٣٢ .

السَّكينةَ ، وتواضعُوا لمـَن تعلَّمونَ منه' )[1] ، رواه' الطبراني في الأوسط ٠

وعن جميلة امِّ ولـد انس بن مالك قالتْ : ( كان ثابت" إذا أتَى انساً قالَ : أَين انس ؟ يا جاريةُ ، هاتي لي طيباً أَمسحُ يدي فانَّ ابن امَّ ثابت لا يرضَى حتَّى يقبِّلَ يدي )[2] ، رواه' أَبو يعلي ورجاله' موثوقونَ ٠

وقالَ الغزالي لا تنال' العلمَ إلاَّ بالتواضُعَ والقاءِ السَّمعِ ، قالَ : ومهما أَشارَ عليهِ شيخه' بطريقٍ في التعليمِ فليقلِّده' ، وليدعْ رأيَه' ، فخطأُ مرشدهِ أَنفع لـه' من صوابهِ في نفسهِ ، وقد نبَّهَ الله' على ذلكَ في قصَّةِ موسى والخضر عليهما السَّلام بقولـه : ( إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرَاً )[3] الآية ، هـذا مـعَ علوٍّ قدرِ موسى الكليمِ في الرسالةِ والعلم حتى شرطَ عليهِ السكوتَ ، فقالَ : ( فَلا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْه' ذِكْراً )[4] ٠

الثالث'[5] أَنْ ينظرَه بعينِ الأجلالِ ويعتقدَ فيهِ درجةَ الكمالِ ، ويوقِّره' ويعظِّمه' ، فانَّ ذلكَ أَقربَ إلى نفعهِ بهِ ، وكانَ بعض' السَّلفِ إذا ذهبَ إلى شيخهِ

---

(١) زوائد المعجمين ١/١٨ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٦٣ ، ٦٩ ٠

(٢) المطالب العالية ٣/١١٨ ، وفيه : ( قال ثابت : كنت اذا جئت انساً دعا بطيب ، فمسح بيديه وعارضيه ) ٠

(٣) سورة الكهف الآيتان : ٧٢ ، ٧٥ ٠

(٤) سورة الكهف الآية : ٧٠ ٠

(٥) النوع الثالث : أخذه' المصنف نصفه من تذكرة السامع والمتكلم ص٨٨ ـ ٨٩ ٠

تصدَّقَ بشيءٍ وقالَ : اللهُمَّ استرْ عيبَ شيخي عنّي ولا تُذهبْ بركةَ علمهِ منّي ، وهذا [٨٠ظ] كقولِ بعضهِم من احتجت إلى علومه فلا تنظرُ إلى عيوبهِ ، فانْ نظرتَ اليها حُرِمْتَ الانتفاعَ بعلومهِ .

وقالَ أَبو عبدالله محمد بن خفيف: قالَ لي رُوَيم[1] رحمةُ اللهِ عليهما : اجعلْ علمَكَ ملحاً وأَدَبكَ دقيقاً ولذاً ، قالَ بعضُ الصوفيَّة : التصوّفُ كلّهُ أَدبٌ ، فمن لزمَ الأَدبَ بلغ مبلغَ الرجالِ ، ومن حُرِمَ الأدبُ فهو بعيدٌ من حيثُ يظنُّ القربَ ، ومردودٌ من حيثُ يرجُو القبُولَ ، وقيلَ من حُرِمَ الأَدبُ حُرِمَ جوامعُ الخيراتِ . وقالَ أبو بكر[2] الكتاني : التصوّفُ خُلُقٌ فمن زادَ عليكَ في الخُلُقِ زادَ عليكَ في التصوّفِ ، ولمّا قالَ الجنيدُ[3] لأَبي حفص[4] الحداد رحمهما اللهُ :

---

(١) هو ابو محمد رويم بن احمد بن يزيد ، من أهل بغداد ، كان عالماً وفقيهاً صوفياً ، توفي سنة (٣٠٣هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٢٩٦/١٠ ، الرسالة القشيرية ص٢٠ .

(٢) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني ، بغدادي الأصل من أصحاب الجنيد ، توفي سنة (٣٢٢هـ) . ترجمته في حلية الاولياء ٣٥٧/١٠ ، الرسالة القشيرية ص٢٦ ، شذرات الذهب ٢٩٦/٢ .

(٣) هو ابو القاسم الجنيد بن محمد ، كان أبوه يبيع الزجاج ، كان فقيهاً وصوفياً مشهوراً ، ويعتبر سيد المتصوفين وامامهم ، توفي سنة (٢٩٧هـ) . ترجمته في حلية الاولياء ٢٥٥/١٠ ، الرسالة القشيرية ص١٨ .

(٤) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد ، أصله من قرية قرب نيسابور ، كان اماماً زاهداً ، توفي سنة (٢٦٢هـ) . ينظر الرسالة القشيرية ص١٧ .

أَدبْ أَصحابَكَ أَدبَ السَّلاطين ، قالَ : لا يـا أَبـا القاسم ولكنْ حسنُ الأَدبِ في الظاهرِ عنوانُ حسنِ الأَدبِ في الباطنِ ، وقالَ السَّريّ[1] : ( حسنُ الأَدبِ ترجمانُ العقلِ )[2]، ومراعاةُ الأَدبِ فيما بينَ المحققين مقدَّمٌ على غيرِه ، أَلا تـرَى كيفَ مـدحَ اللهُ أَهلَهُ وشـرَّفَ محلَّهـم بقولـه : ( إنَّ الَّذيـنَ يَغُضُّون أَصْوَاتَهُمْ عِنْـدَ رَسُـولِ اللهِ أولئـكَ الَّذيـنَ امْتَحَـنَ اللهُ قُلُوبَهُم لِلْتَقْوَى لَهُـمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ )[3] ، وأَخرجَ الخطيبُ في الجامعِ عن أَيوب عن محمد قال : ( رأيتُ عبدَالرحمن بن أبي ليلى وأَصحابَه يُعظّمونَه ويسوّدونَه ويشرّفونهُ مثل الأَميرِ )[4] • وعـن أَبي عبـدالله يحيى بن عبدالملـك الموصلي قالَ : ( رأيتُ مالكَ بن أنس غيرَ مرَّةٍ ، وكانَ باصحابه من الأعظامِ لهُ والتوقير لهُ ، وإذا رفعَ أَحدٌ صوتَهُ صاحُوا به )[5] • وعن عبدالرحمن بن حرملـة الأَسلمي قالَ : ( ما كانَ انسانٌ يجتري على سعيد بن المسَّب [٨١و] بمسألةٍ عن شيءٍ حتَّى يستأذنَهُ كمـا يُستأذنُ الأَميرُ )[6] •

---

(١) هو ابو الحسن سَرّي بن المُغَلّس السقطي، خال الجنيد واستاذه، ويعد امام البغداديين وشيخهم في وقته ، توفي في بغداد سنة (٢٥١هـ)• ترجمته في حلية الاولياء ١٠/١١٦ ، الرسـالة القشـيرية ص١٠ ، شذرات الذهب ٢/١٢٧ •

(٢) حلية الاولياء ١٠/١٢٤ •

(٣) سورة الحجرات الآية : ٣ •

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ١/١١٨ •

(٥) الجـامع ١/١١٨ •

(٦) الجـامع ١/١٢٠ •

وعن أبي عاصل : (كُنَّا عندَ ابن عون[1] ، وهو يحدِّثُ فمرَّ بنا إبراهيم[2] بن عبدالله بن حســن بن حســن في موكبهِ ، وهو اذ ذاك يُدعَـا اماماً بعد قتلِ أَخيهِ محمد ، فما جسرَ أحدٌ أَنْ يلتفتَ فينظر اليهِ فضلاً عن أَنْ يقومَ هيبةً لابن عون )[3] .

وعن إسحاق الشهيدي : (كنتُ أَرى يحيى القطان[4] يصلِّي العصرَ ثم يستنـدُ إلى أصلِ منارةِ مسجدهِ ، فيقفُ بـينَ يديــهِ عليٌّ بن المـديني ، والشاذكوني ، وعمرو[5] بن علي ، وأَحمد بن حنبل ، ويحيى[6] بن معين ، وغيرهم يسألونهُ عن الحديث ، وهم قيامٌ على أَرجلهِم إلى أن تحــينَ صلاةُ المغــربِ ، لا يقولُ لواحــدٍ منهم

---

(١) هو الحافظ أبو عثمان عمرو بن عون السلمي الواسطي البـزار ، توفي سنة (٢٢٥هـ) ، ترجمتهُ في تذكرة الحفاظ ٢/١٣ .

(٢) هو ابراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، احد الاشراف ، ثار على المنصور العباسي استولى على البصرة والاهواز وفارس وهاجم الكوفة وقتل في المعركة سـنة (١٤٥هـ) ترجمته في تاريخ الطبري ٧/٦٢٢ ، الكامل لابن الاثير ٥/٥٦٠ .

(٣) الجـامع ١/١٢٠ .

(٤) هو أبو سعيد يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي ، كان حافظاً ثقة ، توفي سنة ١٩٨هـ ، ترجمته في تاريخ بغداد ، تذكرة الحفاظ ١/٢٧٤ .

(٥) هو أبو حفص عمرو بن علي بن بحر السقاء الغلاّس ، كان حافظاً للحديث ثقة ، توفي سنة (٢٤٩هـ) ، ترجمته في تهـذيب التهـذيب ٨/٨٠ ، الاعـلام ٥/٢٥٤ .

(٦) هو ابو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد المري بالولاء كان اماماً ومحدثـاً ومؤرخاً لرجـال الحـديث ، توفي سنة (٢٣٣هـ) ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/١٨ ، تاريخ بغداد ١٤/١٧٧ ، الاعلام ٩/٢١٨ .

اجلسْ ، ولا يجلسونَ هيبةً وإعظاماً )[1] ، وسيأتي في الذكرِ الخامسِ عشر من القسمِ الثاني قولُ ابن عباس في قصَّةَ أَخذه بركابِ أبي بن كعب : ( إنَّهُ ينبغي للحبرِ أَنْ يُظَّمَ ويُشـرَّفَ )[2] ، وقد عقدَ الدارمي باباً لتوقيرِ العلماء ، ورُويَ فيهِ عن حبيب بن صالح ، قالَ : ( ما خفتُ أَحـداً من النَّاسِ مخـافةَ خالد[3] بن معـدان )[4] .

وعن مغيرة قالَ : ( كُنَّا نهابُ إبراهيم[5] ـ يعني النَّخعـي ـ هيبـةَ الأمـراءِ )[6] ، وقـالَ الشَّافعي : ( كنتَ أَصفحُ الورقةَ بينَ يدي مالك صفحاً رفيقاً لئلا يسمعَ وقعَها )[7] ، وقالَ الربيعُ : ( واللهِ ما اجترأتُ أَنْ اشربَ المـاءَ والشافعي ينظرُ اليَّ هيبةً لهُ )[8] ،

---

(1) الجـامع ١/١٢٠ .

(2) الجـامع ١/١٢٤ .

(3) هو أبو عبدالله خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي ، كان ثقـةً زاهداً عابداً ، توفي سنة (١٠٤هـ) ، تهذيب بن عسـاكر ٥/٨٦ ، الاعـلام ٢/٣٤٠ .

(4) مسند الدارمي ١/٩٢ .

(5) هو ابو عمران ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الاسود النخعي ، من مذحج ، كان من اكابر التابعين صدقاً وصلاحاً وحفظاً ورواية للحديث، توفي سنة (٩٦هـ)، ترجمته في حلية الاولياء ٤/٢١٩ ، الاعلام ١/٧٦.

(6) الجـامع ١/١١٩ .

(7) مناقب الشافعي ٢/١٤٤ ، شرح المهذب ١/٦١ .

(8) مناقب الشافعي ٢/١٤٥ ، شرح المهذب ١/٦١ .

( وحضرَ بعضُ أَولادِ الخليفة المهدي عندَ شـريك[1] ، فاستندَ إلى الحائطِ ، وسألهُ عن حـديثٍ فلم يلتفتْ اليهِ شريكٌ ثم أَعادَ فعاد شريكٌ بمثلِ ذلكَ ، فقالَ : أتستخفُ [٨١ظ] بأولادِ الخلفاءِ ؟ قالَ : لا ولكنَّ العلمَ أَجلُّ عندَ اللهِ من أَنْ اضيّعَهُ ، ويُروى العلمُ أَزينُ عنـدَ أَهلـهِ من أَنْ يضيّعُوهُ ، فجثَى ابنُ الخليفة المهدي على ركبتيهِ ، فقالَ شـريكٌ : هـكذا يُطلَبُ العـلمُ )[2] ، وينبغي أَنْ لا يُخاطبَ شـيخَهُ بتـاءِ الخطابِ وكافة ، ولا يناديهِ من بعيـدٍ ، بل يقولُ : يا سيّدي ، ويا اسـتاذُ ، وقالَ الخطيبُ : ( يقولُ : أيُّها العالمُ وأَيُّها الحافظُ ، ونحـو ذلـكَ )[3] ، ومـا تقولونَ في كذا ؟ وما رأيكم في كذا ؟ أَوْ شبهُ ذلـكَ ، ولا يسمّيهِ في غيبته أَيضاً باسمهِ إلاّ مقرونـاً بمـا يُشعرُ بتعظيمه كقولَه : قالَ الشيخُ الاستاذُ كذا ، أو قالَ شيخُنا ، أو قالَ حجةُ الاسلامُ ونحو ذلكَ ٠

الرابعُ[4] أَنْ يعـرفَ لـهُ حقَهُ ولا ينسَى لـهُ فضلَهُ ٠ قالَ شعبةُ : كنتُ إذا سـمعتُ من الرجـلِ

---

(١) هو ابو عبدالله شريك بن عبدالله النخعي ، القاضي الكوفي ، أحـد الأئمـة الاعـلام ، كان فقيهـاً ومحدثـاً ، توفي سـنة (١٧٧هـ) ، ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٢١٤ ٠

(٢) شرح المهذب ١/٦١ ، وفيه قال حمدان بن الاصفهاني كنت عنـد شريك فأتاه بعض اولاد المهدي ٠٠٠ الخ ، ونفس الكلام المصنف في الجـامع ١/١٣٢ ٠

(٣) الجامع للخطيب البغدادي ١/١١٨ ٠

(٤) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم وزاد عليـه حديث الطبراني ص٩٠ ٠

الحديثَ كنتُ لهُ عبداً ما حيي ، وقالَ : ما سمتُ من أحدٍ شيئاً إلاّ واختلفتُ اليهِ أكثرُ مِمّا سمعتُ منهُ ٠

وعن أبي امامة الباهلي مرفوعاً : ( من علّمَ عبداً آيةً من كتابِ اللهِ فهو مولاهُ ، ولا ينبغي أنْ يخذلَهُ ولا يستأثرَ عليهِ )[1] ٠ رواهُ الطبراني في الكبير ، ومن ذلكَ أنْ يعظّمَ حضرتَهُ ويردُ غيبتَهُ ، ويغضب لها ، فانْ عجزَ عن ذلكَ قامَ وفارقَ ذلكَ المجلسَ ٠ وينبغي أنْ يدعوَ لهُ مدةَ حياتهِ ، ويرعَى ذريّتَهُ وأقاربَهُ وأودّاءَهُ[2] بعدَ وفاتهِ ، ويتعاهدَ زيارةَ قبرهِ والاستغفارَ لهُ والصدقةَ عنهُ ، ويسلكَ في السَّمْتِ والهدَى مسلكَهُ ، ويراعي في العلمِ والدّين عادتَهُ ، ويقتدي بحركاته وسكناته في عاداته وعباداتهِ ، ويتأدبَ بآدابهِ ، ولا يدع الاقتداءَ بهِ ٠

الخامس[3] أنْ يصبرَ على جفوةٍ [٨٢و] تصدرُ من شيخهِ ، أوْ سوءُ خُلُقٍ ولا يصدُّهُ ذلكَ عن ملازمتهِ وحسنِ عقيدتهِ ، ويتأولَ أفعالَهُ التي يظهرُ أنَّ الصوابَ خلافُهَا علَى أحسنِ تأويلٍ ، ويبدأَ هو عند جفوةِ الشيخِ بالاعتذارِ والتوبةِ ممّا وقعَ والاستغفارِ ، وينسبَ الموجبَ اليهِ ، ويجعلَ العتبَ فيهِ اليهِ ، فانّ ذلكَ أبقَى لمودةِ شيخهِ ، وأحفظُ لقلبهِ ، وأنفعُ للطالبِ في دنياهُ وآخرتهِ ٠

---

(١) الحديث في المعجم الكبير للطبراني ١٣١/٨ ٠

(٢) كذا في الاصل ، (م) ، وفي (ب) ( اولادة ) وهو تحريف ٠

(٣) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩١-٩٢، مع زيادة قليلة من عنده ٠

وعن بعضِ السَّلفِ ( مَن لم يصبرْ على ذلِّ التعليمِ بقَى عمرهُ في عمايةِ الجهالةِ ، ومن صبرَ عليهِ آلَ أمرهُ إلى عزِّ الدُّنيا والآخرةِ )[1] . ولبعضهِم[2] :

اصْبِرْ لِدائِكَ إنْ جَفَوْتَ طبيبَهُ
واصْبِرْ لجهلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعلِّما

وعن ابن عباس: ( ذللتُ طالباً فعززتُ مطلوباً )[3] . وروى الدارمي عن أبي سلمة قالَ : ( لو رفقتُ بابن عباس لأصبتُ منه علماً كثيراً )[4] . وقالَ معافى بن عمران[5] : ( مَثَلَ الذي يغضبُ على العالِمِ مثلُ الذي يغضبُ على اساطينِ الجامعِ )[6] . وقالَ الشّافعي : ( قيلَ لسفيان بن عيينة إنَّ قوماً يأتونكَ من أقطارِ الأرضِ تغضبُ عليهم، يوشكُ أنْ يذهبُوا ويتركوكَ ، فقالَ للقائلِ : هم حمقَى إذاً مثلُكَ إنْ تركوا ما ينفعهم لسوءِ خُلقي )[7] . وقالَ أبو يوسف رحمه اللهُ :

---

(1) شرح المهذب ١/٦٣ .

(2) هذا البيت الثاني من بيتين ذكرهما الراغب الاصبهاني في محاضرات الادباء ١/٥٣ .

(3) شرح المهذب ١/٦٣ .

(4) مسند الدارمي ١/١١٥ .

(5) هو أبو مسعود معافَى بن عمران الأزدي الموصلي ، من مشايخ الجزيرة في وقته ، كان حافظاً للحديث ثقة مصنفاً توفي سنة (٨٥هـ). ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٢٦٤ ، تاريخ بغداد ١٣/٢٢٦ .

(6) الجامع ١/١٥٧ .

(7) مناقب الشافعي ٢/١٤٦ ، الجامع ١/١٥٧ .

( خمسةٌ يجبُ على النَّاسِ مداراتهم ، وعدَّ منهم العالمَ ليُقتبَسَ من علمهِ )[1] .

السادِس[2] أَنْ يشكرَ الشيخَ على توقيفهِ على ما فيهِ فضيلةٌ ، وعلى توبيخهِ على ما فيهِ نقيصةٌ ، أَو على كسلٍ يعتريهِ ، أو قصورٍ يعانيهِ ، أو غيرِ ذلكَ مما في ايقافه عليهِ ، وتوبيخُه واشادهُ [٨٢ظ] وصلاحُه ، ويعدُّ ذلكَ منَ الشيخِ من نعمِ اللهِ تعالى عليهِ باعتناءِ الشيخِ بهِ ونظرهِ اليهِ ، فانَ ذلكَ أَميلُ لقلبِ الشيخِ ، وأَبعثُ على الاعتناءِ بمصالحهِ . وإذا أَوقفَهُ الشيخُ على دقيقةٍ من أَدبٍ ، أَو نقيصةً صدرت منهُ ، وكانَ يعرفهُ منَ قبلُ فلا يُظهِرُ أَنَّهُ كانَ عارفاً بهِ ، وغفلَ عنهُ ، بل يشكرُ الشيخَ على إفادته ذلكَ وإعتنائه بأمرهِ ، فانْ كانَ لهُ في ذلكَ عذرٌ ، وكانَ اعلامُ الشيخِ بهِ أَصلحَ ، فلا بأسَ بهِ وإلاَّ تركهُ إلاَّ أن يترتبَ على تركِ بيانِ العذرِ مفسدةٌ فيتعيَّنُ اعلامَهُ بهِ .

السابِعُ[3] أَنْ لا يدخلَ على الشيخِ في غيرِ المجلسِ العامِ إلاَّ باستئذانٍ سواءً كانَ الشيخُ وحدهُ أو معَهُ غيرهُ . وفي مسند الدارمي عن الزُهري قالَ : ( كنتُ آتي بابَ عروة ، فاجلسُ بالبابِ ، ولو شئتُ أَنْ

---

(١) الجامع ١/١٥٦ .

(٢) النوع السادس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٢-٩٣.

(٣) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٣-٩٧.

أَدخلَ لدخلتُ ، ولكن إجلالاً لهُ )[1] ٠

فإن استأذنَ بحيثُ يعلمُ الشيخُ ولم يأذنْ لهُ انصرفَ ، ولا يكرِّرُ الاستئذانَ ، وإنْ شكَّ في علمِ الشيخِ بهِ فلا يزيدُ في الاستئذانِ فوقَ ثلاثِ مرَّاتٍ ، أو ثلاثِ طرقاتٍ بالبابِ ، أو الحلقةِ ، وليكُن طرقُ البابِ خفيفاً بأدبٍ بأظفارِ الأصابعِ ، ثم بالأصابعِ ، ثم بالحلقة قليلاً قليلاً ، فإنْ كانَ الموضعُ بعيداً عن البابِ والحلقةِ ، فلا بأسَ برفعِ ذلكَ بقدرِ ما يسمع لا غيرُ ، وإذا أذنَ وكانُوا جماعةً يُقدَّمُ أفضلُهم وأسنُّهم بالدخولِ والسَّلامِ عليهِ ، ثم يسلِّمُ عليهِ الأفضلُ فالأفضلُ ٠ وينبغي أَنْ يدخلَ على الشيخِ كاملَ الهيئةِ متطهرَ البدنِ والثيابِ نظيفهما بعد ما يحتاجُ اليهِ [٨٣و] من أخذِ ظفرٍ وشعرٍ ، وقطعِ رائحةٍ كريهةٍ لاسيما إنْ كانَ يقصدُ مجلسَ العلمِ ، فإنَّهُ مجلسُ ذكرٍ واجتماعٍ في عبادةٍ ، ومتى دخلَ على الشيخِ في غيرِ المجلسِ العامِ ، وعندَهُ من يتحدَّثُ معَهُ فسكتوا من الحديثِ ، أَو دخلَ والشيخُ وحدَهُ يصلِّي ، أَوْ يذكرُ ، أَوْ يكتبُ ، أو يطالعُ فتركَ ذلكَ أو سكتَ ولم يبدأْهُ بكلامٍ ، أَو بسطَ حديثٍ ، فليسلِّمَ ويخرجَ سريعاً إلاَّ أَنْ يحثَّهُ الشيخ على المكثِ ، وإذا مكثَ فلا يطيلُ إلاَّ أن يأمرَهُ بذلكَ ٠ وينبغي أَنْ يدخلَ على الشيخِ أو يجلسَ عندَهُ وقلبهُ فارغٌ من الشواغلِ لهُ ، وذهنهُ صافٍ ، لا في حالِ نعاسٍ أو غضبٍ ، أَو جوعٍ شديدٍ ، أَو عطشٍ ونحو

---

(١) مسند الدارمي ١/١١٥ ٠

ذلكَ ، لينشرحَ صدرهُ لما يُقَالُ ويعي ما يسمعهُ ، وإذا حضرَ مكانَ الشيخَ فلم يجدْهُ جالساً انتظرهُ كيلا يفوتَ على نفسه درسَهُ ، فانَّ كلَّ درسٍ يفوتُ لا عوضَ[1] لهُ ، ولا يطرقُ عليه ليخرجَ اليه ، وإنْ كانَ نائماً صبرَ حتَّى يستيقظ أو ينصرفَ ثم يعودُ ، والصبرُ خيرٌ لهُ ، فقد رُوِيَ كما سيأتي في القسم الثاني أَنَّ ابنَ عباس كانَ يجلسُ في طلبِ العلمِ على بابِ زيد بن[2] ثابت حتَّى يستيقظَ فيقالُ لهُ ألا نوقظهُ لكَ ؟ فيقولُ : لا وربَّما طالَ مقامُهُ وقرعتهُ الشَّمسُ ، وكذلكَ كانَ السَّلفُ يفعلونَ ، ولا يطلبُ من الشيخِ اقراءَهُ في وقتٍ يشقُ عليه فيه ، أو لم تجرِ عادتهُ بالأقراءِ فيه ، ولا يخترعُ[3] عليه وقتاً خاصاً به دونَ غيره ، وإنْ كانَ رئيساً أو كبيراً ، لما فيه من التَّرفُّع والحمقِ على الشيخِ والطلبةِ والعلمِ ، وربَّما استحيَى الشيخُ منهُ فتركَ لاجله ما هو أهمُّ [٨٣ظ] عندَهُ في ذلكَ الوقتِ ، فلا يفلحُ الطالبُ ، فانْ بدأَهُ الشيخُ بوقتٍ معيَّنٍ أو خاصٍ لعذرٍ عائقٍ لهُ عن الحضورِ مع الجماعةِ ، أو لمصلحةٍ رآها الشيخُ فلا بأسَ بذلكَ .

الثامنُ[4] أن يجلسَ بين يدي الشيخِ جلسة الأدبِ

---

(١) هذه الوصايا التربوية لو تمسك بها طلابنا الاعزاء لازدادوا علماً ومعرفة بالبحث والتتبع .

(٢) ينظر مسند الدارمي ١/١٤ ـ ١٥ .

(٣) كذا في المخطوطة ، ولعله : ( يقترح ) .

(٤) النوع الثامن أخذ معظمهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص٩٧ ـ ١٠٠ . وأضاف عليه بعض الفقرات وخاصة في أخيره .

كما يجلسُ الصَّبيُّ بينَ يدي المقرىء ، أَو متربعاً بتواضعٍ وخضوعٍ وسكونٍ وخشوعٍ ، ويصغي إلى الشيخِ ناظراً اليهِ ، ويُقبلُ بكليّتهِ عليهِ ، متعقّلاً لقولهِ بحيثُ لا يحوجهُ إلى إعادةِ الكلامِ مرةً ثانيةً .

فعن أَيّوب قالَ : ( حدّثَ سعيدُ بن جبير يوماً بحديث ، فقمتُ اليهِ فاستعدته فقالَ : ما كلُّ ساعة أُحلَبُ فأُشربُ )[1] ، ولا يلتفتُ من غيرِ ضرورةٍ ، ولا ينظرُ إلى يمينهِ وشمالهِ ، أو فوقَهُ ، أَو قدامَهُ لغيرِ حاجةٍ ، ولاسيما عندَ بحثهِ لهُ ، أو عندَ كلامهِ معَهُ .

ولا ينبغي أَنْ ينظرَ إلاّ اليهِ ولا يضطربُ لصيحةٍ يسمعُها أو يلتفتُ اليها ، ولاسيما عندَ بحثه لـهُ ، ولا ينفضُ كمَّهُ ، ولا يحسرُ عن ذراعهِ ، ولا يعبثُ بيديهِ أو رجليهِ أو غيرهما من أَعضائهِ ، ولا يضعُ يدَهُ على لحيتهِ أو فمهِ ، أَو يعبثُ بها في أَنفهِ ، أو يستخرجُ بها منهُ شيئاً ، ولايفتحُ فاهُ ، ولا يقرعُ سنَّهُ ، ولا يضربُ الأَرضَ براحتيهِ ، أَو يخبطُ عليها باصابعهِ ، ولا يشبكُ بيديهِ ، أَو يعبثُ بازرارهِ ، ولا يستندُ بحضرةِ الشيخِ إلى حائط ، أو مخدَّةٍ ، أَو در[2]ابزين[3]، أو يجعلَ يدَهُ ، ولا يعطي الشيخ جنبَهُ ، أو ظهرَهُ ، ولا يعتمدُ على يدهِ[4] إلى ورائهِ ، أَو جنبهِ ،

---

(١) الحديث ذكره الدارمي في مسنده ٩٢/١ ، وهو في الجامع ٥٣/٢ .

(٢) ( درابزين ) : ساقطة من (ب) .

(٣) درابزين : قوائم منتظمة يعلوها متكأ .

(٤) في (ب) : ( يديه ) ، وهو خطأ .

ولا يكثرُ كلامَهُ من غيرِ حاجةٍ ، ولا يحكي ما يُضحكُ منهُ ، أَو ما فيهِ بذاءة ، أو يتضمَّنُ سوءَ مخاطبةٍ ، أَو سوءَ أدبٍ [٨٤و] ، ولا يضحكُ لغيرِ عجب ولا لعجبٍ دونَ الشيخِ ، فإنْ غلبهُ تبسَّمَ تبسُّماً بغيرِ صوتٍ البتَّةَ .

فقد أَخرجَ الخطيب عن عبدالرحمن بن عمر ، قالَ : ( ضحكَ رجلٌ في مجلس عبدِ الرحمن[1] بن مهدي فقالَ : مَنْ ضحكَ فأَشارُوا إلى رجلٍ ، فقالَ : تطلبُ العلم وأَنتَ تضحكُ لا حدَّثتكم شهراً )[2] .

وعن أحمد بن شيبان[3] القطان : ( كانَ عبدُالرحمن ابن مهدي لا يَتَحدَّثُ في مجلسه ، ولا يُبرَأُ فيه قلمٌ ، ولا يتبسَّمُ أَحدٌ ، فإنْ تحدَّثَ أَو برأَ قلماً صاح ولبسَ نعليهِ ودخلَ ، وكذا كانَ يفعلُ ابنُ نميرٍ ، وكانَ من أَشدِّ النَّاسِ في هذا ، وكانَ وكيعُ[4] أَيضاً في مجلسه كأنَّهُم في صلاةٍ ، فإنْ أَنكرَ من أَمرِهم شيئاً انتعلَ ودخلَ ، وكانَ بنُ نميرٍ يغضبُ

---

(١) هو أبو سعيد عبدالرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري ، ولد في البصرة سنة (١٣٥هـ) ، ودرس فيها واصبح من كبار رجال الحديث وحفاظه ، توفى في البصرة سنة (١٩٨هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٣/٩ ، تاريخ بغداد ٢٤٠/١٠ .

(٢) النص من كتاب الجامع ١٢٨/١ .

(٣) هو أبو جعفر أحمد بن شيبان بن أسد بن حبان القطان ، حافظ من رجال الحديث روى عنه أصحاب كتب الحديث ، توفي في واسط سنة (٢٩٥هـ). ترجمته في شذرات الذهب ١٣٧/٢ ، الاعلام ١٣٠/١.

(٤) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي ، كان حافظة

ويصيح ، وكان إذا رأى من يبري قلماً تغيَّر وجهه )[1] ، انتهى ٠

ولا يُكثر التنحنح من غير حاجة ، ولا يبصق ولا يتنخع ما أمكنه ، ولا يلفظ النخامة من فيه ، بل يأخذها من فيه بمنديل أو خرقة ، أو طرف ثوبه ، ويتعاهد تغطية أقدامه ، وإرخاء ثيابه ، وسكون بدنه عند بحثه ، أو مذاكرته ، وإذا عطس خفض صوته جهده ، وستر وجهه بمنديل ونحوه ، وإذا تثاوب ستر فاه بعد ردّه جهده ٠

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال : ( من حق العالم عليك أن تسلِّم على القوم عامة وتخصه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرنَّ عنده بيدك ، ولا تغمزنَّ بعينيك غيره ، ولا تقولنَّ : قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً ، ولا تطلبنَّ عثرته ، وإن زلَّ قبلت معذرته [٨٤ظ] ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته ، ولا تسار في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلحَّ عليه إذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء )[2] ٠

---

محدثاً ثبتاً ، له مؤلفات كثيرة في السنن والتفسير والتاريخ ، توفي سنة (١٩٧هـ) ، ترجمته في حلية الاولياء ٨/٣٦٨ ، تاريخ بغداد ١٣/٤٦٦ ، مفتاح السعادة ٢/١١٧ ، هدية العارفين ٢/٥٠٠ ٠

(١) النص ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١/١٢٨ ٠

(٢) الكلام في الجامع ١/١٣٣ ، وفي مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ص٧٦ ٠

وإنَّ المؤمنَ العالمَ لأعظمُ أَجراً من الصائمِ القائمِ الغازي في سبيلِ الله ، وإذا ماتَ العالمُ انثلمتْ في الأسلامِ ثلمةٌ لا يسدُّها شيءٌ إلى يومِ القيامةِ )[1] . أخرجه الخطيبُ في الجامعِ ، ولقد جمعَ رَضيَ اللهُ عنهُ في هذهِ الوصيّةِ ما فيهِ مقنعٌ .

قالَ بعضهُم : ومِن تعظيمِ الشيخِ ألاَ يجلسَ إلى جانبهِ ولا على مُصلاَّهُ ، أو وسادتهِ ، وإنْ أمرهُ الشيخُ بذلكَ فلا يفعلهُ إلاَّ إذا جزمَ عليهِ جزماً يشقُّ عليهِ مخالفتهُ، فلا بأسَ بامتثالِ أمرهِ في تلكَ الحال ، ثم يعودُ إلى ما يقتضيهِ الأدبُ ، وقد تكلَّمَ النَاسُ في أيِّ الأمرينِ أولى أنْ يعتمدَ امتثالَ الأمرِ ، أو سلوكَ الأدبِ ، والذي يترجَّحَ ماتقدَّمَ من التفضيلِ . قاله البدرُ بن جماعة ، قالَ : فانْ جزمَ الشيخُ بما أمرَ به بحيثُ يشقُّ عليهِ مخالفتُهُ ، فامتثالُ الأمرِ أولَى وإلاَّ فسلوكِ الأدبِ أولى لجوازِ أنْ يقصدَ الشيخُ جبرهُ واظهارَ احترامهِ والاعتناءَ بهِ ، فيقابلُ هو ذلكَ بما يجبُ من تعظيمِ الشيخِ والأدبِ معهُ[2] . وقد أخرجَ الخطيبُ : ( عن إدريس بن عبدالكريم قالَ : قالَ لي سلمةُ بن عاصم[3] : أريدُ

---

(١) الجامع ١/١٣٣ ، وهو في الفقيه والمتفقه للبغدادي ٢/٩٩ .

(٢) الى هنا انتهى كلام البدر بن جماعة فيتذكرة السامع والمتكلم ص١٠٠ .

(٣) هو ابو محمد سلمة بن عاصم النحوي ، عالم بالعربية والقرآن والحديث ، توفي سنة ٣١٠هـ ، ترجمته في انباه الرواة ٢/٥٦ ، كشف الظنون ص١٧٢٠ ، الاعلام ٣/١٧٢ .

أنْ أَسمعَ كتابَ العددِ من خلفٍ ، فقلتُ لخلفٍ ، قالَ : فليجي، فلمَّا دخلَ رفعَهُ لأنْ يَجلسَ في الصَّدرِ فأبَى ، وقالَ : لا أَجلسُ إلاَّ بينَ يديكَ ، وقالَ هذا حقُ التعليمِ ، فقالَ لهُ خلفٌ : جاءَني [٨٥و] أَحمدُ بن حنبل يسمعُ حديثَ أَبي عوانة ، فاجتهدتُ أَنْ أَرفعهُ فأبَى وقالَ : لا أجلسُ إلاَّ بينَ يديكَ ، أُمِرْنَا أَنْ نتواضعَ لمن نتعلَّمَ منهُ )[1] ٠

وعن عبدالله بن المعتزِّ : ( المتواضعُ من طلاَّبِ العلمِ أكثرُهم علماً ، كما أَنَّ المكانَ المنخفضَ أَكثرُ البقاعِ ماءً )[2] ٠

وإذا دعا الشيخُ أَوَّلَ الدَّرسِ للحاضرينَ علَى العادةِ ، أَجابوهُ بالدُّعاءِ أَيضاً ، وكانَ بعضُ أَكابرِ الأعلامِ يزبرُ[3] تاركَ ذلكَ ويغلظُ عليهِ ٠

التاسعُ[4] أَنْ يُحسِنَ خطابَهُ معَ الشيخِ بقدرِ الامكانِ ، ولا يقولُ لهُ : لِمَ ؟ ولا لانسلِّمُ ، ولا من يقل هذا ، ولا أَينَ موضعهُ ، وشبهَ ذلكَ ٠

وعن حبيب بن أَبي ثابت قالَ : ( كُنَّا عندَ سعيد ابن جبير فحدَّثَ بحديثٍ ، فقالَ رجلٌ : مَن حدَّثَ

(١) الجامع للخطيب البغدادي ١/١٣٢ ٠

(٢) الجامع ١/١٣٣ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٧٣ ٠

(٣) في (ب) : يزجر ، وكلا اللفظين يدل على المنع والنهي ٠ ينظر القاموس المحيط ( زبر ) ٠

(٤) النوع التاسع معظمه من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠١ـ١٠٤ ٠

هذا ؟ أَو ممَّن سمعتَ هذا ؟ فغضبَ ، ومنعنا حديثَهُ حتَّى قامَ )[1] ، رواهُ الدارمي ، فإنْ أرادَ استفادتَهُ تلطَّفَ في الوصولِ إلى ذلكَ ، ثم هوَ في مجلسٍ آخر أَولى على سبيلِ الأستفادةِ .

وعن بعض السَّلفِ : من قالَ لشيخه : لِمَ ؟ لا يفلحُ أَبداً ، وإذا ذكرَ شيئاً فلا يقلْ هكذا قلتُ : أَوَ خطرَ لي ، أو سمعتُ ، أَو هكذا قالَ فلانٌ إلاَّ أَنْ يعلمَ إيثارَ الشيخِ ذلكَ ، وهكذا لا يقولُ : قالَ فلانٌ هذا ، أَو رَوي فلانٌ خلافَهُ ، أَو هذا غيرُ صحيحٍ ، ونحو ذلكَ .

وإذا أَصرَّ الشيخُ على قولٍ ، أَو دليلٍ لم يظهرْ لهُ ، أَوْ على خلافِ صوابٍ سهواً ، فلا يغيِّرَ وجهَهُ ، أو عينَهُ ، أَو يشيرُ إلى غيرهِ كالمنكرِ لما قالهُ ، بل يأخذُهُ ببشرٍ ظاهرٍ ، وإنَ لم يكنِ الشيخُ مصيباً لغفلةٍ ، أَو سهوٍ ، أو قصورِ نظرٍ [٨٥ظ] في تلكَ الحالِ ، فإنَّ العصمةَ في البشرِ للأنبياءِ صلواتِ اللهِ وسلامهُ عليهم ، وليتحفَّظَ من مخاطبةِ الشيخِ بما يعتادُ بعضُ النَّاسِ في كلامهِ ، ولا يليقُ خطابَهُ بهِ مثلَ ايش[2] بكَ ، وفهمتَ ، وسَمعتَ ، وتدري ، ويا انسانُ ونحو ذلكَ لا يحكي لهُ ما خوطبَ به غيرَهُ ممَّا لا يليقُ خطابُ الشَّيخِ بهِ وإنْ كانَ حاكياً ، مثل

---

(1) مسند الدارمي ١/٩٢ .

(2) ( ايش بك ) كلمة عامية ، وهي منقولة من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٢ .

قالَ فلانٌ لفلانٍ : أَنْتَ قليلُ البرِّ ، وما عندكَ خيرٌ وشبهَ ذلكَ ، بل يقولُ إذا أَرادَ الحكايةَ ما جرتِ العادةُ بالكنايةِ ، مثلَ قالَ فلانٌ لفلانٍ : الأَبعدُ قليلُ البرِّ ، وما عندَ البعيدِ خيرٌ وشبهَ ذلكَ .

ويتحفَّظَ من مفاجأةِ الشيَّخِ بصورةِ ردٍّ عليهِ ، فإنَّهُ يقعُ ممَّنْ لا يحسنُ الأَدبَ من النَّاسِ كثيراً ، مثلَ أَنْ يقولَ لهُ الشيَّخُ : مرادُكَ في سؤالكَ كذا ، أو خطرَ لكَ كذا ، فيقولُ : لا ، أَو ما هذا مرادي ، أَو ما خطرَ لي هذا ، وشبهَ ذلكَ ، بل طريقهُ أَن يتلطَّفَ بالمكاسرةِ عن الردِّ على الشيخِ ، وكذلكَ إذا استفهمهُ الشيخُ استفهامَ تقريرٍ وجزمٍ ، كقوله : أَلمْ تقلْ كذا ، أَو ليسَ مرادُكَ كذا ؟ فلا يبادرُ بالردِّ عليهِ بقوله : لا ، أَو ما هو مرادي بل يسكتُ أَو يُورِّي عن ذلكَ بكلامٍ لطيفٍ يُفهمُ الشيخَ قصدَهُ منهُ ، فإنْ لم يكن بدٌّ من تحريرِ قصدهِ وقولهِ فليقلْ : فأَنا الآنَ أَقولُ كذا، أَو أَعودُ إلى قصدِ كذا، أَو يُعيدُ كلامَهُ، ولا يقل الذي قلتهُ(١) ، أَو الذي قصدتهُ ، لتضمُّنه الردَّ عليهِ ، وكذلكَ ينبغي أَنْ يقولَ في موضعِ (لِمَ) و (لا نسلِّمُ) فإنْ قيلَ لنا كذا ، أَو فإنْ منعنا ذلكَ . أَو فإنْ سُئلنا عن كذا ، أو فإنْ اُوردَ كذا وشبهَ ذلكَ ، ليكون مستفهماً للجوابِ سائلاً له بحسنِ [٨٦و] أَدبٍ ولطفِ عبارةٍ .

---

(١) هذه من الطرق المثلى في التربية الاسلامية ، وبهذه الطريقة خلفوا لنا هذه الثروة العلمية العظيمة .

العاشرُ[1] إذا سمعَ الشيخَ يذكرُ حكماً في مسألةٍ ، أو فائدةً مستغربةً ، أَو يحكي حكايةً ، أَو ينشدُ شعراً ، وهو يحفظُ ذلكَ أَصغى اليه إصغاءَ مستفيدٍ له في الحالِ متعطّشٍ اليهِ فرحٍ بهِ ، كأنَّهُ لم يسمعْهُ قطّ .

قالَ عطاء[2] : ( إنّي لأَسمعُ الحديثَ من الرجلِ ، وأَنا أَعلمُ بهِ منهُ ، فأُريهِ من نفسي أَنّي لا أَحسنُ منهُ شيئاً )[3] . وعنهُ قالَ : ( إنَّ الشابَّ ليتحدَّث بحديثٍ فاستمعُ لهُ كأنّي لم اسمعْهُ ، ولقد سمعتُهُ قبلَ أَنْ يولدَ )[4] .

فإنْ سألهُ الشيخُ عندَ الشروعِ في ذلكَ عن حفظهِ لهُ فلا يجيبُ بنعم لما فيهِ من الاستغناءِ عن الشيخِ فيهِ ، ولا يقلْ : لا لما فيه من الكذبِ ، بل يقولُ : أحبّ أَنْ استفيدَ من الشيخِ ، أَو أَنْ اسمعَهُ منهُ ، أَو بعُدَ عهدي ، أو هو من جهتكم أَصحُ . فإنْ علمَ من حالِ الشيخِ أَنَّهُ يؤثرُ العلمَ بحفظهِ لهُ مسرَّةً بهِ ، أو أَشارَ اليهِ باتمامهِ امتحاناً لضبطهِ ، أَو حفظهِ ،

---

(1) النوع العاشر أكثره أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٤ ـ ١٠٦ .

(2) هو عطاء بن سالم بن صفوان ، كان عبداً اسود ، ولد في اليمن ، ونشأ بمكة ، وكان فقيهاً وزاهداً ومحدثاً ، توفي سنة (١١٥) . ترجمته في تذكرة الحفاظ ١/٩٢ ، حلية الاولياء ٣/٣١٠ ، الاعلام ٥/٢٩ .

(3) الجامع ١/١٣٤ .

(4) الجامع ١/١٣٤ .

أَو لاظهارِ تحصيله ، فلا بأسَ باتباعِ عرضِ الشيخِ إبتغاءَ مرضاته وازدياداً لرغبته فيه • ولا ينبغي للطالبِ أَنْ يكرِّرَ سؤالَ ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمه ، فانّه يضيّع الزّمانَ ، وربّما أَضجر الشيخَ • قالَ الزّهري : ( إعادةُ الحديثِ أَشدُّ من نقلِ الصخرِ )(١) •

وينبغي أَلاّ يقصِّرَ في الأِصغاءِ والتّفهُّمِ ، أَو يشغلَه ذهنه بفكرٍ ، أو حديثٍ ، ثم يستعيدُ الشيخَ ما قاله ، لأَنَّ ذلكَ اساءةُ أَدبٍ بل يكونُ مُصْغياً لكلامه ، حاضرَ الذهنِ لِما سَمِعَه من أوّلِ مرّةٍ • وكانَ بعضُ المشايخِ لا يعيدُ لمثلِ هذا إذا استعادَهُ ، ويزبره عقوبةً له ، وإذا لم يسمعْ كلامَ الشيخِ لبعدهِ ، أَوْ لم يفهمْهُ مع الأِصغاء اليه والأقبال[٨٦ظ]عليه ، فله أَنْ يسألَ الشيخَ إعادتَه أَو تفهيمَه ، بعد بيانِ عذرهِ بسؤالٍ لطيفٍ •

الحادي(٢) عشرَ أَلاّ يسبقَ الشيخَ إلى شرحِ مسألة ، أو جوابِ سؤالٍ منه ، أَو من غيره ، ولا يساوقَ فيهِ ، ولا يُظهرَ معرفتَه به ، أو إدراكَهُ قبلَ الشيخِ ، فانْ عرضَ الشيخُ عليه ذلك ابتداءً ، أو التمسه منه فلا بأسَ •

---

(١) ينظر تذكرة السامع والمتكلم ص١١٦ •

(٢) النوع الحادي عشر اكثره من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٦ـ١٠٨•

وينبغي أَلاّ يقطعَ على الشيخِ كلامَهُ أيَّ كلامٍ كانَ ، ولا يسابقَهُ فيهِ ولا يساوقَهُ ، بل يصبرُ حتَّى يفرِغَ الشيخُ كلامَهُ ، ثم يتكلَّمُ ، ولا يتحدَّثَ مع غيرهِ ، والشيخُ يتحدَّثُ معَهُ ، أو معَ جماعةِ المجلسِ .

وفي حديث هند بن أَبي هالة في وصفه للنبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( أَنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ كانَ إذا تكلَّمَ أَطرقَ جلساؤهُ كأنَّ علَى رؤُوسهم الطيرَ ، فإذا سكتَ تكلَّمُوا )[1] . وليكنْ ذهنهُ حاضراً في جهةِ الشيخِ بحيثُ إذا أَمرهُ بشيءٍ ، أَو سألهُ عن شيءٍ ، أَو أَشارَ اليهِ لم يحوجْهُ إلى اعادتهِ ثانياً بل يبادرُ اليهِ مسرعاً ، ولم يعاودْهُ فيهِ ، أَو يعترضْ عليهِ بقولهِ : فإنْ لم يكن الأَمرُ كذا .

الثاني عشرَ إذا ناولهُ الشيخُ شيئاً يتناولهُ باليمينِ ، وإنْ ناولهُ شيئاً ناولهُ باليمينِ ، فإنْ كانَ ورقةً يقرأُها كفُتيا ، أَو قصَّةٍ ، أَو مكتوبٍ شرعي ، ونحو ذلكَ نشرها ثم دفعَها اليهِ ، ولا يدفعُها إليه مطويَّةً إلاَّ إذا علِمَ أَو ظنَّ إيثارَ الشيخِ لذلكَ ، وإذا أَخذَ من الشيخِ ورقةً بادرَ إلى أخذِها منشورةً قبلَ أَن يطويهَا ، أَو يتربَها .

---

(١) الجامع ١/١٢٧ ، وهو في الفقيه والمتفقه ٢/١٢٣ .

(٢) النوع الثاني عشر أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٠٨ ـ ١١٠ وأضاف اليه بعض الاضافات .

وإذا ناولَ الشيخَ كتاباً ، ناولَه إيّاه مهيّئاً لفتحه ، أو القراءةِ فيه من غيرِ احتياجٍ إلى إدارتهِ ، فان كانَ النظرُ في موضعٍ معيّنٍ فليكنْ مفتوحاً كذلكَ ، ويعيّنُ له المكانَ ، ولا يحذفُ اليه الشيء حذفاً من كتاب ، أو ورقةٍ ، أو غيرِ ذلكَ [٧٨و] ، ولا يمدُّ يديه اليه إذا كانَ بعيداً ولا يحوجُ الشيخُ إلى مدِّ يدَه أيضاً ، لاخذِ منهُ ، أو عطاءٍ ، بل يقومُ اليه قائماً ، ولا يزحفُ زحفاً ، وإذا جلسَ بينَ يديهِ لذلكَ فلا يتقرّبُ منهُ قرباً كثيراً يُنسبُ فيه إلى سوءِ أدبٍ ، ولا يضعُ رجليهِ ، أو يديهِ ، أو شيئاً من بدنهِ ، أو ثيابهِ على ثيابِ الشيخِ ، أو وسادتهِ ، أو سجادتهِ ، ولا يشيرُ اليه بيدهِ أو يقرّبُها من وجههِ ، أو صدرهِ ، أو يمسُّ بها شيئاً من بدنه ، أو ثيابه ، وإذا ناولَه قلماً ليكتبَ بهِ فليمدَّه(1) قبلَ إعطائهِ إيّاه ، وإنْ وضعَ بينَ يديهِ دواةً فلتكُنْ مفتوحةَ الأغطيةِ مهيئةً للكتابةِ منها ، وإنْ ناولَه سكيناً فلا يصوبُ اليه شفرتَها ، ولا نصابَها ويدهُ قابضةٌ على الشفرةِ ، بل يكونُ عرضاً وحدُّ شفرتِها إلى جهتهِ ، قابضاً على طرفِ النِّصابِ ممّا يلي النصلَ ، جاعلاً نصابَها على يمينِ الآخذِ . كذلكَ قالَ البدرُ .

وقد ناولتُ شيخنا العلامة الشمسَ الشرواني مرةً السكين ، فلم يتناولْها منّي ، وقالَ : ضعها فوضعتها

---

(1) هذه من الوصايا الهامة في التربية ، وقد كانت سبباً في التطور العلمي والادبي في تلك الفترة .

بينَ يديـه ، فأَخذها ، وقالَ : هي آلةُ القطعِ ، وآلةُ القطعِ لا تُنَاولُ للمحبِّين .

وإنْ ناولهُ سجادةً ليصلّي عليها نشرها أَو َّلاً ، والأَدبُ أَن يفرشها هو عندَ قصدِ ذلكَ ، وإذا فرشها ثني مؤخرَ طرفها الأَيسر كعادةِ الصوفيَّة ، فا نْ كانتْ مُثَلَّثةً جعلَ طرفيها إلى يسارِ المصلّى،وإن كانَ فيها صورةُ محرابٍ تحرَّى به جهةَ القبلةِ إن أَمكنَ . ولا يجلسُ بحضرةِ الشيخِ علَى سجادةٍ ولا يصلّي عليها إن كانَ المكانُ طاهراً . وإذا قامَ الشيخُ بادر القومُ إلى أَخذِ السجادة ، وإلى الأخذِ بيده ، أو عضده إن احتاجَ ، وإلى تقديمِ نعله إن لَم يشقَّ ذلكَ على الشيخِ ، ويقصدُ [٧٨ظ] بذلكَ كلّه التقربَ إلى الله تعالى ، وإلى قلب الشيخِ وقيلَ أَربعةٌ لا يأنفُ الشريفُ منهنَّ ، وإنْ كانَ أَميراً : قيامهُ من مجلسه لأبيه ، وخدمتهُ للعالم يتعلَّمُ منهُ والسؤالُ عمَّا لا يعلمُ ، وخدمتهُ للضيفِ ، وسيأتي في القسمِ الثاني قولُ أبي معاوية(١) الضرير ، وقد صبَّ الرشيدُ علَى يده عقب أَكله معَهُ : ( جزاكَ اللهُ خيراً يا أَميرَ المؤمنينَ ، فما أكرمتَ إلاَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّم ، فقالَ الرشيدُ : صدقتَ إنَّما صبْبتُ على يدِكَ لأَنَّها

---

(١) هو ابو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي مولاهم ، عمي وهو صغير ، كان حافظاً للحديث وراوياً ، قال ابن المديني : روينا عن أبي معاوية الضرير ألف وخمسمائة حديث . توفي سنة (١٩٥هـ) . ترجمته في تاريخ بغداد ٥/٢٤٢ ، البداية والنهاية ١٠/٢١٥ ، الاعلام ٦/٣٤٥ .

كفّ عُنيتْ بحديثِ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّم )[1] .

الثالث[2] عشرَ إذا مشى معَ الشيخِ فليكنْ أمامَهُ بالليلِ ووراءَهُ بالنهارِ ، إلاَّ أنْ يقتضي الحالُ خلافَ ذلكَ لزحمةٍ ، أو غيرِها ، ويتقدَّمُ عليهِ في المواطيءِ المجهولةِ الحالِ ، لوحلٍ ، أو خوضٍ ، والمواطيءِ الخطرةِ ، ويحترزُ من ترشيشِ ثيابِ الشيخِ ، وإنْ كانَ في زحمةٍ صانهُ عنها بيديهِ ، إمَّا من قدَّامهِ أو من ورائهِ .

وإذا مشى أمامَهُ التفتَ اليهِ بعدَ كلِّ قليلٍ ، فإنْ كانَ وحدهُ والشيخُ يكلِّمُهُ حالةَ المشي ، وهما في ظلٍّ فليكنْ عن يمينهِ ، وقيلَ عن يسارهِ متقدِّماً عليهِ قليلاً ملتفتاً إليهِ ، ويعرِّفُ الشيخَ عن قربٍ منهُ ، أو من قصدهُ من الأعيانِ إن لم يعلمِ الشيخُ بهِ . ولا يمشي إلى جانبِ الشيخِ إلاَّ لحاجةٍ ، أو اشارةٍ منهُ ، ويحترزُ من مزاحمتهِ بكتفهِ ، أو بركابهِ إن كانا راكبينِ وملاصقةُ ثيابهِ ، ويؤثرهُ بجهةِ الظلِّ في الصيفِ ، وبجهةِ الشمسِ في الشتاءِ ، وبجهةِ الجدارِ في الرصفاناتِ ونحوها ، وبالجهةِ التي لا تقرعُ الشمسُ فيها وجهَهُ إذا التفتَ اليهِ ، ولا يمشي بينَ الشيخِ وبينَ من يحدِّثُهُ ، ويتأخرُ عنهما إذا تحدَّثا ،

---

(1) القصة بكمالها في البداية والنهاية ١٠/٢١٥ .

(2) النوع الثالث عشر أخذ المصنف أكثره من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٠ ـ ١١٢ .

أَو يتقدَّمُ ، ولا يقربُ ويستمعُ ، ولا [٨٨و] يلتفتُ ، فإنْ ادخلاهُ في الحديثِ فليأتِ من جانبٍ آخر ، ولا يشقُّ بينهما. وإذا مشى مع الشيخِ اثنانِ فاكتنفاهُ، فقد رجَّحَ بعضُهم أَنْ يكونَ أَكبرهما عن يمينِهِ ، وإن لم يكتنفاهُ تقدَّمَ أكبرهما وتأخرَ أَصغرهما . وكذا عندَ الدخول ، قالَ الخطيبُ : وإنْ قدَّمَ الأكبر على نفسهِ من كانَ أَعلمَ منهُ جازَ ذلكَ وكانَ حسناً .

قالَ الحسينُ بن منصور[1] : كنتُ مع يحيى[2] ابن يحيى وإسحاق[3] - يعني ابن راهويه - يوماً يعودُ مريضاً فلمَّا حاذينا البابَ تأخرَ إسحاقُ وقالَ ليحيى : تقدَّمْ ، فقالَ يحيى لإسحاق : تقدَّمْ أَنتَ ، قال : يا أَبا زكريا أَنتَ أكبرُ منِّي قالَ : نعم أَنا أكبرُ منكَ ، وأَنتَ أَعلمُ منِّي ، فتقدَّمَ إسحاقُ .

---

(١) هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، فارسي الاصل ، نشأ بواسط صحب الجنيد ، وكان صوفياً مشهوراً قتل في بغداد سنة (٣٠٩هـ) ترجمته في طبقات الصوفية ص٣٠٨ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن يحيى بن بكير بن عبدالرحمن التميمي الحنظلي كان محدثا ورعاً ثقة ، قال عنه ابن راهويه : مات وهو امام الدنيا ، توفي سنة (٢٢٦هـ) . ترجمته في التهذيب ١١/٢٩٦ ، مرآت الجنان ٢/٩١ ، الاعلام ٩/٢٢٣ .

(٣) هو أبو يعقوب اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي التميمي المروزي المعروف بابن راهويه ، أحد كبار الحفاظ ، طاف في اكثر البلدان الاسلامية ، أخذ عنه الامام احمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم ، توفي سنة (٢٣٨هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ٦/٣٤٥ ، حلية الاولياء ٩/٢٣٤ ، الاعلام ١/٢٨٤ .

وإذا صادفَ الشيخَ في طريقهِ بَدَأَهُ بالسَّلامِ ، ويقصدهُ إنْ كانَ بعيداً ، ولا يناديهِ ، ولا يسلِّمُ من بعيدٍ ، ولا من ورائهِ ، بل يقربُ ويتقدَّمُ عليهِ ثم يسلِّمُ ، ولا يشيرُ عليهِ ابتداءً بالأخذِ في طريقٍ حتَّى يستشيرَهُ ، ويتأدبُ فيما يستشيرهُ الشيخُ بالردِّ إلى رأيهِ . ولا يقولُ لما رآهُ الشيخُ وكانَ خطأً هذا خطأ ، ولا هذا ليسَ برأيٍ ، بل يحسنُ خطابَهُ في الردِّ إلى الصَّوابِ ، كقولِهِ : يظهرُ أنَّ المصلحةَ في كذا ، ولا يقولُ : الرأي عنديَ كذا .

## الفصل[1] السادس

## في آدابِ المتعلّم في درسهِ وقراءتهِ وما يعتمدهُ فيها معَ الشيخِ والرفقةِ

وفيه ثلاثةَ عشرَ نوعاً :

الأَوَّلُ[2] أَنْ يبتديَ أَوَّلاً بكتابِ اللهِ العزيز فيتقنهُ حفظاً ، ويجتهدَ على اتقانِ تفسيرهِ وسائرِ علومهِ ، فإنَّهُ أَصلُ العلومِ وأمُّها . ثم يحفظُ في كل فنٍّ مختصراً يجمعُ فيهِ بينَ طرفيهِ من الفقهِ والحديثِ وعلومهِ والأُصوليينَ ، والنحوِ والتصريفِ ، [٨٨ظ] ولا يشتغلُ بذلكَ كلِّهِ عن دراسةِ القرآنِ وتعهُّدهِ وملازمةِ وردٍ منهُ كلَّ يومٍ ، أَو أَيامٍ ، أَو جمعةٍ ، وليحذرْ من نسيانهِ بعدَ حفظهِ ، فقد وردَتْ فيهِ أحاديثُ تزجرُ عنهُ . ويشتغلُ بشرحِ تلكَ المحفوظاتِ على المشايخِ ، والبحذرْ من الاعتمادِ في ذلكَ على الكتبِ ابتداءً بل يعتمدُ في كلِّ فنٍّ من هو أَحسنُ تعليماً لهُ ، وأكثرُ تحقيقاً فيهِ ، وتحصيلاً منهُ ، وأَخبرهُم بالكتابِ الذي قرأهُ ، وذلكَ بعدَ مراعاةِ الصفاتِ المتقدمةِ منَ الدِّينِ والصلاحِ والشفقةِ وغيرِها .

فإنْ كانَ شيخهُ لا يجدُ من قراءتهِ وشرحهِ على غيرهِ معَهُ فلا بأسَ بذلكَ وإلاَّ راعَى قلبَ شيخهِ إنْ

(١) الفصل السادس هو الفصل الثالث في تذكرة السامع والمتكلم ص١١٢ .

(٢) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٢-١١٦ .

كانَ أَرجاهم نفعاً ، لأَنَّهُ أَنفعُ لهُ وأَجمعُ لقلبهِ عليهِ ، والبأخذْ من الحفظِ والشرحِ ما يمكنهُ ويطيقهُ حالهُ من غيرِ اكثارٍ يُملُّ ، ولا تقصيرٍ يَخِلُ بجودةِ التحصيلِ .

الثاني[1] أَن يحذرَ في ابتداءِ أَمرهِ من الأِشتغالِ في الاختلافِ بينَ العلماءِ ، أو بينَ النَّاسِ مطلقاً في العقلياتِ والسَّمعيَّاتِ ، فانَّهُ يحيِّرُ الذهنَ ويدهشُ العقلَ ، بل يتقنُ أَوَّلاً كتاباً واحداً في فنٍّ واحدٍ ، أَو كتباً في فنونٍ إن احتملَ ذلكَ على طريقةٍ واحدةٍ يرتضيها لهُ شيخهُ ، فانْ كانتْ طريقةُ شيخهِ نقلُ المذاهبِ والأِختلافِ ولم يكُن لهُ رأيٌ واحدٌ ، قالَ الغزالي : فليحذرْ منهُ فانَّ ضررَهُ أَكثرُ من النفعِ بهِ .

وكذلكَ يحذرُ في ابتداءِ طلبهِ من المطالعاتِ في تفاريقِ المصنَّفاتِ ، فانَّهُ يضيِّعُ زمانَهُ ، ويفرِّقُ ذهنَهُ ، بل يعطي الكتابَ الذي يقرأهُ ، أَو الفنَّ الذي يأخذهُ كليَّةً حتَّى يتقنَهُ .

وكذلكَ يحذرُ من التنقُّلِ من كتابٍ إلى كتابٍ من غيرِ موجبٍ ، فانَّهُ علامةُ الضجرِ وعدمِ الفلاحِ ، ورَوِيَ البيهقي[2] أَنَّ خادمَ الرَّشيد أَقعدَ [٨٩و]

---

(١) النوع الثاني أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١١٦ ـ ١٢٠ ، مع بعض الاضافات .

(٢) لم أجد هذا الخبر في مناقب الشافعي للبيهقي .

امامنا الشَّافعي عندَ مؤدبِ أَولادِ الرشيدِ قبلَ أَنْ يدخلَهُ عليهِ ، وقالَ : يا أَبا عبدَالله ، هؤلاءِ أَولادُ أميرِ المؤمنينَ ، وهذا مؤَدبهم فلو وصَّيتَ بهم ، فأقبل الشَّافعي على المؤدبِ فقالَ : ( ليكنْ أولُ ما تبتديءُ به من إصلاحِ أَولادِ أَميرِ المؤمنينَ إصلاحَكَ نفسَكَ ، فإنَّ أَعينَهُم معقودةٌ بعينِكَ ، فالحسنُ عندهم ما تستحسنهُ ، والقبيحُ عندهم ما تركتهُ ، علِّمهم كتابَ اللهِ ، ولا تكرِههم عليهِ فيملُّوهُ ، وتتركهم منهُ فيهجروهُ ، ثم روِّهم من الشعرِ أَعفَّهُ ومن الحديثِ أَشرفَهُ ، و لاتخرجُهم من علمٍ إلى غيرِهِ حتَّى يحكموهُ فإنَّ ازدحامَ الكلامِ في الذهنِ مضلَّةٌ ، انتهى )[1] .

أَمَّا إذا تحققتْ أَهليَّةُ المتعلِّم وتأكدتْ معرفتهُ فالأولى أَنْ لا يدعَ فنّاً من العلومِ الشرعيَّةِ إلاَّ نظرَ فيهِ ، فإنْ ساعدهُ القدرُ وطولُ العمرِ على التبحُّرِ فيه فذاكَ ، وإلاَّ فقد استفادَ منهُ ما يخرجُ بهِ من عداوةِ الجهلِ بذلكَ العلمِ ، ويُعنَى من كلِّ فنٍّ بالأَهمِّ فالأهمِّ .

قالَ في شرحِ المهذب : ( ومن أَهمها الفقهُ والنحوُ ثم الحديثُ والأصولُ ثم الباقي )[2] انتهى . ولا يغفلنَّ عن العملِ الذي هو المقصودُ بالعلمِ .

الثالث[3] أَن يصحِّحَ ما يقرأُهُ قبلَ حفظهِ تصحيحاً

---

(1) جاء في الحلية ١٤٧/٩ دخل الشافعي يوماً الى بعض حجر هارون الرشيد ليستأذن على أمير المؤمنين ومعه سراج الخادم ، فاقعده عند أبي عبدالصمد مؤدب أولاد الرشيد وذكر النص المذكور .

(2) شرح المهذب للنووي ٦٥/١ .

(3) النوع الثالث أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٢١ ـ ١٢٦ . مع اضافات قليلة .

متقناً إمَّا على الشيخ ، وإمَّا على غيرهِ ممن يعيِّنه ، ثم يحفظه بعدَ ذلكَ حفظاً محكماً ، ثم يكَـررِّ عليه بعـد حفظهِ تكـراراً جيِّداً ثم يتعاهــده في أوقاتٍ يقررِّها لتكرار مواضيعه . ولا يحفظُ شيئاً قبـلَ تصحيحه ، لأنَّه يقعُ في التحريفِ والتصحيفِ ، وقد تقدَّمَ أنَّ العلمَ لا يؤخذُ من الكتبِ فإنَّه من أضرِّ المفاسـد . وينبغي أنْ يحضرَ معهُ الـدواةَ والقـلمَ والسـكينَ للتصحيحِ ، أي في مجلسِ التصحيحِ ، وأمَّا التصحيحُ حال الدرسِ ، فكانَ شـيخُنا العـلامةُ الشمس [٨٩ظ] الشرواني[١] يمنعُ منه ، لما في الاشتغالِ بهِ عن تقريرِ الشـيخِ ، وإنَّما يعلِّمُ عليـه بظفرهِ ونحـوهِ حتَّى يصلحَهُ بعـدَ فـراغهِ ، ويضبطُ ما يصحِّحـهُ لغـةً وإعراباً ، وإذا ردَّ الشيخُ عليه لفظةً ، وظنَّ أنَّ ردَّهُ خلافُ الصَّوابِ ، أو علمـهُ كرَّرَ اللفظةَ معَ ما قبلها ليتنبَّهَ لهـا الشـيخُ ، أو يأتي بلفظةِ الصَّوابِ على سبيل الاستفهامِ ، فربما وقعَ ذلكَ سهواً ، أو سبقَ لسانٍ لغفلةٍ ، ولا يقلْ بل هي كذا بل يتلطفُ في تنبيهِ الشيخِ لها ، فإنْ لم يتنبهْ قالَ : فهل يجوزُ فيها كذا فإنْ رجعَ الشيخُ إلى الصَّوابِ فلا كلامَ وإلاَّ تـركَ تحقيقَها إلى مجلسٍ آخـر يتلطَّفُ لاحتمـال أنْ يكونَ الصَّوابُ معَ الشيخِ ، وكذلكَ إذا تحققَ خطأَ الشيخِ في جواب مسألةٍ لا يفوتُ تحقيقُه ولا يعسرُ تداركُه ، فإنْ كانَ كذلكَ كالكتابة في رقاقِ الاستفتاء ، وكونِ السائلِ غريباً ، أو بعيدَ الـدَّارِ ، أو مُشنِّعاً تعيَّنَ

---

(١) الشمس الشرواني هو شيخ المصنف ، وقد مرت ترجمتهُ .

تنبيهَ الشيخِ على ذلكَ في الحالِ باشارةٍ ، أَو تصريحٍ ، فانَّ تركَ ذلكَ خيانةٌ للشيخِ فيجبُ نصحُه بما أَمكنَ من تلطّفٍ أَو غيرِه ، وإذا وقفَ على مكانٍ كتبَ قبالته بلغَ العرضُ والتصحيحُ ·

الرّابعُ[1] أن يبكّرَ لسماعِ الحديثِ ولا يهملَ الاشتغالَ بهِ وبعلومهِ والنظرَ في اسنادهِ ورجالهِ ومعانيهِ واحكامهِ وفوائدهِ ولغتهِ وتواريخهِ ، ويُعنَى أَولاً بصحيحي البَخاري ومسلم ، ثم ببقيَّةِ الكتبِ الأَعلامِ والاصولِ المعتمدة في هذا الشأنِ ، كَموطّأ مالك وسننِ أَبي داود والَنسائي وابن ماجة وجامعِ الترمذي ومسندِ الشافعي ، ولا ينبغي أن يقتصرَ على أَقلَّ من ذلكَ ، ونعم المعينُ للفقيهِ كتابُ السنن الكبير لأبي بكر البيهقي ، ومن ذلكَ المسانيد كمسندِ أحمد بن حنبل وابن حميد البزار ، ويعتني [٩٠و] بمعرفةِ صحيحِ الحديث ، وحسنه ، وضعيفه ، ومسنده ، ومرسله ، وسائرِ أَنواعهِ ، فانّهُ أَحدُ جناحي العالمِ بالشريعة والمبيّنُ لكثيرٍ من الجناحِ الآخر ، وهو القرآنُ · ولا يقنعُ بمجرّد[2] السماعِ كغالبِ محدّثي هذا الزّمان ، بل يعتني بالدراية أَشدَّ من عنايته بالرواية · قالَ الشافعي رحمهُ اللهُ : ([3]من نظرَ في الحديثِ قوتْ

(١) النوع الرابع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٢٦ - ١٣٣ ·

(٢) كذا في الاصل ، و(ب) والتذكرة ، وفي (م) : ( لمجرد ) ·

(٣) كلام الشافعي في كتاب الفقيه والمتفقه ١/٣٦ ·

حجتهُ ) ، ولأَن الدرايــةَ هي المقصودُ بنقلِ الحديثِ وتبليغــهِ •

الخامسُ[1] إذا شرحَ محفوظاته المختصراتِ وضبطَ ما فيها من الأشكالاتِ والفوائدِ المهمــاتِ ، انتقلَ إلى بحثِ المبسوطاتِ مــعَ المطالعــةِ الدائمه ، وتعليقِ ما يمرُّ به ، أَو يسمعهُ من الفوائدَ النفيسةَ والمسائلِ الدقيقة والفروعِ الغريبةِ ، وحلِّ المشكلاتِ والفروقِ بينَ أَحكامِ المتشابهاتِ من جميعِ أَنواعِ العــلومِ ، ولا يستقلُّ بفائدةٍ يســمعها ، أَو يتهــاونُ بقاعــدةٍ يضبطُها ، بل يبادرُ إلى تعليقها وحفظهــا ، ولتــكنْ همتهُ في طلبِ العلمِ غالبةً ، فلا يكتفي بقليلِ العــلمِ معَ امكانِ كثيره ، ولا يقنعُ من إرثِ الأنبياءِ بيسيره ، ولا يؤخرُ تحصيلَ فائــدةٍ تمكَّنَ منهــا ، أَو يشــغلَهُ الأملُ والتسويفُ عنها ، فانَّ للتأخيرِ آفاتٍ ، ولأنَّهُ إذا حصَّلها في الزمنِ الحاضرِ حصَّلَ في الزمنِ الثاني غيرَها • ويغتنمُ وقتَ فراغهِ ونشاطهِ وزمنَ عافيتهِ وشرخِ شبابهِ ونباهة خاطرهِ وقلَّة شواغله ، قبــلَ عــوارضِ البطالــةِ ، أو موانعِ الرئاســةِ • قالَ عمر رَضــيَ اللّهُ عنهُ : ( تفقَّهوا قبلَ أَن تُسوَّدوا )[2] • وقالَ الشافعي : ( تفقه قبلَ أَنْ ترأسَ فاذا رأَستَ فلا سبيلَ إلى الفقهِ )[3] • واليحذرْ من نظرهِ[4] نفسَهُ

(١) النوع الخامس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٣٣ - ١٤٢ •

(٢) شرح المهذب ١/٦٤ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٤٢ •

(٣) شرح المهذب ١/٦٤ •

(٤) كذا في النسخ المخطوطة ، وفي تذكرة السامع والمتكلم : ( نظرَ ) •

بعينِ الكمالِ والاستغناءِ عن المشايخِ ، فإنَّ ذلكَ عينُ الجهلِ وقلّةُ المعرفةِ ، وما يفوتُه أكثرُ مما حصَّله ، وقد تقدَّم قولُ سعيد بن جبير [٩٠ظ] : ( لا يزالُ الرجلُ عالماً ما تعلَّمَ ، فاذا تركَ العلمَ وظنَّ أنَّهُ قد استغنى، فهو أجهلُ ما يكونُ )[١] . وإذا كملتْ أهليتهُ وظهرتْ فضيلتهُ ومرَّ على أكثر كتبِ الفنِّ ، أو المشهورةِ منها بحثاً ومراجعةً ومطالعةً ، اشتغلَ بالتصنيفِ وبالنظرِ في مذاهبِ العلماء سالكاً طريقَ الانصافِ فيما يقعُ لهُ من الخلافِ كما تقدَّمَ في أدبِ العالمِ .

السَّادِسُ[٢] أنْ يلزمَ حلقةَ شيخه في التدريسِ والاقراءِ ، بل وجميعِ مجالسه إذا أمكنَ فإنَّهُ لايزيدهُ إلاَّ خيراً وتحصيلاً وأدباً وتفضيلاً ، كما قالَ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عنهُ في حديثه المتقدَّمِ : ( ولا تشبعْ من طولِ صحبته ، فإنَّما هو كالنخلة تنتظرُ متى يسقطُ عليكَ منها شيءٌ )[٣] . ويحضرُ موضعَ الدَّرسِ قبلَ حضورِ الشيخِ ، ولا يتأخرُ إلى بعدِ جلوسهِ وجلوسِ الجماعةِ فيكلفهم المعتادَ من القيامِ وردِّ السَّلامِ ، وقد قالَ السَّلفُ : من الأدبِ معَ المدرِّسِ أنْ ينتظرهُ الفقهاءُ ولا ينتظرهم . ويتحفَّظُ من النوم والنعاسِ والحديثِ والضحكِ ، ولا يتكلَّمُ في مسألةٍ أخذَ

---

(١) شرح المهذب ٤٩/١ .

(٢) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٢ – ١٤٥ .

(٣) الجامع ١٣٣/١ ، مختصر جامع بيان العلم وفضله ص٧٦ .

يتكلّمُ الشيخُ في غيرِها، ويجتهدُ على مواضبةِ خدمته والمسارعةِ اليها ، فانَّ ذلكَ يكسبهُ شرفاً وتبجيلاً • ولا يقتصرُ في الحلقةِ على سماعِ درسه فقط إذا أمكنهُ ، فانَّ ذلكَ علامةُ قصورِ الهمةِ وعدمِ الفلاحِ وبطوءُ التنبّهِ ، بل يعتني بسائرِ الدروسِ المشروحة ضبطاً وتعليقاً ونقلاً إنْ احتملَ ذهنهُ ذلكَ ، ويشاركُ أصحابَها حتّى كأنَّ كلَّ درسٍ منها لهُ ، ولعمري انَّ الأمرَ لكذلكَ للحريصِ ، فانْ عجزَ عن ضبطِ جميعِها اعتنَى بالأهمِّ فالأهمِّ منها • وينبغي أنْ يتذاكرَ مواظبوا مجلس الشيخِ ما وقعِ فيه [٩١و] من الفوائدِ والضّوابطِ والقواعدِ وغيرِ ذلكَ ، وأنْ يعيدُوا كلامَ الشيخِ فيما بينهم فانَّ في المذكرةِ نفعاً عظيماً • وينبغي المذاكرةَ في ذلكَ عندَ القيامِ من مجلسه قبلَ تفرّقِ أذهانِهم وتشتتْ خواطرِهم وشذوذِ بعضِ ماسمعوهُ عن أفهامِهم ، ثم يتذاكرونهُ في بعضِ الأوقاتِ •

وقالَ الخطيبِ وأفضلِ المذاكرةِ[1] مذاكرةُ الليلِ ، وكانَ جماعةٌ من السّلفِ يبدأونَ في المذاكرةِ من العشاءِ فربّما لم يقوموا حتّى يسمعُوا أذانَ الصّبحِ ، فانْ لم يجدِ الطالبُ من يذاكرهُ ذاكرَ نفسهَ بنفسه ، وكرّرَ معنَى ما سمعَهُ ولفظَهُ على قلبهِ ليعلو ذلكَ علىَ خاطرِه ، قالَ : فانَّ تكرارَ المعنَى علىِ القلبِ كتكرارِ اللّفظِ على اللّسانِ سواءٌ بسواءٍ •

---

(١) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ٢/١٠٣ •

وقلَّ أَن يفلحَ من اقتصرَ على الفكرِ والتعقلِ بحضرتهِ خاصةً ثم يتركهُ ويقومُ ولا يعاودهُ ٠

السابعُ[1] إِذا حضرَ مجلسَ الشيخِ سَلّمَ على الحاضرينَ بصوتٍ يُسمعُ جميعَهم وخصَّ الشيخ بزيادةِ تحيَّةٍ واكرامٍ ، وكذلكَ يسلِّمُ إِذا انصرفَ ٠ وعدَّ بعضهم حلقَ العلمِ في حالِ أخذِ هم فيه من المواضع التي لا يسلِّمُ فيها ، وهذا خلافُ ما عليهِ العملُ ، لكن يتَّجهُ ذلك في شخصٍ واحدٍ مشتغلٍ بحفظِ درسه وتكرارهِ ، وإذا سَلّمَ لاَ يتخطَّى رقابَ الحاضرينَ إلى قربِ الشيخِ مَنْ لم تكنْ منزلتهُ كذلكَ ، بل يجلسُ حيثُ انتَهى به المجلسُ كما وردَ في الحديثِ ، فانْ صرَّحَ لهُ الشيخُ والحاضرونَ بالتقدُّمِ ، أو كانتْ منزلتهُ ، أو كانَ يعلمُ إيثارَ الشيخِ والجماعةِ لذلك فلا بأسَ ، ولا يقيمُ أَحداً من مجلسه ، أَوْ يزاحمَهُ قصداً ، فانْ آثرهُ الغيرُ بمجلسه لَم يقبلْهُ إلاَّ أَن يكونَ في ذلكَ مصلحةٌ يعرفها القومُ وينتفعونَ بها من بحثه معَ الشيخِ لقربه منهُ ، أَو لكونهِ كبيرَ السنِّ ، أَو كثيرَ الفضيلةِ [٩١ظ] والصَّلاحِ ٠

ولا ينبغي لأَحدٍ أَن يؤثرَ بقربهِ من الشيخِ إلاَّ لمن هو أَولى بذلك لسنٍ ، أَو علمٍ ، أو صلاحٍ أَو نسب

---

(١) النوع السابع أخذهُ المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٤٦ ـ ١٥١ ، وأضاف اليه زيادة في الاخير ٠

أَهل البيتِ النبوي بل يحرصُ على القربِ من الشيخِ إذا لم يرتفعْ في المجلسِ من هو أَفضلُ منهُ ٠

وإذا كانَ الشيخُ في صدرِ مكانٍ ، فأفضلُ الجماعةِ أَحقُ بما على يمينهِ ويسارهِ ، وإن كان على طرفِ صفةٍ أَو نحوها فالمبَجّلُونَ معَ الحائطِ ، أَو معَ طرفِها قبالتهُ ٠ وينبغي للرفقاءِ في درسٍ واحدٍ ، أَو دروسٍ أَن يجتمعُوا في جهةٍ واحدةٍ ليكونَ نظرُ الشيخِ اليهم جميعاً عندَ الشرحِ ، ولا يخُصُّ بعضَهم في ذلكَ دون بعضٍ ، وقد جرتِ العادةُ في مجالسِ التدريسِ بجلوسِ المتميّزين قبالةَ وجهِ المدرّسِ ، والمبجّلينِ من معيدٍ ، أو زائرٍ عن يمينهِ ويسارهِ ، وإذا توقّعَ من يجلسُ على يمينهِ مثلاً مجيءَ أَولَى منهُ بذلكَ ، فينبغي أَنْ يخلّي بينهُ وبينَ الشيخِ ما يسعُ الجائي ٠

حدّثَ ابن عيينة عن مَنْ أَخبرَهُ : إنَّ كعباً كانَ عندَ عمر بن الخطّاب رَضيَ اللهُ عنهُ متباعدٌ في مجلسه ، فأَنكرَ عمرُ ذلكَ عليه ، فقالَ كعبٌ : يا أميرَ المؤمنينَ إنّ في حكمة لقمانَ ووصيّته لأبنه يا بُنيَّ إذا جلستَ إلى سلطانٍ فليكن بينكَ وبينَهُ مقعدَ رجلٍ ، فلعلّهُ ياتيه من هو أَثرُ عندَهُ منكَ فيتنحّى عنهُ فيكونُ ذلكَ نقصاً عليكَ ٠

وقالَ عبدُالله بن المعتز : لا تسرعْ إلى أَرفعِ موضعٍ في المجلسِ ، فالموضعُ الذي ترُفَعُ اليهِ خيرٌ من الموضعِ الذي تُمَطُّ عنهُ ٠ وقالَ عبدُالعزيز بن أَبي

روّاد : كانَ يُقالُ من رأس التواضعِ الرضاءُ بالدونِ من شرفِ المجلسِ ، أَخرج ذلكَ كلّهُ الخطيبُ البغدادي في الجامعِ[1] .

الثامنُ[2] أَنْ يتأدبَ معَ حاضري مجلسِ الشيخِ فانّهُ أَدبٌ معهُ وإحترامٌ [٩٢و] لمجلسهِ وهم رفقاؤه ، فيوقّرُ أَصحابَهُ ويحترمُ كبراءَه وأَقرانَهُ ، ولا يجلسُ وسطَ الحلقةِ ولا قدامَ أَحدٍ إلاّ لضرورةٍ كما في مجالسِ التحديثِ ، ولا يفرّقُ بينَ رفيقينِ ، ولا بينَ متصاحبينِ إلاّ برضاهما معاً . فقد جاءَ النهيُ عن الجلوسِ بينَ رجلينِ إلاّ باذنهما ، فانْ أوسعوا لهُ جلسَ وجمعَ نفسَهُ . قالَ ابو محمد اليزيدي[3] : ( أَتيتُ الخليلَ بن أَحمد في حاجةٍ ، فقالَ لي : ههنا يا أبا محمدٍ ، فقلتُ : أَضيّقُ عليكَ ، فقالَ لي : إنّ الدُنيا بحذافيرِها تضيقُ عن متباغضينِ ، وإنَّ شبراً في شبرٍ لا يضيقُ عن متحابيّنِ ، وأَنشدَ محمدُ بن عقيل الأزدي[1] :

---

(١) الجامع (١/١١١) .

(٢) النوع الثامن اخذ اكثره المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٢ ـ ١٥٦ .

(٣) هو ابو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي النحوي المقري اللغوي ، اخذ عن الخليل اللغة والعروض ، توفي سنة (٢٠٢هـ) ، ترجمته في اخبار النحويين البصريين ص٤٠ ، بغية الوعاة للسيوطي ٢/٣٤٠ .

(٤) لقد ذكر الخطيب البغدادي كلام الخليل والبيتين في الجامع ١/١١٣.

لَمْ يضيِقْ مجلسٌ بأهــلِ ودادِ
قطُّ لـكنَّهُ فَســـِيحٌ رَحِيـبُ

بَسَطَ الفضلُ بينهم من بساطِ
الودِّ ما أَجْمَعَتْ عليهِ القلُوبُ )

ولا يجلسُ فـــوقَ من هـــو أَولى منــهُ ، وينبغي للحاضرينَ إذا جاءَ القادمُ أَنْ يرحِّبوا بهِ ، ويوسِّعوا لــهُ ، ويتفسَّحُوا لاجلهِ ، ويكرموهُ بمــاَ يلــزمُ بــهِ مثلَهُ ، وإذا فُسِـحَ لــهُ في المجلسِ وكانَ حرجاً ضمَّ نفسَهُ ، ولا يتوسَّعُ ولا يعطي أَحــداً منهم جنبَهُ ولا ظهَــرهُ ، ويتحفَّظُ من ذلكَ ، ويتعهَّدَهُ عنــدَ بحث الشيخِ لــهُ ، ولا يجنحُ على جــارهِ أَو يجعلُ مرفقَهُ قائماً في جنبه ، أو يخرجُ عن بنية الحلقة بتقدمٍ أو تأخرٍ ، ولا يتكلَّمُ في اثناءِ درسِ غَــيرهِ ، أَو درســه بما لا يتعلَّقُ بــهِ ، أَو بمــا يقطَعُ عليهِ بحثَهُ ، وإذاَ شرعَ بعضُهم في درسٍ فلا يتكلَّمُ بكلامٍ يَتعلَّقُ بدرسٍ فرعٍ ، ولا بغيرهِ ممــاَ لا تفوتُ فــائدتهُ إلاَّ باذنٍ من الشيخِ ، أَو صاحبِ الدَّرسِ . ولا يتكلَّمُ بشيءٍ حتَّى ينظرَ فيهِ فائدةً وموضعاً ، ويحذرُ المماراةَ في البحثِ والمغالبةِ فيــهِ ، فانْ ثارتْ نفسُــهُ ألجمهــا بلجــامِ الصَّمتِ والصَّبرِ ، والاقتداء بحــديث : ( من تــركَ المَــراءَ وهــو محــقٌ بنَى اللهُ لـــهُ بيتـــاً في أَعلَى

الجنَّة )[1] [٢٩٢ظ] ، فإنَّ ذلكَ أقطعُ لانتشارِ الغضبِ وأبعدُ عن منافرةِ القلوبِ ، وأنْ أساءَ بعضُ الطلبةِ أدباً على غيره لم ينهرْهُ غيرُ الشيخِ إلاَّ باشارته ، أو سِرّاً بينهما علَى سبيلِ النصيحةِ ، وإنْ أساءَ أحدٌ أدبَه على الشيخِ تعيَّنَ على الجماعةِ انتهارهُ وردُّهُ ، والانتصارُ للشيخِ بقدرِ الامكانِ وفاءً لحقهِ ، ولا يشاركُ أحدٌ من أمرِ الجماعةِ أحداً في حديثهِ ، ولاسيما الشيخُ .

قالَ بعضُ الحكماء : من الأدبِ ألاَّ يُشاركَ الرجلُ في حديثه ، وإن كانَ أعلمُ بهِ منه . وأنشدَ الخطيبُ في هذا المكان[2] :

ولا تشارِكْ في الحديثِ أهلَهُ

وأنْ عرِفْتَ فرعَهُ وأصلَهْ

فإن علِمَ ايثارُ الشيخِ ذلكَ ، أو المتكلِّمِ فلا بأسَ ، وقد تقدَّمَ ذلكَ مفصَّلاً في الفصلِ قبلَهُ .

---

(١) روى الترمذي الحديث عن انس بن مالك ، ولفظهُ : ( من ترك الكذب وهو باطل بُني له في ربض الجنة ، ومن ترك المراء وهو محق، بني له في وسطها ، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها ) صحيح الترمذي ٨/١٥٩ .

(٢) أنشد الخطيب البغدادي هذا البيت دون أن يعزوه في كتاب الجامع ١/١٣٥ .

التاسعُ[1] ألاَّ يستحيَ من سؤال ما أشكلَ عليه وتفهّمِ ما لم[2] يتعقّلهُ بتلطّفٍ وحسنِ خطابٍ وأدبٍ وسؤالٍ ، وقالَ عمرَ رَضيَ اللهُ عنهُ : ( من رقَّ وجههُ رقَّ علمُهُ )[3] ، وقالَ مجاهدُ : ( لا يتعلّمُ العلمَ مستحي ، ولا مستكبر )[4] • وقالتْ عائشةُ رَضيَ اللهُ عنها : ( رحمَ اللهُ نساءَ الأنصارِ لم يكُنِ الحياءُ يمنعُهُنَّ أنْ يتفقهنَ في الدِّين )[5] • وقالتْ أمُ سليم لرسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلّمَ : ( إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي من الحقِّ ، هَلْ على المرأةِ من غسلٍ إذا احتلمتْ ؟ )[6] • ولبعضِ العربِ[7] :

وَليسَ العَمى طُولَ السُؤال وإنّما
تمامُ العمَى طولُ السكوتِ على الجهلِ

---

(1) النوع التاسع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٦ - ١٥٨ ، مع اضافة بعض الفقرات في القسم الاول منه خاصة •

(2) كذا في (م) ، و(ب) ، وفي الاصل : (يتعلقه) ، وهو وهم من الناسخ•

(3) سنن الدارمي ١١٢/١ •

(4) سنن الدارمي ١١٢/١ ، وفيه ( لا يتعلم من استحى واستكبر ) •

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني ١٥٨/٢ وفيه : ( نعم نساء الانصار لم يمنعْهنَّ الحياء أن يتفقهن في الدين ) •

(6) شرح صحيح البخاري للكرماني ١٥٨/٢ •

(7) البيت ذكره الراغب الاصبهاني ، وروايته في محاضرات الادباء٤٩/١
شفاء العمى طول السؤال وإنما   تمام العمى طول السكوت على الجهلِ

وقد قيلَ من رقَّ وجهُه عندَ السؤالِ ظهرَ نقصُه عندَ اجتماعِ الرجالِ ، ولا يسألُ عن شيءٍ في غيرِ موضعِه إلاَّ لحاجة ، أو علمٍ بإيثارِ الشيخِ ذلك ، وإذا [ ٩٣و ] سكتَ الشيخُ عن الجوابَ لم يلحَّ عليه ، وإن أخطأَ في الجوابَ فلا يُردُّ في الحالِ عليه ، وقد تقدَّمَ . وكما لا ينبغي للطالبِ أنْ يستحيي من السؤال ، فكذلكَ لا يستحيي من قولِه : لم أفهمْ إذا سألهُ الشيخُ ؛ لأنَّ ذلكَ يفوِّتُ عليه مصلحتَه العاجلةَ والآجلةَ ، أمَّا العاجلةُ فحفظُ المسألةِ ومعرفتُها واعتقادُ الشيخِ في الصدقِ والورعِ والرغبةِ ، والآجلةُ سلامتُه من الكذبِ والنفاقِ واعتيادهِ التحقيقَ .

قالَ الخليلُ : ( منزلةُ الجهلِ بينَ الحياءِ والأنفَةِ )[1] ، وقد تقدَّمَ في أدبِ العالمِ أنَّه لا يسألُ المستحيي هل فهمتَ ؟ بل يتوصَّلُ الى العلمِ بفهمِه بطرحِ المسائلِ ، فإنْ سألهُ فلا يقل نعم حتَّى يتَّضحَ لهُ المعنَى إتضاحاً جليّاً كيلا يفوتهُ الفهمُ ، ويدركُه بكذبِه الإثمُ .

العاشرُ[2] : مراعاةُ نوبتِه فلا يتقدَّمُ عليها بغيرِ رضاً من هي لهُ ، رويَ أنَّ انصارياً جاءَ إلى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ يسألُه ، وجاءَ رجلٌ من ثقيف ،

---

(١) شرح المهذب ١/٦٢ .

(٢) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٥٨ - ١٦٠ مع اضافة فقرات قليلة .

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ : ( يا أخا ثقيف إنَّ الانصاري قد سبقَك بالمسألةِ فاجلسْ كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبلَ حاجتِكَ )[1] .

قالَ الخطيبُ : يُستحبُّ للسابق أنْ يقدِّمَ على نفسه من كانَ غريباً ؛ لتأكدِ حرمته ووجوبِ ذمَّته ، رويَ في ذلكَ حديثانِ عن ابن عباس ، وابن عمر . وكذلكَ إذا كانَ للمتأخرِ حاجةٌ ضروريَّةٌ وعلمها المتقدِّمُ ، أَو أَشارَ الشيخُ بتقدُّمهِ فيُستحبُّ ايثارهُ ، فانْ لم يكُن شيءٌ من ذلكَ ونحوه ، فقد كَرِهَ قومٌ الايثارَ بالنوبةِ ؛ لأنَّ قراءةَ العلمِ والمسارعةَ اليهِ قربةٌ والأيثارُ بالقربةِ مكروهٌ .

وتحصيلُ تقدُّمِ النوبةِ بتقدُّمِ الحضورِ في مجلسِ الشيخِ أو إلى مكانهِ ، ولا يسقطُ حقُّهُ بذهابهِ إلى ما يضطرُّ اليهِ من قضاءِ [٩٣ظ] حاجةٍ وتجديد وضوءٍ إذا عادَ بعدَهُ ، وإذا تساوقَ إثنان أو تنازعا أُقرِعَ بينهما ، أَو يقدِّمُ الشيخُ أحدهما إن كانَ متبرِّعاً ، وإن كانَ عليهِ اقراؤُهما فالقرعةُ ومعيدُ المدرسةِ إذا شَرطَ عليهِ اقراءُ اهلِها فيها في وقتٍ فلا يُقدِّمُ عليهم الغرباءَ فيهِ بغيرِ اذنِهم .

الحادي عشر[2] أنْ يكونَ جلوسُهُ بينَ يدي الشيخِ على ما تقدَّمَ تفصيلهُ في آدابهِ مَع شيخهِ ، ويحضر

---

(١) الجامع ١/١٣٣ ، الفقيه والمتفقه ٢/١٢٢ .

(٢) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٠ ـ ١٦٢ .

كتابَهُ الذي يقرأُ منهُ معَهُ ، ويحملهُ بنفسهِ ، ولا يضعهُ حالَ القراءةِ على الأرضِ مفتوحاً بل يحمله بيديه ويقرأُ منهُ ، ولا يقرأُ حتَّى يستأذنَ الشيخَ ، ذكرهُ الخطيبُ عن جماعةٍ من السَّلف[1] ، وقالَ : يجبُ ألاَّ يقرأَ حتَّى يأذنَ لهُ الشيخُ ، ولا يقرأُ عندَ شغلِ قلبِ الشيخِ ، أو مللِه ، أو غمِّه ، أو غضبِهِ ، أو جوعِه ، أو عطشِه ، أو نعاسِه ، أو إستيفازه[2] ، أو تعبِه ، وإذا رأى الشيخَ قد آثرَ الوقوفَ اقتصرَ ولا يحوجُهُ إلى قولِه اقتصرْ ، وإن لم يظهرْ لهُ ذلكَ فأمرهُ بالاقتصارِ اقتصرَ حيثُ أمرهُ ، ولا يستزيدهُ ، وإذا عيَّن لهُ قدراً فلا يتعدَّاهُ ، ولا يقولُ طالبٌ اختصرْ إلاَّ باشارةِ الشيخِ أو ظهور ايثارهِ ذلكِ .

الثاني عشر[3] إذا حضرتْ نوبتهُ إستأذنَ الشيخَ كما ذكرناهُ فانْ أذنَ لهُ استعاذَ باللهِ من الشيطان الرجيم ثم يسمِّي اللهَ تعالى بحمدهِ ويصلِّي على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ثم يدعو للشيخِ ولوالديهِ ولمشايخهِ ولنفسهِ ولسائرِ المسلمينَ ، وكذلكَ يفعلُ كلَّما شرعَ في قراءةِ درسٍ ، أو تكرارهِ ، أو مطالعتهِ ، أو مقابلته في حضورِ الشيخِ ، أو في غيبتهِ إلاَّ أنَّه يخصُّ الشيخَ بذكرهِ في الدعاءِ عندِ قراءتهِ عليهِ .

---

(١) ينظر كلام الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ٢/٩٦ ، الجامع ١/١١٨ ، ١٢٨ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٢) استيفازه : ازعاجه .

(٣) النوع الثاني عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٢ .

ويترحَّم على مصنِّف الكتابِ عندَ قـراءته ، وإذا دعا [٩٤و] الطالبُ للشيخِ ، قالَ : ورَضيَ اللهُ عنكم ، أَو عن شيخنا وامامنا ونحو ذلكَ ، ويقصدُ به الشيخَ ، وإذا فـرغَ من الدَّرسِ دعـا للشيخِ أَيضاً ، ويدعـو الشيخُ أَيضاً للطالبِ كلَّما دعا له ، فإنْ تركَ الطالبُ الاستفتاحَ بما ذكرناهُ جهلاً ، أو نسـياناً نبَّههُ عليه وعلَّمهُ إِيَّاهُ وذكَّرهُ به ، فإنَّهُ من أَهمِ الآدابِ ، وقـد وردَ الحديثُ في بـدءِ الأمُورِ المهمَّةِ بالحمدِ ، وهذا منها .

الثالثَ عشـرَ[1] أَنْ يرغِّبَ بقيَّـةَ الطـلبةِ في التحصيلِ ، ويدلهم على مكانهِ ، ويصرفَ عنهم الهموم المشغلةَ عنهُ ، ويهوِّنَ عليهم مؤنتَهُ ، ويذاكرهم بمـا حصَّلهُ من الفوائدِ والقواعدِ والغرائبِ ، وينصَحهُم في الدِّين ، فبذلكَ يستنيرُ قلَبهُ ويزكو علمهُ ، ومن بخلَ عليهم لم يثبتْ علمهُ ، وإنْ ثبتَ لـم يثمرْ ، وقد جرَّب ذلـكَ جماعةٌ من السَّلف ، ولا يفخرُ عليهم أَو يعجبُ بجودةِ ذهنهِ بل يحمدُ اللهُ على ذلك ويستزيدهُ بدوامِ شكرهِ .

---

(١) النـوع الثالث عشـر اخـذه المصنف مـن تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٢ ـ ١٦٣ .

## الفصلُ السابعُ(1)

## في لأَدبِ معَ الكتبِ التي هي آلةُ العلمِ وما يتعلّقُ بتصحيحِها وضبطِها وحملِها ووضعِها وشرائِها وإعارتِها ونسخِها وغيرِ ذلكَ

ومنه أَحد عشرَ نوعاً :

الأوّلُ(2) ينبغي لطالبِ العلمِ أَنْ يعتني بتحصيلِ الكتبِ المحتاجِ اليها ما أَمكنه شراءً ، وإلاّ فاجارةً ، أَو عاريةً ؛ لأَنَّها آلةُ التحصيلِ ، ولا يجعلُ تحصيلَها وكثرتَها حظَّهُ من العلمِ ، وجمعَها نصيبَهُ من الفهمِ كما يفعلهُ كثيرٌ من المنتحلينَ الفقهَ والحديثَ ، وقد أَحسنَ القائلُ(3) :

إذا لَمْ تكُنْ حافِظاً واعِياً    فجمعُكَ للكُتْبِ لا ينفعُ

[ ٩٤ظ ] وإذا أَمكنَ تحصيلها شراءً لم يشتغلْ بنسخِها ، ولا ينبغي أَن يشتغلَ بدوامِ النسخِ إلاّ فيما يتعذّرُ عليه تحصيلهُ لعدمِ ثمنه ، أَو اجرةِ استنساخهِ ، ولا يهتمُ المشتغلُ بالمبالغةِ في تحسينِ

---

(1) الفصل السابع : هو الباب الرابع في تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٣ .
(2) النوع الاول أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٦٤ــ١٦٧ .
(3) البيت لمحمد بن بشير كما ذكر صاحب كتاب محاضرات الادباء ١/٤٩ .

الخطِّ ، وإنَّما يهتمُّ بصحيحه وتصحيحِه ، ولا يستعيرُ كتاباً معَ إمكانِ شرائهِ ، أو اجارتهِ .

الثاني[1] يُستحبُّ إعارةُ الكتبِ لمن لا ضررَ عليهِ فيها ممَّنْ لا ضررَ منهُ بها ، وكَرِهَ عاريتَها قومٌ ، والأوَّلُ أولى[2] لما فيهِ من الاعانةِ على العلمِ مع ما في مطلقِ العاريَّةِ من الفضلِ والأجرِ .

قالَ رجلٌ لأبي العتاهية : أعرني كتابَكَ ، فقالَ : إنّي أكرهُ ذلكَ ، فقالَ : أمَا علمتَ أنَّ المكارمَ موصولةٌ بالمكارهِ ؟ فأعارهُ ، وكتبَ الشَّافعي إلى محمد بن الحسنِ رحمهما اللهُ[3] :

يَاذا الَّذي لَمْ ترَ عَيْنٌ مَنْ رأهُ مثلَهُ
العلمُ يأبَى أهْلُهُ أنْ يمنعوهُ أهْلَهُ

وينبغي للمستعيرِ أنْ يشكرَ للمعيرِ ذلكَ ويجزيهِ خيراً ، ولا يطيلُ مقامَهُ عندَهُ من غيرِ حاجةٍ ، ولا يحبسهُ إذا طلبهُ المالكُ ، أو استغنَى عنهُ ، ولا يجوزُ أنْ يصلحهُ بغيرِ أذنِ صاحبهِ ، ولا يحشيهِ[4] ، ولا

---

(1) النوع الثاني اخذه المصنف من تذكرة السماع والمتكلم ص١٦٧ـ ١٦٩ .

(2) في (ب) : والاولى الاول ، وما ذكرناه اولى .

(3) البيت في مناقب الشافعي ٢/٨٦ ، وروايته فيه :
قل لمن لم ترَ عينٌ من رآهُ مثله ومن كان من رآهُ قد راى من قبله
العلمُ ينهى أهله ان يمنعوهُ أهله لعلّهُ يبذله لاهلهِ لعلّهُ

(4) ولا يحشيه : اي لا يجعل له حاشية .

يكتبُ شيئاً في بياضِ فواتحه أَو خواتمه إِلاَّ إذا علمَ رضا صاحبه ، وهو كما يكتبهُ المحدِّثُ على جزءٍ سمعهُ ، أَو كتبهُ ، ولا يسوِّدهُ ، ولا يعيرهُ ، ولا يودعهُ لغيرِ ضرورةِ حيثُ يجوزُ[1] شرعاً ، ولا ينسخُ منهُ بغيرِ اُذنِ صاحبهِ .

فإنْ كانَ الكتابُ وقفاً علَى من ينتفعُ بهِ غيرَ معيَّنٍ ، فلا بأسَ بالنسخِ منهُ معَ الاحتياطِ ، ولا[2] باصلاحه ممَّنْ هو أهلٌ لذلكَ ، وحسُنَ أَنْ تستأذنَ الناظرَ فيه ، وإذا نسخَ منهُ باذنِ صاحبهِ ، أو ناظرهِ ، فلا يكتبُ منـهُ والقرطاسُ في [ ٩٥و ] بطنـهِ ، أو على كتابتهِ ، ولا يضـعُ المحبرةَ عليـهِ ، ولا يمرُّ بالقلمِ المدودِ فوقَ كتابتهِ ، وأنشدَ بعضُهم[3] :

أَيُّهَا المستعيرُ منِّي كتاباً

ارضَ لي فيهِ مالنفسِكَ ترضَى

وأُنشـدَ في إعارةِ الكتبِ ومنعِها قطـعٌ كثيرةٌ[4] لا نطوِّلُ بهَا .

الثالثُ[5] : إذا نسخَ مـنَ الكتابِ ، أو طالعهُ فـلا

---

(١) كذا في الاصل و (م) ، وفي (ب) : ( لا يجوز ) ، وهو وهم .
(٢) كذا في الاصل ، و (م) ، وفي (ب) : ( ولا باس ) .
(٣) البيت ذكره الخطيب البغدادي في الجامع ١/١٧٦ .
(٤) ينظر كتاب الجامع ١/١٧٧ ـ ١٧٨ .
(٥) النوع الثالث اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٠ ـ ١٧٢ .

يضعهُ على الأَرضِ مفروشاً منشوراً بل يجعلهُ بينَ كتابينِ أو شيئينِ ، أو كرسيٍّ الكتبِ المعروفِ ، كيلا يسرعَ بقطعِ حبكه[1] ، وإذا وضعها في مكانٍ مصفوفةٍ فليكن على كرسيٍّ ، أَو تحتَ خُشُبٍ أَو نحوهِ ، والأَولى أَنْ يكونَ بينهُ وبينَ الأَرضِ خلوٌ ، ولا يضعها على الأرضِ كيلا تنتدي أَو تبلَى • وإذا وضعها على خُشُبٍ ، أو نحوه ، جعلَ فوقهُ وتحتَها ما يمنعُ تآكلَ جلودِها به ، وكذلكَ يجعلُ بينها وبينَ ما يصادفها أو يسندها من حائطٍ ، أو غيرهِ ، ويرعي الأدبَ في وضعِ الكتبِ باعتبارِ علومها وشرفها ومصنِّفيها وجلالَتهم ، فيضعُ الأَشرافَ على الكلِّ[2] ، ثم يراعي التدريجَ ، فانْ فيها المصحفُ الكريمُ جعلهُ الكلِّ[3] ، والأَولى أنْ يكونَ في خريطةٍ ذات عروةٍ في مسمارٍ ، أَو وتدٍ في حائطٍ طاهرٍ نظيفٍ في صدرِ المجلسِ ، ثم كتبُ الحديثِ الصرفِ ، كصحيحِ مسلم ، ثم تفسيرُ الحديثِ ثم اصولُ الدِّينِ ، ثم اصولُ الفقهِ ، ثم النحوُ والتصريفُ ثم أَشعارُ العربِ ، ثم العروضُ • فانْ استوى كتابانِ في فنٍّ ، أَعلى أكثرهما قرآناً ، أَو حديثاً ، فان استويا فبجلالة المصنف فان استويا فاقدمُهما كتابةً ، واكثرهُما وقوعاً في أَيدي العلماءِ [٩٥ظ] والصالحينَ ، فانْ إستويا فأصحُّهما •

---

(١) حبك الكتاب : شد اوراقه •

(٣،٢) لو قال المصنف : (على كلها أو جميعها) لكان أفضل من حيث اللغة•

وينبغي أَن يكتبَ اسـمَ الكتابِ عليـهِ في جانبٍ آخر الصفحاتِ من أَسفلِ ، ويجعله رؤوسَ حـروفِ هذه الترجمةِ إلى الغاشيةَ التي من جانب البسـملةِ ، وفائدةُ هذه الترجمةِ معرفةُ الكتابِ وتيسيرُ اخراجهِ من بينِ الكتبِ ، وإذا وضـعَ الكتابَ على أَرضٍ ، أو تحتٍ فلتكن الغاشيةُ التي من جهةِ البسملة ، وأوَّلُ الكتابِ إلى فوقٍ ، ولا يكثرُ وضعَ الردة [1] في أَثنائهِ كيلا يسرعَ بكسرِها ، ولا يضعُ ذواتِ القطعِ الكبيرِ فوقَ ذواتِ الصغيرِ كيلا يكثرَ تساقطهما .

ولا يجعلُ الكتابَ [2] خزانةً للكراريسِ أَو غيرهـا ولا مخدة ولا مروحةً ، ولا مكبساً ولا مسـنداً ولا متكأً ولا مقتلةَ البقِّ وغيرهِ لاسيما في الورقِ فهو على الورقِ أَشدُّ . ولا يطوي حاشيةَ الورقةِ ، أَو زاويتهـا ، ولا يعلِّمُ بعودٍ أَو شيء جافٍ ، بل بورقةٍ ، أَو نحوِها ، وإذا ظفرَ فلا يكبسُ ظفرَهُ قويّاً .

الرابع [3] إذا استعارَ كتاباً فينبغي لَهُ أنْ ينفقدَهُ عندَ ارادةِ أَخذه وردِّه ، وإذا اشـترَى كتاباً تعهَّدَ أَوَّلَهُ وآخرَهُ ووسطَهُ وترتيبَ أَبوابه وكراريسهِ ، وتصفَّحَ أَوراقَهُ واعتبرَ صحَّتَهُ ،وممَّا يغلبُ على الظنِّ صحَّتُهُ ، وإذا ضاقَ الزمانُ عن تفتيشهِ ما قالهُ

---

(١) الردة : هي القطعة الزائدة من الجلد فوق الجانب الايسر .

(٢) في (ب) (الكتب) ، وما ذكرناه اصح .

(٣) النوع الرابع اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٢ – ١٧٣ .

الشَّافعي رحمهُ اللهُ ، قــالَ : إذا رأيتَ الكتابَ فيــه إلحاقٌ وإصلاحٌ، فاشهدْ لهُ بالصحَّةِ ، وقالَ بعضُهم: لا يضيءُ الكتابُ حتَّى يظلمَ ، يريدُ اصلاحَهُ ٠

الخامسُ(1) إذا نســخَ شــيئاً مــن كتبِ العــلومِ الشرعيةِ فينبغي أن يكونَ على طهارةٍ مستقبلِ القبلةِ طاهرِ البدنِ والثيابِ ، بحبرٍ طاهرٍ [٩٦و] ، ويبتدي كلَّ كتابٍ بكتابةِ ( بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم ) ، فإنْ كانَ الكتابُ مبدوءاً فيهِ بخطبةٍ تتضمَّنُ حمــدَ اللهِ تعالى والصَّلاة على رسولهِ ، كتبَها بعــدَ البســملةِ ، وإلاَّ كتبَ هو ذلكَ بعدها ٠ ثم كتبَ باقي الكتابِ ، وكذلكَ يفعلُ في ختمِ الكتابِ ، وآخر كلِّ جــزءٍ منهُ ، بعدما يكتبُ آخرَ الجزءِ الأوَّلِ والثاني مثلاً ، ويتلوهُ كذا وكذا إنْ لم يكنْ كمَّلَ الكتابَ ، ويكتبُ إذا كملَ : تمَّ الكتابُ الفُلاني ، ففي ذلكَ فوائدُ كثيرةٌ ٠

وكلَّما كتبَ اسمَ اللهِ أتبعَهُ بالتعظيمِ ، مثــل تعالى وسبحانهِ ، أو عزَّ وجلَّ ، وتقدَّسَ ، ونحو ذلكَ ، وكلَّما كتبَ اسمَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ ، كتبَ بعدَهُ الصلاةَ عليهِ والسَّلامَ ، ويصلّي هــو عليه بلسانه أيضاً ، وجرتْ عادةُ السَّلفِ والخلفِ بكتابةِ صلَّى اللهُ عليهِ وآله وسلَّمَ لموافقةِ الأمرِ في قولهِ تعالى : (صلُّوا عليْهِ وسلِّمُوا تسْليما)(2) ٠

---

(1) النوع الخامس اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٣ ـ ١٧٧ ٠

(2) سورة الاحزاب : الآية : ٥٦ ٠

ولا يختصرُ الصلاةَ في الكتـابةِ ولو وقعتْ في السَّطرِ مراراً ، كما يفعلُ بعضُ المحرومينَ فيكتبُ ( صلعم ) ، أَو ( صلم ) أَو ( صللم ) ، وكلُّ ذلكَ غيرُ لائقٍ بحقه صلَّى اللهُ عليه وآلـهِ وسلَّمَ ، وقـد وردَ في كتابةِ الصَّـلاةِ بكمالِـهـا وتركِ إختصارِها آثـارٌ كثيرةٌ .

وإذا مـرَّ بذكرِ الصَّحابي ، كتبَ رَضـيَ اللهُ عنهُ ، ولا يكتبِ الصـلاةَ والسَّلامَ لأحـدٍ غـيرَ الأنبيـاءِ والملائكةِ إلاَّ تبعاً لهم ، وكلَّما مـرَّ بذكرِ أَحـدٍ من السَّلفِ فعلَ ذلكَ ، او كتبَ رحمهُ اللهُ ، ولاسـيما الأئمةُ الاعـلامُ .

السادس[1] ينبغي أَنْ يتجنَّبَ الكتابةَ الدقيقةَ في النسخِ ، قالَ بعضُ السَّلفِ : اكتبْ ما ينفعُكَ وقتَ حاجتـكَ ، ولا تكتبْ ما لا تنتفعُ بهِ وقتَ الحاجةِ [٩٦ظ] والمرادُ وقتَ الكبرِ وضعفِ البصرِ ، وقد يقصدُ بعضُ السَّفارةِ بالكتابةِ الدقيقةِ خفةَ المحملِ ، وهذا وإنْ كانَ قصداً صحيحاً إلاَّ أنَّ المصلحةَ الفائتةَ بهِ في آخرِ الأمرِ أَعظمُ ، والكتابةُ بالحبرِ ، أَو مـنَ المـدادِ[2] ، لأَنَّهُ أَثبتُ .

السَّـابِعُ[3] إذا صحَّحَ الكتـابَ بالمقـابلةِ علَى

---

(1) النوع السادس أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٧٧ - ١٨٠ .

(2) سمي الحبر مداداً ، لأن القلم يستمد منه اثناء الكتابة .

(3) النوع السابع أخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٠ - ١٨٥ وقد حذف منه بعض الفقرات .

أصله الصحيح ، أو على شيخ ، فينبغي له أن يُشكل المشكل ويُعجم المستعجم ويضبط الملتبس ، ويتفقد ، مواضع التصحيف .

وقد جرت العادة في الكتابة بضبط الحروف المعجمة بالنقط ، وأمّا المهملة فمنهم من يجعل للأهمال علامة . وينبغي أن يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب ، وهو محل شك عند مطالعته ، أو تطرق احتمال ( صح ) صغيرة ، ويكتب في الحاشية صوابه كذا إن تحققه ، وإلا فيعلم عليه (ص)[1] وهو صورة رأس صاد يكتب فوق الكتابة غير متصلة بها ، فاذا تحققه بعد ذلك وكان المكتوب صواباً زاد تلك الصاد حاءً فيصير (صح) ، وإلا كتب الصواب في الحاشية كما تقدم ، وإذا وقع في النسخة زيادة ، فان كانت كلمة واحدة ، فله أن يكتب عليها ( لا ) وأن يضرب عليها إن كانت أكثر من ذلك ، فان شاء كتب فوق أولها ( من ) ، أو كتب (لا) ، وعلى آخرها (إلى) ، ومعناه : من هنا ساقط إلى هنا ، وإن شاء ضرب على الجميع بأن يخط عليه خطاً رقيقاً يحصل به المقصود ، ولا يسود الورق ، ومنهم من يجعل مكان الخط نقطاً متتالية ، وإذا تكررت الكلمة سهواً من الكاتب ضرب على الثانية لوقوع الأولى صواباً في موضعها [٩٧و] إلا إذا كانت الأولى آخر سطر ، فان الضرب عليها أولى صيانة

---

(١) (ص) ساقطة من (ب) .

لأوَّلِ السَّطرِ ، إلاَّ إذا كانتْ مُضافاً إليها فالضربُ على الثانيةِ أولَى لاتصالِ الأُولى بالمضافِ .

الثامنُ[1] إذا أَرادَ تخريجَ شيءٍ في الحاشيةِ ، ويُسمَّى اللَّحَقُ بفتحِ الحاءِ علَّمَ لهُ في موضعهِ بخطٍ منعطف قليلاً إلى جهةِ التخريجِ ، وجهةِ اليمينِ أَولَى إنْ أَمكنَ ، ثم يكتبُ التخريجَ من محاذاةِ العلامة[2] صاعداً الى أعلى الورقةِ لا نازلاً الى أسفلِها ، لاحتمالِ تخريجٍ آخر بعدَهُ ، ويجعلُ رؤوسَ الحروفِ إلى جهةِ اليمينِ سواءً كانَ في جهةِ يمينِ الكتابةِ ، أَو يسارِها .

وينبغي أنْ يحسبَ السَّاقطَ وما يجيء منهُ من الأسطرِ قبلَ أَن يكتبهَا ، فانْ كانَ سطرينِ ، أَو اكثرَ جعلَ آخرَ سطرٍ منهَا يلي الكتابةَ إنْ كانَ التخريجُ عن يمينها ، وإن كانَ التخريجُ عن يسارها جعلَ أَوَّلَ الأَسطرِ ممَّا يليهَا . و لايوصلُ الكتابةَ والأَسطرَ بحاشيةِ الورقةِ بل يدعْ مقداراً يحتملُ الحك عندَ حاجته مرَّاتٍ ، ثم يكتبُ في آخرِ التخريجِ (صح) ، وبعضهُم يكتبُ بعدَ (صح) الكلمةَ التي تلي آخر التخريجفي متنِ الكتابِ علامةً علىاتِّصالِ الكلامِ .

---

(١) النوع الثامن اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٥ – ١٨٦ .

(٢) يجدر بالمحققين الافاضل ان يدرسوا هذه الملاحظات كي تساعدهم في تحقيق كتب التراث ، لأن اصحاب الكتابة اعرف بما يكتبون .

التاسعُ[1] لا بأسَ بكتابةِ الحواشي والفوائدِ والتنبيهاتِ المهمةِ على حواشي كتابٍ يملكهُ ، ولاَ يكتبُ في آخرهِ ( صح ) فرقاً بينهُ وبينَ التخريجِ ، وبعضهُم يكتبُ عليهِ حاشيةً ، أَو فائدةً ، وبعضهُم يكتبُ في آخرِها ، ولا ينبغي أَن يكتبَ إلاّ الفوائدَ المهمَّةَ المتعلقةَ بذلكَ الكتابِ ، مثل تنبيهٍ على إشكالٍ ، أَو إحترازٍ ، أَو رمزٍ ، أو خطأٍ ونحو ذلكَ . ولا يسوِّدهُ بنقلِ المسائلِ والفروعِ الغريبةِ ، ولا يكثرُ الحواشي كثرةً تظلمُ الكتابَ وتضيِّعُ مواضعَها علَى [ ٩٧ظ ] طالبِها . ولا ينبغي الكتابة بينَ الاسطرِ ، وقد فعلهُ بعضُهم بينَ الأَسطرِ المفرّقةِ[2] بالحمرةِ وغيرِها ، وتركُ ذلكَ أولى مطلقاً .

العاشرُ[3] : لا بأس بكتابةِ الأبوابِ والتَّراجمِ والفصولَ بالحمرةِ ، فانَّهُ أَظهرُ في البيانِ ، وفي فواصلِ الكلامِ ، وكذلكَ لا بأسَ بالرمزِ بهِ على أَسماءَ ، أَو مذاهبَ ، أَو أَقوالٍ أو طرقٍ ، أو أَنواعٍ ، أَو لغاتٍ ، أَو أَعدادٍ ، ونحو ذلكَ ، ومتَى فعلَ ذلكَ بيَّنَ اصطلاحَهُ في فاتحةِ الكتابِ ليفهم الخائضُ فيه معانيها، وقد رمزَ بالأحمرِ جماعةٌ من المحدثينَ والفقهاءِ وغيرهم ، لقصدِ الاختصارِ ، فانْ لم يكنْ ما ذكرناهُ

---

(١) النوع التاسع اخذه المصنف من كتاب تذكرة السامع والمتكلم ص١٨٦ ــ ١٩١ ، وقد حذف منه عدة فقرات .

(٢) في (ب) : ( المتفرقة ) ، وهو وهم .

(٣) النوع العاشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩١ــ١٩٢ .

من الأَبوابِ والفصُولِ والتراجمِ بالحمرةِ أَتى بما يميِّزهُ عن غيرِهِ من تغليظِ القلمِ وطولِ المشقِ، واتحادهِ في السَّطرِ، ونحو ذلكَ ليسهل الوقوفُ عليه عندَ قصده . وينبغي أَن يفصلَ بين كلِّ كلامين بدائرةٍ، أَو ترجمةٍ، أَو قلمٍ غليظٍ، ولا يوصلُ الكتابةَ كلَّها على طريقةٍ واحدةٍ لما فيهِ من عسرِ استخراجِ المقصودِ وتضييعِ الزمانِ فيهِ، ولا يفعلُ ذلك إلاَّ غبيٌّ جداً .

الحادي[1] عشر قالوا : الضربُ أَولى من الحكِ لاسيما في كتبِ الحديث، لأَنَّ فيه تهمةً وجهالةً فيما كانَ، أَو كُتبَ، ولأَنَّ زمانَهُ أَكثرُ فيضيعُ، وفعلهُ أخطرُ فربما ثقبَ الورقةَ وأَفسدَ ما ينفذُ اليهِ فاضعفها، فانْ كانَ إزالةُ نقطةٍ، أو شكلةٍ ونحو ذلكَ فالحكُ أَولى .

وإذا صحَّ الكتابُ على الشيخِ أو في المقابلةِ علَّمَ على موضعِ وقوفه ( بلغ )، أو ( بلغت )، أَو ( بلغ الغرض )، أو غير ذلَكَ ممَّا يفيدُ معناهُ، فانْ كانَ ذلكَ في سماعِ الحاشيةِ كَتبَ (بلغ) في المعتادِ الأَوَّل، أَو الثاني الى آخرها، فيعيِّنُ عددَهُ .

(١) النوع الحادي عشر اخذه المصنف من تذكرة السامع والمتكلم ص١٩٢ ــ ١٩٣، وبانتهائه انتهى القسم الاول من الكتاب .

قالَ الخطيبُ : فيما إذا أَصلحَ شيئاً ينشرُ المصلِّحَ بنحاتةِ السَّاج [٩٨و] وغيرهِ من الخشب، ويبقي الشريبُ . واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً دائماً أَبداً ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

تمَّ القسمُ[1] الأوَّلُ ، ويتلوهُ القسمُ الثانِي إنْ شاءَ اللهُ تعالى .

---

(١) في (ب) : تم الجزء الاول من جواهر العقدين بحمد الله ومنه وفضله، ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله .

وفي (م) : تم القسم الاول ويتلوه القسم الثاني ان شاء الله تعالى بحمد الله وعونه وحسن توفيقه .

# فهرست الموضوعات

# الفهرســـت

# فهرست النص المحقق

## صدر للمحقق

١ ـ دراسة" حول كتاب الايضاح ، نشر سنة ١٩٧٦م في مطبعة المجمع العلمي الكردي ـ بغداد ٠

٢ ـ شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة ١٩٨٠م ٠

٣ ـ الايضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، تقديم وتحقيق ، صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٨٢م ، مطبعة العاني ـ بغداد ، وصدر الجزء الثاني منه سنة ١٩٨٣م ، مطبعة العاني ـ بغداد ٠

٤ ـ الفرق بين الضاد والظاء لأبي القاسم سعد بن علي الزنجاني ، دراسة وتحقيق ، مطبعة الأوقاف والشؤون الدينية ـ بغداد سنة ١٩٨٣م ٠



## البحوث المنشورة

١ ـ بعض من أوهام النحاة في آراء صاحب الكتاب ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، في العدد الثامن والعشرين ١٩٧٧م ٠

٢ ـ أسباب انتشار العامية وموقف جماعة من المستشرقين وبعض العرب منها ، مجلة آداب الرافدين في الموصل ، العدد الثامن ١٩٧٧م ٠

٣ ـ الاتجاه النقدي عند ابن طفيل في أسرار الفلسفة المشرقية ، مجلة جامعة الموصل ، العدد العاشر ١٩٧٤م ٠

٤ ـ العلاقة بين أمس والبارحة : بحث لغوي ، مجلة جامعة الموصل ، العدد السابع ١٩٧٣م

٥ ـ كتابة العربية بالحروف اللاتينية وموقف المستشرقين وبعض العرب منها ، مجلة كلية الفقه في النجف الأشرف ١٩٧٩م ٠

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغـداد ١٤٠٨ لسنة ١٩٨٤
تم طبع الكتاب في ١٨/١٠/١٩٨٤ بعـدد ٥٠٠٠ نسخة